الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي بن مهيدي أم البـــــــواقـــــي

كليـــــــــة الآداب والـــلغات
قسم اللغة العربية و آدابـــــها
فـــــرع ماجـــــستيـــــر

موضوع البحث:

جماليات التّناص في حِكَـــــم الإمام علي
دراسة تطبـــــيقيّة في(نهج البـــَلاغة)

مذكـرة مقدمة لنيل درجـــة الماجستير في الأدب العربي
تخصص البـــــــلاغة العـــــــربية و شعـرية الخطاب

إعداد الطالب:
يوسف نجعوم

إشراف الأستاذ:
د/ العلمي المكي

لجنة المناقشة:

1 ـ د/ العلمي لراوي	**جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي**	**رئيـــــــــــسا للجنة**
2 ـ د/ العلمي المكي	**جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي**	**مشـــــــــــرفا و مقررا**
3 ـ د/فاتـــح حمبلي	**جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي**	**عضـــــــــــوا مناقشا**
4 ـ د/عيـــسى مدور	**جامعة الحـــــاج لخضر باتنـــــة**	**عضـــــــــــوا مناقشا**

السنة الجامعية : 1429هـ - 1430هـ 2008م - 2009م

المقدمة:

هذا البحث (جماليات التناص في حكم الإمام علي ـ دراسة تطبيقية في (نهج البلاغة))ـ هو ثمرة و نتاج توفر عدة عوامل ذاتية و موضوعية،دفعت بتصوري لمضمون البحث ليتشكل كمشروع علمي ،ألحّت الرغبة للكتابة فيه ،منها اعتقادي أن تراثنا الأدبي من المواضيع التي تتطلب من الباحثين العمل على إحيائها بقراءة جديدة ، خاصة مع ظهور النظريات النقدية و الدراسات الأدبية و اللغوية المعاصرة ، تطلب الإستعانة بها لفهم تراثنا ، ودراسته بتوظيف هذه النظريات الغربية مع النظريات النقدية العربية القديمة ، كمحاولة للتوفيق بينهما، عملا على الحفاظ على أصالتنا وتجديد معارفنا، و تطوير نقدنا. إيماني بأن لا ازدهار و لا تقدم للشعوب العربية و الإسلامية إلا بربط ماضيها بحاضرها و تثبيت أقدامها على ثوابتها، فتراث الأمة الإسلامية كنز لجميع العرب و المسلمين ، إذ تناصت فيه جميع الثقافات و بلورته عدة أجناس و صقلته عدة أحداث وفوق كل هذا ،فالتراث لازال خاما ؛ فيه من القيم الأدبية و الفنية ما يضاهي معظم آداب العصر الحديث وذلك لما يملكه من طاقات وإمكانات كامنة ، لو تزودنا بها وعرفنا كيف نستعملها، لفتحت لنا كثيرا من الآفاق الجديدة للإبداع. و بعد اطلاعي على بعض نوافذ التراث العربي و الإسلامي ، قراءة و تذوقا ، رأيت أن أقف إلى جانب هذا التراث الزّخم و أن أمد بصري إلى صدر الإسلام منبع الثقافة العربية الإسلامية التي ألقت بظلالها على بقية العصور،و أن أختارمن هذاالعصر،كتاب(نهج البلاغة) للإمام علي ،إمام الفصاحة و البيان ،لما يتضمن كلامه من عجائب البلاغة و جواهر العربية، و ثواقب الكلم الدينية و الدنيوية ، و لما فيه من قيم فنية و جمالية و شعرية ، فآثرت البحث في جوانب موضوعاته المتعددة مدفوعا إلى ذلك بعدة أسباب .

1ـ أسباب اختياري للموضوع:

ـ السبب الأول: إعتقادي أن التراث العربي ،لازال لم يحظ بالاهتمام اللائق به، فهو بحاجة إلى الكثير من البحث والدراسة العميقة لفهمه، ومن ثم معرفة ذاتنا ، و تكوين شخصيتنا، و التمسك بأصالتنا،حتى نتمكن من التثاقف مع الغير .و لن نتمكن من ذلك إلا بفتح كنوزهذا التراث .

ـ السبب الثاني : لقد تمّ أختياري لكتاب نهج البلاغة بعد اطلاعي عليه و تمعن مضمونه و أسلوبه وجدت بأن كلام الإمام علي بن أبي طالب ،هو أشرف الكلام و أبلغه بعد كلام الله تعالى، وكلام نبيهﷺ محاولا من خلال هذا البحث توضيح مرجعيات الإمام و تناصصه،وعناصر الإبداع فيه والأسباب التي جعلت من أسلوبه و لغته و مضامينه تتربع على عرش الفصاحة و البلاغة و البيان لكل هذه القرون،و لازال منبعا فياضا لكل خطيب و حكيم. و الكتاب بحق تحفة بلاغية وفنية ،لا يعلوها إلا القرآن و الحديث الشريف،.لهذا ارتأيت أن أبرز من خلال التناص،الجماليات الفنية والبلاغية لهذه الحكم،و الأسباب التي جعلت نهج البلاغة يحظى بمكانة خاصة بين جميع المسلمين،ويترجم إلى جميع اللغات العالمية.

ـ السبب الثالث:عودتي إلى التراث القديم، محاولة مني لوضعه في إطار النقد المعاصر. و من ثمّ الخروج عن النمطية المألوفة في دراسة النصوص، بالإعتماد على تعدد المناهج.

ـ السبب الرابع: محاولة تصحيح نظرة الكثير من الدارسين إلى الآليات النقدية المعاصرة ، حيث يعتقدون أن هذه الآليات لا تليق إلا بنصوص معاصرة لها، وأنها غير مجدية لنصوص التراث.

ـ السبب الخامس: لقد تم اختياري لآلية التناص ، لما في هذه الآلية من قدرة نقدية تمكنني من معرفة النصوص التي تفاعل معها الإمام علي في كتابه نهج البلاغة ، والمدرسة التي استلهم منها الإمام علي لغته وبيانه وحكمه، فبلا شك كان لهذه الأسباب وغيرها وقع وصدى على ذاكرته ومرجعيته ومن ثمة على كل خطاباته (شعره ونثره) . و منها الوصول إلى معرفة سرّ هذا البيان و سمو هذه البلاغة ،التي تكمن في هذه التحفة الأدبية(نهج البلاغة) و ما تحمله من قيم. فمن هنا كان توجهي نحو ظاهرة التناص(intertextualité) أو البينصية أو ما يسمى بتفاعل النصوص ،حيث أهدف من خلال هذا البحث إلى التعريف بهذه الظاهرة ضمن التراث ،علما أن التناص فكرة ذات أصول عريقة في تراثنا النقدي(السرقات الأدبية،التضمين، الإقتباس..) أعاد النقاد المعاصرون صياغتها من جديد ،فأسهمت العديد من الاتجاهات الأدبية و المدارس النقدية الغربية المعاصرة في بلورتها، بدءا بالشكلانين الروس ومدارس سوسيولوجيا النص ، وصولا إلى أصحاب نظرية إنتاج النص و تلقيه؛ حيث ركزوا على القارئ على اعتباره مبدعا ثانيا للنص،و أن النص هو تشكيل لغوي مكتنز بشتى الثقافات ، ومشبّع بخلفية نصية متعددة و متنوعة

ومن هنا كانت محاولتي منصبة في هذا البحث عن تتبع التشكيلة التناصية ،على المستوى الشكلي و الدلالي و استكشاف القيمة الجمالية تبعا لمستوى تعامل النص الحاضر (حكم الإمام علي في نهج البلاغة) ، مع النص السابق (الغائب) القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والتراث، وهذا يتطلب دراية و معرفة عميقة بحقيقة هذه النصوص المتعالية (النصوص السابقة) في مستواها التشكيلي والموضوعي ومنه أرى أن الموضوع جدير بالتناول، لما فيه من تنوع في المفاهيم و ثراء في التوظيف ،على المستويين الفضائيين: النظري والتطبيقي.

2ـ المناهج المتبعة: من أجل تحقيق ذلك أتبعت عدة مناهج أراها مكملة لبعضها البعض:

أـ المنهج الوصفي لرصد ظاهرة التناص و مرجعيات النص الحاضر.

ب ـ المنهج السيميائي لفك رموز النص و استنطاق إشاراته عن طريق الفهم التأويلي.

ج ـ المنهج التحليلي أداة إجرائية مرنة، وفضاء للحوار بين القارئ و النص .

د ـ المنهج الإحصائي لمساعدة المنهج التحليلي و المنهج الوصفي و استخلاص النتائج.

3ـ خطة البحث: تكوّن البحث من:مقدمة، مدخل، و فصلين و خاتمة، لكل من المدخل والفصول ثلاثة مباحث، وهي مفصلة على النحو التالي:

أ ـ المقدمة:ذكرت فيها دوافع و أسباب اختياري للموضوع و أهميته، وعرض الخطة و المناهج المتبعة، و أهم المصادر و المراجع المعتمدة .

ب ـ المدخل: إنصبت فيه الدراسة على مفهوم نظرية التناص ،ومناقشته والآليات التي تبنتها، مع الوقوف عند نشأتها وأطوار ارتقائها، محاولا الوقوف عند آراء أصحابها واجتهاداتهم في ذلك كله ؛عملا بما يقتضيه المنهج. كما و ضحنا مصطلحاته الكثيرة ؛ إذ آثرنا استعمال (التناص) لأنه أكثر تطابقاً مع النظرية. وقد خصص هذا الجانب النظري لينيرالرؤية للقارئ، في فهم النص والتناص قبل التوغل في حيثيات النصوص، و هو مقسم إلى ثلاثة مباحث: المبحث الأول قدّمت من خلاله المصطلح في رؤية البيئة التي أفرزته بهذا المسمى عند النقاد الغربيين،ولما كان النص قبل التناص هو هاجس الفكر النقدي الغربي، فقد مهدنا لعرض الرؤى التناصية برؤى الأعلام أنفسهم لمفهوم النص المهيأ للدخول مع غيره في علاقات تناصية، كانت هاديةً لتلمُّس الدقة في فهم مصطلح التناص من خلال أهم رواده،وعلى رأسهم (كريستيفا)(بارث)(جيرار جنيت)..

المبحث الثاني: عرضنا ما يتقارب مع معاني مصطلح التناص في الدراسات العربية القديمة ،النقدية منها و البلاغية:(السرقات الشعرية، و التضمين ،و الإقتباس ونظرية الحفظ.).و اعتمدنا على أهم النقاد العرب القدامى ك عبد القاهر الجرجاني ، إبن رشيق و غيرهم المبحث الثالث: وقفنا فيه عند رؤى بعض النقاد العرب المعاصرين ،الذين ألموا بالمصطلح على المستوى النظري والتطبيقي، و أغنوا المكتبة النقدية بتحليلات تناصية واعية، منهم: سعيد يقطين وعبد الله الغذامي و عبد الملك مرتاض ..

ج ـ الفصل الأول:و يتعلق بالتنقيب عن روافد ثقافة الإمام علي.و قد قسمناه إلى ثلاثة مباحث: المبحث الأول و يتمثل في الروافد الثقافية و الدينية عند الامام علي(ض)، محاولا فيه الإحاطة بما يتعلق بمرجعياته و العناصر المؤثرة في نصوصه، و لن يتسنى لنا ذلك إلا بالإطلاع على السياق الذي عايشه الإمام فلخّصت هذا السياق في ثلاث مراحل أساسية: في حياة الرسول الرسول (ﷺ)،ثم في ما بعد وفاة الرسول (ﷺ)،وأخيرا في خلافة الإمام علي، و ما وقع من أحداث تاريخية و سياسية و فكرية ، كان لها الأثر البالغ في حِكم نهج البلاغة.

المبحث الثاني: يتعلق بمضمون كتاب نهج البلاغة ووصفه ومضمونه وترتيبه ،و شروح نهج البلاغة،ثم قيمته الفنية والأدبية.

المبحث الثالث : تطرقنا فيه إلى توضيح الحكمة و مثيلاتها في نهج البلاغة ، و من الشروح المعتمدة : نهج البلاغة شرح إبن أبي الحديد ، تحقيق أبو الفضل ونهج البلاغة شرح محمد عبده مراجعة و تدقيق أحمد إبراهيم زهوة.

د ـ الفصل الثاني: وهو الفصل التطبيقي، وفيه تمّ توظيف آلية التناص في حكم نهج البلاغة و ابراز تجليات هذا التوظيف ،في ثلاث مباحث :المبحث الأول: تناص المضمون و المبحث الثاني تناص الأسلوب والمبحث الثالث فقد خصصته لجماليات التناص في حكم نهج البلاغة فأبرزنا فيه: جماليات الإقتباس، جماليات التضمين،جماليات الإحالة و الإيجاز،و من أهم المراجع المعتمدة في هذا الفصل:نهج البلاغة : شرح محمد عبده مراجعة و تدقيق:أحمد إبراهيم زهوة و شرح إبن أبي الحديد،تحقيق أبو الفضل، جماليات التناص في الشعر الجزائري لجمال مباركي،التضمين والتناص لمنير سلطان..

هـ ـ الخاتمة:و فيها عرضت أهم النتائج المتوصل إليها في المجالين النظري و التطبيقي.

4 ـ المصادر والمراجع : وهي متنوعة في هذا البحث منها مصادر عربية تراثية: (شرح نهج البلاغة) لإبن أبي حديد،(المقدمة)لإبن خلدون،(الوساطة بين المتنبي و خصومه) للقاضي الجرجاني،و كتابي:(أسرارالبلاغة)و (دلائل الإعجازفي علم لمعاني)لعبدالقاهرالجرجاني (العمدة) لإبن رشيق..و مراجع عربية منها : تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص)محمد مفتاح،(النص الغائب) لمحمد عزام ،(مشكلة السرقات الأدبية) لمحمد مصطفى هدارة،(تاريخ الأدب العربي) لشوقي ضيف،(تاريخ الأدب العربي) لجرجي زيدان،(محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية) تأليف محمد الخضري بك..أما المراجع الأجنبية المترجمة: (علم النص،كريستيفا) و(لذة النص)، (نقد و حقيقة)، (نظرية الأدب)لرولان بارث و(علم النص)لجيرار جينيت وغيرهم، بالإضافة إلى بعض المراجع الأجنبية، والقواميس،والمجلات و الدوريات العربية.

5 ـ الصعوبات التي اعترضتني في البحث:

لقد اعترضتني خلال هذه الدراسة عدة صعوبات، أذكر منها:

أ ـ صعوبة الحصول على المصادروالمراجع،لاسيما ما يلامس الموضوع.مما دفعني إلى الإستعانة بالمكتبات في مناطق مختلفة من الوطن، رغم كثرة ما قيل حول الإمام و نهج البلاغة.

ب ـ صعوبة تطبيق المفاهيم التناصية ،لسبب اختلاف مصطلحاتها و تعدد نظرياتها .

ج ـ صعوبة التوفيق و الجمع بين آراء المذاهب الإسلامية المختلفة .

و في الختام أشكر كل من أمدّني يد المساعة من أساتذة و مكتبيين و زملاء الدفعة ، و أخص بالذكر أستاذي المشرف الذي كان خير سند بنصائحه و توجيهاته.

المدخل:
مفهوم التناص في الدراسات النقدية

:
:

I- مفهوم النص و التناص في الدراسات الغربية

1- مفهوم (النص TEXT) :

أـ النص{(TEXT)في لغة المعاجم الغربية مشتق من الإستخدام اللاتيني " للفعل:(TEXTERE) و الذي يعني ينسج

---

[1] ـــ التناص و جمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، جمال مباركي، مطبعة دار هومه الجزائر:2003 ، ص37

[2] ـــ الأدب و الانواع الادبية ج 5 ، النقد الأدبي، روجيه فايول R .fayolle ،ترجمة عن الفرنسية،طاهر حجار،طلاس للدراسات و الترجمة و النشر،دمشق:1985 ، ص82

[3] ـــ النص الغائب تجليات التناص في الشعر العربي، محمد عزام ،د ط ، اتحاد كتاب العرب ،دمشق: 2001 ،ص7

و يحوك ، و هي في الأصل اللاتيني: (TEXTUS) بمعنى النسج و الحياكة" [1] ، و إن كلمة نسج ترتبط بلغة الصناعة و الاقتصاد و الإنتاج المادي، فنقول: صناعة النسيج، النسيج الإقتصادي، النسيج الصناعي.. فاللغة قد استعارته من هذا الميدان ، و وجه الشبه بين الإستخدامين؛ أن الحقل الصناعي نسج مادي حقيقي أما في اللغة فهومجازي، ينسج بالكتابة و بالألفاظ و العبارات، و لا يكون النص نصا ، إلا إذا كل خطاب تم تثبيته بواسطة الكتابة، و هذا التثبيت أمر مؤسس للنص و مقوّم له"[2] . أما (رولان بارث) فيعرفه بأنه:"المساحة غير العاديّة للأثر الأدبيّ؛ إنّه نسيج من الكلمات الرَّاسخة في الأثر والمنتظمة على نحوٍ تُفضي فيه إلى معنًى محدَّد ووحيد إنْ أمكنَ، وبالرّغم من الطَّابع الجزئيّ والبسيط لفكرة (النّصّ) وهو في الآخِر ليس إلاّ موضوعاً قابلاً للملاحظة بواسطة الحاسّة البصريّة ،فالنّصّ هو ما كُتِبَ "[3] لأنّ صورةَ الحروف ذاتها بالرّغم من أنّها تظلّ خطّيّةً إلاّ أنّها توحي أكثر من الكلام بتشابك النّسيج ،أما لو عدنا إلى القواميس،فإننا نجد " مجمل الكلمات أو الجمل يكون كتابة أو

---

[1] - dictionnaire hachette(encyédique édion 2002 spademLadagp paris p :1598 -

[2] - بلاغة الخطاب و علم النص، صلاح فضل، ط1، الشركة المصريةالعالمية للنشرلونجان: 1996 ص137

[3] -نظرية النص عند رولان بارث ،أحمد الودرني،المجلة الأدبية الشهرية العدد 426،اتحاد الكتاب العرب،دمشق : تشرين أول2006 ص:106

[4] - encycopédique , édition phitippe auzou,paris2005,p :2005 -

[5] -le petit LAROUSSE illustrré(2006)paris.p :1050 -

[1] ـــ النص الغائب تجليات التناص في الشعر العربي ، محمد عزام،منشورات إتحاد الكتاب العرب،دمشق:2001، ص:29

[2] ـــ بلاغة الخطاب و علم النص، صلاح فضل، ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجان: 1996 ،ص304

[3] ـــ مفاهيم سردية،تزفيطان تودوروف،ط1،ترجمة،عبد الرحمن مزيان،منشورات الإختلاف:2005،ص:32

2ـ مصطلح التناص في رؤى النقَّاد الغربيين :

وفيه نحاول الإطلاع على مفهوم المصطلح و جذوره و مساره ،وبعدها نعرّج على نقادنا العرب المعاصرين وكيف تلقوه من الغرب؟ و ماهي أسباب ذلك؟ وهل لهم رؤية خاصة بهم تجاه هذا المصطلح؟ وهل توجد لها جذور في تراثنا العربي الإسلامي؟

.أـــ مفهوم التناص:

---

[1] ـــ تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص، محمد مفتاح. ط3 ، المركز الثقافي العربي: يوليو1992،ص: 120ـــ121

[2] ـ نقد و حقيقة الأعمال الكاملة- critique et vérité، رولان بارث ، ط1، ترجمة منذر عياشي ، مركز الإنماء الحضاري للترجمة والنشر:1994 ص:215

[3] ـ في عالم النص و القراءة، عبد الجليل مرتاض ، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر:2007 ص124

[4] ـ قاموس: dictionnaire hachette encyédique édion 2002 spademLadagp paris p :830

.

تجريبية في أعمال باختين،لكنه" أصبح مصطلحا واضحا ذا شهرة معرفية لدى (جوليا كريستيفا)

[1] ـ النص الغائب تجليات التناص في الشعر العربي، محمد عزام، ، ص11

[2] ـ دليل الناقد الأدبي ، ميجان الرويلي: سعد البازعي، ط3 ،المركز الثقافي العربي، بيروت ،لبنان-: د،ت ،ص 242

[3] ـ التضمين و التناص، وصف رسالة الغفران للعالم الآخرنموذجا، سلطان منير، دط،منشأة المعارف ،الإسكندرية،2004، ص:48

"[1] ويقول: (غريماس) في كتابه المشترك عن(السيميوتيكا):"كان الباحث السيميولوجي الروسي (باختين)أول من استعمل مفهوم التناص . فأثار اهتمام الباحثين في الغرب بحيوية الإجراءات التي تقوم عليها المفارقة التي تتضمنه ،والتي يمكن أن تمثل تحولا منهجيا في نظرية التأثيرات ، لكن عدم الدقة في تحديد المصطلح أدى إلى تعدد المسالك في فهمه وتطبيقه"[2]

لقد بدأت إذا مسيرة مصطلح التناص من قبل الناقدة (جوليا كريستيفا) (jolia kristifa) و بهذا المصطلح ارتبط اسمها، و ارتباطها بهذا المصطلح كان بجدارة و استحقاف ، لما لها من مسارطويل في هذا المجال وبما تتملكه من مخزون ثقافي و نقدي "فمن (ماركس) إلى (باختين)، ومن (سوسير) إلى (جاكوبسون)، ومن (فرويد) إلى (لاكان)، ناهيك عن ثقافة فلسفية و منطقية و رياضيةو سيميائية قديمة و معاصرة "[3] . لقد كان دور (كريستيفا)حاسما كونها " أول من قدم مفهوم الحوارية إلى الساحة الفرنسية في محاضرة ألقتها في ندوة(بارث) العلمية بباريس سنة 1966 بعنوان (الكلمة و الحوار و الرواية) وقد جاء تقديمها لذلك المفهوم تحت مسمى النصوصية أو عبر النصية في فترة

[1] - في التناص الشعري، مصطفى السعدني ،دط، منشأة المعارف الإسكندرية: 2005 ، ص91

[2] -م ن : ص:91

[3] - التتضمين و التناص، سلطان منير، ص:51

[4] - دليل الناقد الأدبي، ميجان الرويلي، سعد البازعي، ص:319

[5] ـــ الأدب العام و المقارن، دنييل هنري باجو ،دط ، ترجمة غسان السيد ، منشورات اتحاد الكتلب العرب: 1997 ،ص26ـــ27

[1] ـــ علم النص، جوليا كريستيفا ، ترجمة فريد الزاهي، ط2، دار طوبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب: 1997 ، ص:13
[2] ـــ نظرية النص عند رولان بارث،احمد الودرني،المجلة الأدبية الشهرية،اتحاد الكتاب العرب، دمشق: تشرين أول،2006 :106
[3] ـــ النص و الأسلوبية بين النظرية و التطبيق ، عبد الاله أبو هيف ، منشورات اتحاد الكتاب العرب: 2000م، ص17
*جوليا كريستيفا : (1941ـــ) بلغارية تقطن فرنسا خريجة جامعة السربون نشرت أبحاثها في مجلتي (telquel&critique)بين سنتي 1966ــــ1967

[1] ــ لذة النص ، رولان بارث، ط1، ترجمة منذر عياشي، ــ مركز الإنماء الحضاري، حلب سوريا ، 1992 ص: 70

[2] ــ نظرية النص عند رولان بارث، أحمد الودرني ، ص:112

[3] ــ التضمين و التناص، منير سلطان ، ص57

* ــ ازداد مرسيل بروست في العاشر من يوليوسنة 1871. أشهرها سباعيته (بحثا عن الزمن الضائع) قيل في رواياته مجازيا نظرا لبراعتها إذا كان لكل شاعر شيطان يوحى له الفن و الجمال و الإبداع فأن شيطان بروست متعدد الرؤوس.. .

[4] ــ يراجع : ــ المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك،عالم المعرفة،رقم 232،المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب،الكويت،أبريل1998،ص:354

ــ التضمين و التناص،منير سلطان ،ص58

ج ـ أنواع التناص:

:

.

.

) .

[1] ـ دليل الناقد الأدبي موضوع النقد الحواري، ص317

[2] ـ يراجع: ـ تداخل النصوص في الرواية العربية، حسن محمد حماد، ص30

ـ نظرية التناص و النقد الجديد ، نعيمة فرطاس ، منشورات اتحاد الكتاب العرب العدد434، 2007، ص39ـ40

*الطرس: مفرد جمعه طروس و أطراس، هو اللوح الممسوح أو لوح يكتب عليه مرتين، أو ثلاثا بعد مسح الكتابة الأولى عنه يقول حسن محمد حماد : ويأخذ جيرار جينيت هذه الصورة و هذا الإسم ليطلقه على كتابه الذي يتناول فيه هذه العمليةالتي تجعل كل أدبي يخفي في طياته نصا أخر، و هو لا يخفيه تماما ، بل يجعله جليا إلى حد ما.. وبذلك تصبح القراءة المحلية مزدوجة يظهر فيها النص القديم من وراء النص الجديد " ينظر: من التناص إلى الأطراس ، المختار حسني ، مجلة علامات في النقد الأدبي النادي الأدبي الثقافي جدة مج 7 ج 55 جمادي الأول 1418هـ1998م ،ص:175ـ192

[1] ــ يراجع:
ــ من النص إلى النص المترابط مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، سعيد يقطين، ط1، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء،المغرب:2005 ص 98
ــ العرب و عصر المعلومات، نبيل علي، سلسلة عالم المعرفة رقم 184 سنة 1994م ص 304

[2] ــ قاموس موسوعي للاعلام و الاتصال ، محمود إبراقن ط 2 ، ثالة للنشر 2007 ، ص:347

[3] ــ دراسة في النقد للأدب القديم و التناص ،المسبار في النقد الأدبي ،حسين جمعة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ــ دمشق 2003 ص:138

التعريفات سواء بلغة المصادر الأجنبية ، أم بتحديدات معناه من خلال الشروحات والكتابات النقدية".[4] هذا ربما لكثرة الآراء و الدراسات التي تناولته في النقد الغربي، فغمرت فيه التعدد غير النهائي. الذي يمكن تفسيره إيجابيا من ناحية (الثراء غير النهائي) لهذا المصطلح ، خاصة وأن ملامح هذا المصطلح في ذاته يتميز باللانهائية وعدم البراءة، و قد أكد هذه النتيجة من خلال تلميحات(

[1] ــ مصطلحات النقد العربي السيماءوي الإشكالية و الأصول و الإمتداد، مولاي علي بوخاتم ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2005م، ص:200

[2] ــ م ن ، ص: 202

[3] ــ م ن ،ص :202

[4] ــ م ن ، ص:189

مارك أنجينو) الإستفهامية ، من أن المسألة ليست في معرفة ماذا نعني بالتناصية لكن : فيم تستخدم ؟ لأي شئ يصلح التناص أو يستعمل؟ وهل جدواها مرتبطة باللحظة التاريخية؟." إنه أداة نقدية تسمح لنا بإثارة إشكالية نقدية ،وفكرية أكثر منه مفهوماً محدداً بدقة" [1] وكخلاصة لما سبق أقول ما قاله د/ محمد مفتاح " التناص ظاهرة لغوية معقدة تستعصي الضبط و التقنين اذ يعتمد في تميزها على ثقافة المتلقي و سعة معرفته " [2]

<u>II- مفهوم النص و التناص في الدراسات النقدية العربية:</u>

1- المفهوم اللغوي للنص و التناص في التراث العربي:

[

.

.

[1] ــ النص و التناصية، رجاء عيد ، ، مجلة علامات 18مج 05ديسمبر1995 ص:18

[2] ــ تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص). محمد مفتاح ، ط 3 ،المركز الثقافي العربي يوليو 1992ص131

[3] ــ لسان العرب، ابن النظور، المجلد 14 ، الطبعة الثالثة ، دار صادر للطباعة و النشر بيروت لبنان: 2004، ص271

[4] ــ الكامل في النحو و الصرف والإعراب، أحمد قبش، ط6، دار الرشيد :1406ه ــ 1986م ، ص297

في لفظة نسج ، في تكوين و تركيب العبارات " ..التراكيب الصحيحة عند العرب . فيرصها رصا

2ــ التناص في النقد العربي القديم:

(..,

[1] ــ في التناص الشعري ، مصطفى السعدني، د ط ، منشأة المعارف الإسكندرية2005 ، ص:79

[2] ــ المقدمة، عبد الرحمن ابن خلدون ، ص:571

[3] ــ معجم مصطلحات النقد العربي القديم ، أحمد مطلوب، ط1 ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت:2001،ص9

المصلحون و الخييرون مدى خطورتها على المجتمع .تطورت هذه الكلمة فأصبح لها معاني كثيرة لتشمل أنواع التقليد و التضمين و الإقتباس و التحوير" [4] ، فقد كانت رؤية السرقات الأدبية **في العصر الجاهلي** بسيطة ساذجة ويرجعها القاضي الجرجاني إلى نتائج بيئتهم الطبيعية،أو عاداتهم الإجتماعية،ويضرب القاضي الجرجاني لذلك مثلاخاصا بتشبيه الأطلال بالخط الدارس:" وفي هذا التشبيه يشترك معظم شعراء العرب ،فأمرؤ القيس يقول:

لمن طلل أبصرته فشـــــجـــاني ××× كـــخط زبور في عســـــــيب يماني

و حاتم يقول: **أتعرف أطلالا و نؤيًا مهــــدّما ××× كخطِّ كفي رق كـــــتابا منــــمنماً**

و ذكر الرواة أن بيت أمرئ القيس:

---

[1] ـــ مشكلة السرقات في النقد العربي، محمد مصطفى هدارة،دط، مطبعة لجان البيان العربي: 1958 ،ص277

[2] ـــ التضمين و التناص ، منير سلطان، ص:71

[3] ـــ مشكلة السرقات في النقد الأدبي، محمد مصطفى هدارة، ص:276

[4] ـــ م ن ، ص4

"وقوفا بها صحبي على مطيهم ××× يقولون لا تهلك أسى و تجمل"[1]

":

" **فلأيا بلأي ما حملنا غلامــــــنا ××× على ظهر محبوك السراة محــــنّب**

:

فلأيا بلأي ما حملنا غلامــــــنا ××× على ظهر محــبوك ظــماء مفاصله

:

سليم الشّظا عبل الشوى شنج النسا ××× له حَجَـــــــــبَأتُ مشرفات على الفال

:

سليم الشظا عاري الشوى شنج النّسا ××× كأن مكان الردف من ضهره قصر*

:

أمين الشظا عاري الشَّوى شَنَجُ النّسَا ××× أقبُّ الــحشا مستـــــذرع الثَّدفانِ"[3]

[1] ــ المطية:هنا بمعنى الناقة ــ تجمل: لا تظهر الجزع و تصبّر،و اظهر للناس خلاف ما في قلبك، من الحزن و الوجد، لئلا تشْمَتَ بك العواذل و العداة، ولا يكتئب لك الأودّاء

مراجعة: شرح القصائد العشر، الخطيب التبريزي ، دط، تحقيق ، فخر الدين قباوة وزارة الثقافة ــ الجزائر:2007 ،ص28

[2] ــ يراجع:
ــ الشعر و الشعراء ، إبن قتيبة ،دط، وزارة الثقافة الجزائر :2007، ص:69
ــ السبع المعلقات مقاربة سيميائية ــ انثروبولوجية لنصوصها ،د عبد الملك مرتاض، منشورات اتحاد الكتاب العرب 1998،ص388

[3] ــ الشعر و الشعراء، إبن قتيبة، ص70ــ71

[4] ــ السبع المعلقات مقاربة سيميائية ــ انثروبولوجية لنصوصها ، عبد الملك مرتاض ،ص:365إلى 381

*ـ هذا البيت لم أجده في ديوان كعب بن زهير

المحدثين طابع و طنهم من محاكاتهم للقديم ، فقد استوت أزهارهم و فاكهتهم ونضجت تحت شمس واحدة،ولكنهم يستمدون من الأرض التي غذتهم بالأذواق و الألوان و الصور المختلفة؛ إنك لتعرف الإيطالي و الفرنسي و الإنجليزي و الإسباني من أسلوبه ؛ كما تعرفه بملامح وجهه و نطقه و صفاته.**"**[1] أما عبد الجليل مرتاض فيرى أن:"الخطاب الأد بي في الشعر العربي القديم ليس محاكاة للمحاكاة على حد نظرية أفلاطون،ولا محاكاة لأفعال الناس خيرها وشرها تبعا لنظرية أرسطو،ولكنه إبداع و صدور عن نفس منغمسة في صراع نفسي دائم،و قساوة الطبيعة ،وتعسف البيئة..وهو تمثيل للحياة في حسها،و تصوير للأحداث المعيشة في صدقها و واقعها"[2] و**في عصر صدر الإسلام** أصبحت السرقات أكثر شيوعا مما كانت عليه في العصر الجاهلي ، باستثناء الإقتباس لأيمانهم به ، فحسان مثلا وهو من المخضرمين ينفي السرقة عن نفسه فيقول:

"لا أسرق الشعراء ما نطقوا ××× بل لا يوافق شعرهم شعري" [3]

ليتسع موضوع السرقات في **العصر الأموي** باتساع دائرة الشعر نفسه نظرا للعصبيات القبلية و الإنقسامات السياسية ، و وجود شعراء النقائض*"[4].. وعلى الشعراء أن يقرءوا و يحفظوا كثيرا من أقوال أسلافهم ؛ ليطوع لهم القول بعد ذلك على مثال ما قرأوه و حفظوه ، كما أنهم كانوا يرددون لأنفسهم أقوال منافسيهم ليتمكنوا من الرد عليهم ، و ازدادت فكرة السرقات و ضوحا في

العديدة، ولم تحظ هذه القضايا بكتابات مستقلة لأسباب تاريخية و اجتماعية و ثقافية " فلم يكن النقد سوى جزء من العلوم و المعارف العامة.، وكان يحتاج إلى زمن طويل يثير الإهتمام ويحظى

[1] ــ مشكلة السرقات في التقد االأدبي ، محمد مصطفى هدارة، ص:263

[2] ــ في عالم النص و القراءة ،عبد الجليل مرتاض ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الساحة المركزية بن عكنون،الجزائر،2007ص127

[3] ــ مشكلة السرقات في النقد العربي،محمد مصطفى هدارة، ص:12

[4] ــ *هي انتقال نص شعري من شاعر إلى شاعر آخرأو من فهم و رؤية معينة إلى بيئة مخالفة..فيصير النص الواحد نصا مشتركا بين الشاعرين الذين يمتلكانه عن طريق عملية التحويل و الترجمة و النقد..
مراجعة: الظاهرة الشعرية العربية الحضور و الغياب ــ حسين خمري ، اتحاد الكتاب العرب دمشق: 2001 ، ص208

[5] ــ مشكلة السرقات في ألنقد الأدبي، محمد مصطفى هدارة، ص15

بكتابات مستقلة و منهج متكامل ليتخطى مرحلة النظرة الجزئية و التعميم و الإنطباعات و الأحكام غير المعللة ، ويمكن القول بأن النقد العربي القديم له كيان متماسك بدءا من القرن الثالث الهجري"[1] **وفي العصر العباسي** اتسعت دائرة الثقافة ، و تعددت منابعها ، فاتسعت معها دائرة السرقات و تعددت مصادر الأخذ (القرآن الحديث،الفلسفة، أقوال الحكماء ..) وأ جهروا بما أخذوا لقناعتهم بأن ما فعلوه هوطريقة الفن السليم . ويقول عبد العزيز الجرجاني وهو من أوائل المهتمين بقضية السرقة و أكثرالنقاد العرب اعتدالا في هذا الموضوع لتهذيبه للمصطلح إذ يقول:" و متى أنصفت علمت أن أهل عصرنا ، ثم العصر الذي بعدنا أقرب إلى المعذرة و أبعد من المذمة لأن من تقدمنا قد استغرق المعاني و سبق عليها ، وأتى على معظمها.."[2] وإنا لنرى رأي عبد العزيز الجرجاني يتفق و نظرية الجاحظ المشهورة :المعاني المطروحة في الطريق وهما بذلك يعتبران المسألة تحصيلا مفيدا لا علاقة له بالسرقة، وعلى الإتجاه نفسه سار عبد القاهر الجرجاني إذ يقول: "فأما الإتفاق في عموم الغرض فما لا يكون في الإشتراك فيه داخلا في الأخذ و السرقة و الإستمداد و الإستعانة، لا نرى به من حسن يدعي ذلك و يأتي الحكم أنه لا يدخل في باب الأخذ .." [3] ، ويقول أيضا :"إن من أخذ معنى عاريا فكساه لفظا من عنده كان أحق به "[4] . **فيم تكون**

---

[1] ـــ محاضرات في نظرية الأدب، شكري عزيز الماضي ، ط1 ،دار البعث للطباعة و النشر:1984ص151

[2] ـــ الوساطة بين المتنبي و خصومه ،عبد العزيز الجرجاني ، ط3 ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، داراحياء الكتب العربية:دت ص:215 ـــ 214

[3] ـــ أسرار البلاغة في علم البيان ، عبد القاهر الجرجاني ، ط2،تحقيق محمد رشيد رضا،دار المعرف بيروت،دت ،ص294

[4] ـــ دلائل الإعجازفي علم المعاني ، عبد القاهر الجرجاني، ط1،تحقيق سعد كريم الفقي،دار اليقين للنشر و التوزيع1422هـــ 2001م ص396

[5] ـــ العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده ج 2،أبو الحسن بن رشيق المسيلي القيرواني ،دط، تحقيق ،محمد محي الدين عبد الحميد ، وزارة الثقافة: 2007، ص:280

ومن هنا أصبح المبدع الحقيقي ـ في نظر نقادنا القدامى ـ هو الذي يستوعب الجهود الإبداعية المختلفة ، التي سبقته و عاصرته ، ينشرها و يوظفها في نصوصه الأدبية ، و مثل هذا التوظيف استخدموا له أوصافا مهذبة تصفه من مثل:"(الأخذ، الإحتذاء، و التضمين و الإقتباس و الإستشهاد و العقد ، و الحل و التلميح، و الإشارة و الإلمام ...)"[2]. كما انهم ألحقوا السرقات الأدبية إلى مباحث البلاغة العربية بعلومها الثلاثة،"و جعلوه خاتمة لمباحث الفن الثالث (فن البديع)، وذيلوا كتبهم بهذا الموضوع (السرقات الشعرية).. واشترطوا في ذلك **القصدية** كأن يفصح الشاعر في ثنايا شعره عن قائله الأصلي أو وضع اشارة تنبه إليه" [3] ومنه أدرك نقادنا أن التعلق النصي، أي دخوله في علاقة مع نص آخر، يكون بعدة طرق ومستويات متعددة منها:

ج ـ الإقتباس و أضربه:

ـيعرفونه جمهور البلاغيين بأنه تضمين النظم أو النثر ببعض القرآن لا على أنه منه، على أن لا يقول فيه : (قال الله) كقوله(أنا أنبئكم بتأويله، و أميز صحيح القول من عليله) تضمين للآية45من

[1] ـــ م ن :ص ن .
[2] ـــيراجع: دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، ص386إلى390
[3] ـــ التناص وجماليته ، جمال مباركي ، ص: 55،56

سورة يوسف" [1] . ومن معانيه المجازية:" اقتباس العلم و الخبر ؛ أي أخذته من غيرك و لم تعرض له من لقاء نفسك" [2] ،و الإقتباس عند الناقدين القدامى شكلا تناصيا و رافدا مهمّا من روافده ، يرتبط بالمدلول اللغوي .،و هو يتمثل في عملية (الإستمداد) ؛هذا الذي يتيح للمبدع أن يحدث انزياحا محدودا في خطابه لهدف اضفاء لون من القداسة ،على جانب من صياغته بتضمينه شيئا من القرآن أو الحديث النبوي .، مع شرط وجود **القصد النقلي** الذي أشرنا اليه في السابق مع الإشارة إلى اختلاف المذاهب الفقهية الإسلامية من الإقتباس من آيات الذكر الحكيم فمن الرافضين له كالمالكية و الساكت عنه كالشافعية، ولما كانت نصوص أدبية تستفيض بهذا الفن البديعي نثرا

.

طلبنا منكم حـــــبًّا ××× أجبـــتم فــــيه بالمنع

عذرناكم لأنكـــــــــم ××× __بواد غــير ذي زرع__

[1] ــ الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ط1،تدقيق،محمد فاضلي،الناشر أبحاث للترجمةو النشر و التوزيع:2007 ص406

[2] ــ أساس البلاغة، الزمخشري،دط، راجعه و قدم له : ابراهيم قلاتي،دار الهدى عين مليلة ،الجزائر د،ت ، ص: 520

[3] ــ البلاغة و التطبيق: أحمد البصير، حسن مطلوب،دط ، المكتبة الوطنية بغداد ، 1982، ص457،458

[4] ــ يراجع:

ــ الإيضاح في علوم البلاغة ،الخطيب القزويني ، ط1،اعتنى به محمد فاضلي،أبحاث للترجمة و النشر و التوزيع،2007ص409

ــ البلاغة و التطبيق، أحمد البصير، حسن مطلوب ،دط ، المكتبة الوطنية،بغداد،1982ص458

لئن أخطأت في مدحك ××× ما أخطأن في منعي

لقد أنزلت حاجـــــاتي ××× بواد غير ذي زرع

:

كان الذي خفت أن يكونا ××× إنا إلى الله راجعونا

"[1]

ـــ المسبار في النقد الأدبي ـــ دراسة في النقد للأدب القديم و التناص ـــ ،حسن جمعة ، دط ،منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق: 2003، ص151ـــ 166

* سورة: ابراهيم، الآية 37

[1] ـــ البلاغة و التطبيق، أحمد البصير، حسن مطلوب، ص459

* سورة البقرة الآية 156

[2] - الإيضاح في علوم البلاغة الخطيب القزويني، ص409

[3] - لسان العرب ابن النظور الإفريقي ، المجلد 14الطبعة الثالثة ، دار صادر للطباعة و النشر بيروت لبنان، 2004 ، ص:34)

[4] - الإيضاح في علوم البلاغة ،الخطيب القزويني ، ص409

.

مقدمته، وخاصة في فصل صناعة الشعر و وجه تعلمه حيث يقول:"لابد من كثرة الحفظ لمن يروم تعلم اللسان العربي وعلى قدر جودة المحفوظ وطبقته في جنسه و كثرته من قلته تكون جودة الملكة الحاصلة عنه للحافظ والملكات اللسانية كلــها إنما تكتسب بالصـــناعة "[2] ، فبيّن بذلك أهمية المحفوظ وأثره في التشكل الشعري، مقدرا جودة الشعر بما يجيد المبدع من حفظه الجيد لجيد الشعر، فتتكون لديه ملكات شعرية أو نثرية تحقق له الإبداع الأدبي ، وهو- ابن خلدون - بذلك ابتعد كثيرا عن سابقيه بنظرتهم السلبية للمصطلح، ليقترب مع العديد من النظريات الحديثة من خلال نظرته الإجابية له إذ يقول في فصل صناعة الشعر و وجه تعلمه :"و تلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب

و أشخاصها و يصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال"[3]، ومن هذا المنطلق اقترب المفهوم الخلدوني من مفهوم التناص، الذي ينظر إلى النص بشقيه الحاضر(الماثل) و النص (الغائب)، الذي يدخل في

[1] - م ن ، ص410
[2] - المقدمة ، ابن خلدون، ط7، دار القلم بيروت ، لبنان :1409- 1989م ، ص570
[3] - المصدر السابق، ص571

باب الاشتراك في المعاني و تداول الأفكار ، و هكذا تأخذ العملية التناصية بعدا جديدا ؛هي المحاكاة و التقليد ، التي تبحث محاولة تجديد الآليات التي تتحكم في عملية الانفتاح و الفهم ومن أهم هذه النظريات:

أ- **نظرية الإطار**:frame theory:يقترح (لمنسكي)في هذه النظرية أن معرفتنا مخزنةفي الذاكرة على شكل بنيات

.

ج ــ **نظرية الحوار**scenarios :و المقصود به إنسجام الكلام و ترابطه ،فذكر ذهابك لمقهى يحتم عليك أن

[1] ــ تحليل الخطاب الشعري ــ استراتيجية التناص، محمد مفتاح، ط3،المركز الثقافي العربي الدار البيضاء: يوليو1992 ص:123

[2] ــ للتوسع حول مفهوم النظريات الثلاثة يراجع : المرجع السابق ، ص: 123،124

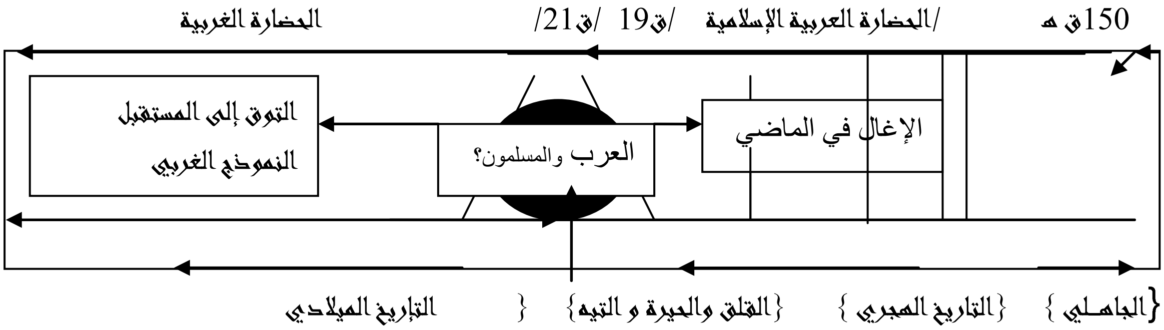

جدول يمثل مسار التراث والحداثة في الحضارة العربية و الإسلامية عبر العصور

1 ــ المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك ، عبد العزيز حمودة ، ص:11

2 ــ المقدمة، عبد الرحمن إبن خلدون ، ط7 ، دار القلم بيروت لبنان: 1409هــ1989،ص:397

3 ــ من النص إلى النص المترابط مدخل ألى جماليات الإبداع التفاعلي، سعيد يقطين ، ط1 ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب ،2005، ص22

4 - في فلسفة النقد، زكي نجيب محمود ، ط1، دار الشروق بيروت :1979،ص240

[1] ـــ الشعر و الشعراء ، إبن قتيبة ، دط ، وزارة الثقافة ، الجزائر: 2007 ص:10

*الخارجي: الذي يشرف بنفسه فهو شبيه بما يسمونه (العصامي)

[2] ـــ الشعرية العربية ، أدونيس ، ط1 ، باريس ،أيار 1984، دار الآداب بيروت:حزيران1985، ص101

[3] ـــ أنسنة النص، محمد سالم سعد الله ، ، ط1،إربد عالم الكتب الحديث:2007، ص 40

[4] ـــ سورة الحجرات: الآية 13

و يؤكد (عبد الله كليليطو) ما ذهبنا إليه إذ يقول:"..لا يسعنا إلا أن نلاحظ على العموم، غروب الدراسات البلاغية في العالم العربي. كانت البلاغة فيما مضى ، علما نابضا بالحياة، و إذا بها الآن لا تكاد تحرك أي فضول،كي نفسر هذا التحول؟ أظن أن الجواب سنجده إذا وضعنا اليد على ((**العلم**))الذي أخذ مكان البلاغة. ذلك أن علما ما لا يندثر إلاعندما يعوضه علم آخر.."[2]

5- النقاد العرب المعاصرون و التناص:

نحن لا ننكر أن هذا العلم قد ساهم بفضل بعض النقاد العرب المعاصرين في التطوير والتأثير على المصطلحات السابقة ذاتها، إذ عرجت بنقادنا نحوالتراث، ففتحت فيه نوافذا، كانت إلى زمن قريب شبه مغلقة ،وبعثت فيه الحياة و القدرة على خلق اتجاه قرائي جديد للسرقات الأدبية و غيرها التي تناولها القدماء، في حقولها القديمة، ما يشير إلى كون التناصية مرحلة جديدة ينطلق فيها القارئ مع النص الحاضر و النص الغائب، وهذه المرحلة تمكنه من جعل النص مفتوحاً أمام اللاحق والسابق والمعاصر في علاقات تتجاوزالمفاهيم القديمة في نقدنا التراثي . فالكاتب يدعو إلى تجنب السكونية و الجمود التي تؤدي إلى عدم التطور، وأن لا ننشغل بالماضي ونهمل الحاضر و المستقبل؛ فكل ماض كان في زمنه حداثة و ماكان حداثيا الآن سيكون تراثيا غدا ،على أن يكون ذلك في تأن، و في حدود ما يسمح به الشرع و الأخلاق الإسلامية، حتى يكون البناء

[1]ــ الإتجاهات الأساسية في علم اللغة ،رومان ياكوبسون،ط1 ، ترجمة :علي حاكم صالح و حسن ناظم، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب: 2002 ، ص:9

[2] ــ الأدب و الغرابة ،عبد الفتاح كيليطو، ط3، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت: نوفمبر 1997 ، ص56،57

مؤسسا على ركائز متينة ،و مستمدة من أصولنا و شخصيتنا ، وهناك رأي يوافق - إلى حد ما - هذا الرأي لرجاء عيد" الذي يدعو إلى ضرورة التحليل المتأني لما يعرف تلك الريبة التراثية تجاه النصوص لا لنقع في خطأ النقد القديم تحت مصطلحه السابق السرقة، وإنما لتتبع تحولات تلك النصوص واستكشاف قيم تحركها وتوظيفها وما تضيفه في إعادة إبداع جديد وتشكيل مخالف"[1] ويشطب أدونيس تجربةً فكرية وفلسفة ونقديّة حديثة ومعاصرة بعد أن يتساءل بدهشة عمّا قدمه النتاج الفلسفي العربي الراهن، والنتاج الفكري النقدي الراهن ضمن إشكاليات الفكر العربي وخصوصيتها. ويجيب بدهشة أيضاً:" تقريباً لا شيء! فبعضه وصفيّ وبعضه تعريب وتثاقف وكلّه يتحاشى البنية الدينية والمعنى المسبّق، حيث تكمن أسس الثقافة في المجتمع العربيّ. وكأنّ معياره هو مواجهة البنية الدينية والمعنى المسبّق، فالفكر العربي –فلسفةً أو نقداً- إذا أراد أن يتأسّس أولاً، لا بدّ أن يبدأ بتحرير النّص الأوّل من مسبّقات النصّ الثاني..."[2] و يرى أدونيس فيما يخص التراث و الحداثة إذ يقول:" ونحن اليوم إذ نقرأ ماضينا الشعري ، فليس لكي نرى ما رآه الخليل و اللاحقون ،و حسب ،وإنما لكي نرى ما غاب عنهم و ما لم يروه ، نحن اليوم نقرأ الفراغ أو النقص الذي تركوه . خصوصا أن التقنين و التقعيد يتناقضان مع طبيعة اللغة الشعرية. فهذه اللغة بما أنها لغة الإنسان في تفجره و اندفاعه و اختلافه ، تظل في توهج و تجدد ، وتغاير

لتفريغ النصوص، إن هذا أبعد صور الحقيقة على حالة الابداع ،و السر يكمن في طاقة الكلمة

---

[1] ــ النص والتناص، رجاء عيد، مجلةعلامات 18 مجلد5،ديسمبر1995. ص95

[2] ــ النقد و الخطاب محاولة قراءة في مراجعة نقدية عربية معاصرة ،مصطفى خضر: منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق: 2001 ص15ــ16

[3] ــ الشعرية العربية ،أدونيس، ط1،محاضرات ألقيت في الكوليدج دو فرانس،باريس،أيار1984،دار الآداب بيروت، 1985

[4] ــ فكرة السرقات الأدبية ونظرية التناص، عبدالملك مرتاض ، علامات :عدد1،مايو 1991م.ص 69ــ93

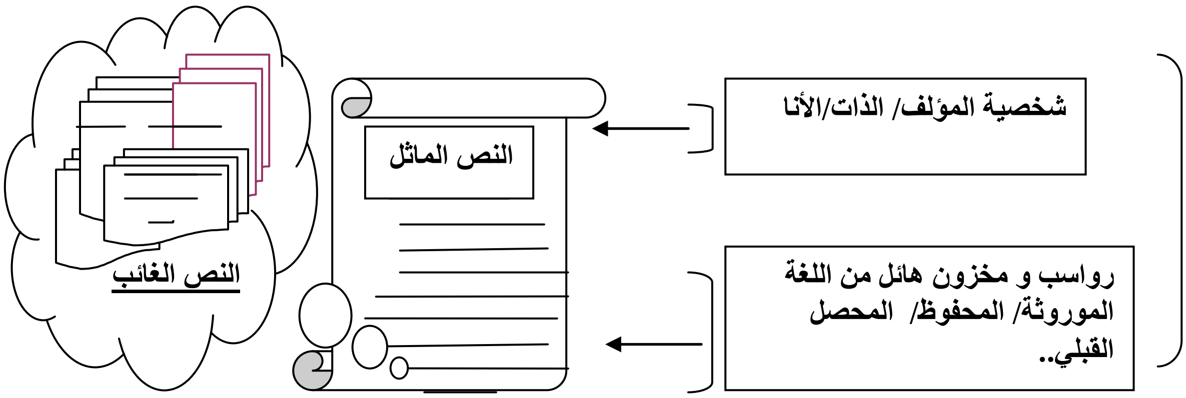

وقدرتها على الإنعتاق ، فالكلمة و هي موروث رشيق الحركة من نص إلى آخر لها قدرة على الحركة أيضا بين المدلولات ، بحيث أنها تقبل تغيير هويتها و وجهتها حسب ماهي فيه من سياق"[1] ، فالناقد من خلال قوله يبحث عن نوع من المثاقفة بين التراث النقدي العربي و الغربي، للوصول إلى جوهر النظرية التي تفيد العملية النقدية و الأدبية على حد سواء، كما حدد مفهومه للتناص وربطه بالإقتباسات، إذ يرى في التناص :" أنه يستمد وجوده من المخزون اللغوي الذي يعيش في داخل الكاتب مما حمله معه على مر السنين، و هذا المخزون الهائل من الإشارات و الإقتباسات جاء من مصادر لا تحصى من الثقافات ، و لا يمكن استخدامه إلا بمزجه و تأليفه..."[2] و يرى أحمد الزعبي أن مصطلحات الاقتباس والتضمين والاستشهاد هي نماذج من التناص يستحضرها الكاتب إلى نصه الأصلي لوظيفة فنية أو فكرية منسجمة مع السياق الروائي، سواء كان هذا التناص نصاً تاريخياً أم دينياً أم أدبياً ،ويسمي هذا النوع (التناص المباشر)، وهو الاقتباس بلغة النص نفسها التي ورد فيها وضرب أمثلة من ذلك: الآيات القرآنية، والأحاديث والأشعار والقصص، أما ما يقتبس بروحه أو مضمونه عن طريق التلميح أو الإشارة أو الرمز فهو التناص غير المباشر"[3]. كما أن المعارضات الشعرية و هي أحد الحقول النقدية القديمة التي أسالت الكثير من الحبر،بعد أن وجد النقاد العرب المعاصرون مستنداً آخر ارتهنوا إليه في توافقه مع التناصية،و إن جاءت في المرتبة الثانية بعد السرقات الأدبية، إذ نلاحظ أن (سعيد يقطين) قد توصل في بحثه إلى وصف النقائض بين (جرير) و(الفرزدق) خير مثال لمفهوم النصية الجامعة

---

1 ــ الخطيئة و التكفير ،عبد الله الغذامي: د،ط، النادي الأدبي الثقافي ،جدة السعودية :د،ت، ص:324
2 ــ المرجع السابق : ص:10
3 ــ التناص التاريخي والديني ، أحمد الزعبي: ،مجلة أبحاث اليرموك، مجلد13، عدد1، 1995م، ص 169ــ200.

[1] ــ التفاعل النصي والترابط النصي، سعيد يقطين: ، علامات ج32، مجلد8،مايو1999م، ص217–236
[2] ــ مصطلحات النقد العربي السيماءوي الإشكالية و الأصول و الإمتداد، مولاي علي بوخاتم ، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق 2005 ص:190
[3] ــ تحليل الخطاب الشعري ــ استراتيجية التناص ــ ، محمد مفتاح،ص:120
[4] ــ م ن ، ص: 119

مع ضرورة وجود صلة تاريخية بينهما، حتى يحدث التأثير، كما سنتطرق إليه في علاقة التناص

.

1- مظاهر التناص:

أ- النص الغائب:و نقصد به النص السابق أو المعاصر الذي يشتعل عليه النص الحاضرو يتفاعل معه

ب - **السياق:**إن المعرفة بالسياق شرط أساسي للقراءة الصحيحة التي يتمظهر من خلالها (التناص)للقارئ، ولا تكون هذه القراءة كذلك ، إلا إذا كانت منطلقة منه؛لأن النص عبارة عن توليد

[1] ـــ مصطلحات النقد العربي السيماءوي الإشكالية و الأصول و الإمتداد ، مولاي علي بوخاتم ، ص:191

سياقي ينشأ من عملية الإقتباس الدائمة من المستودع اللغوي ، و هذا السياق قد يكون عالم الأساطير أو حضارة أو تاريخيا أو خلقية نصية.. و هو ما يمكن تسميته بالمرجعية التي تفرض و جودها داخل النص، و التي تمثل(السياق الذهني)بالنسبة للقارئ ،أي المخزون النفسي لتاريخ سياقات الكلمة"[1] فالنص المتداخل بحاجة إلى قارئ يمتلك هذا السياق الشمولي الواسع، ينطلق منه في دراساته التناصية للنصوص، و من ثم تكون الذات القارئة قادرة على إنتاج الدلالة المتوخاة من طرف الذات المبدعة و القابعة خلف التناص و هذا السياق الشمولي هو ما قصده (جيرار جنيت) عندما صرح قائلا: " فموضوع الشعرية ليس النص و إنما جامع النص" [2]

ج- المتلقي:المتلقي عنصر هام في عملية الكشف عن التناص ، من خلال الإعتماد على ذاكرته لهذا يشترط في المتلقي أن يمتلك مرجعية ثقافية واسعة تمكنه من الولوج في عالم التناص ،عن طريق القراءة و إعادة الكتابة باستخدام الفهم التأويلي لها ؛فالنص كالتربة ذات طبقات ، سطحية و عميقة و على القارئ أن يتولى الحفروالبحث في جيولوجيا هذه التربة بحثا عن تناص داخلي أوخارجي محاولا فك الإرتباط بين هذه النصوص من حيث المبنى و المعنى يقول (رولان بارث):"..القراءة تجعل المكتوب بدايات لا تنتهي إنها تكور المكتوب على نفسه،فهو لا يزال بها يدور،حتى لكان بداية فيه تظل بداية ، ولذا كانت نصوص البدايات المفتوحة إنها تكتب و تقرأ و لكنها لن تبلغ كمالها كتابة و لا تمامها قراءة ولعل هذا هو السر في أنها كانت نصوص لذة.) "[3] وهكذا يبدو أن" لذة النص ليست قطيعة مع التراث بل هي التراث ممتدا إلى ما لا نهاية"[4] و المتلقي المقصود هنا هو الذي يمتلك الذوق الجمالي بالإضافة إلى مرجعية ثقافية واسعة تمكنه من الغوص في عالم التناص فتصبح قراءته للنصوص هي إعادة كتابة عن طريق الفهم التأويلي لها.و هذا وما يؤكده (رولان بارث):"أن النص مصنوع من كتابات مضاعفة و هو نتيجة لثقافات متعددة تدخل كلها في حوار و محاكاة ساخرة و تعارض، و لكن ثمة مكان تجتمع فيه هذه التعددية و هذا المكان ليس الكاتب كما قيل إلى الوقت الحاضر إنه القارئ"[5]

[1] ــ انفتاح النص الروائي ــ النص و السياق ــ ، سعيد يقطين ، ط1، المركز الثقافي العربي،المغرب: 1989 ،ص:34

[2] ــ التناص و جمالياته في الشعرالجزائري المعاصر ،جمال مباركي ، ص:151

[3] ــ لذة النص الأعمال الكاملة1، رولن بارث ، ط1 ،ترجمة، منذرعياشي مركز الإنماء الحضاري، حلب سوريا،1992،ص: 118

[4] ــ م ن، ص: 15

[5] ــ نقد و حقيقة ، رولان بارث، ط1، ترجمة منذر عياشي مركز الإنماء الحضاري للترجمة و النشر:1994 ، ص 9

د- شهادة المبدع:يمكن للتناص أن يتمظهر بناء على شهادة الشاعر الذي يشير أو يصرح بمرجعيته الفكرية والإنشائية فيعلن عن الثقافات و النصوص التي يقتبس منها ذلك، ومع ذلك يبقى النص المقروء يجمع بين عدة نصوص لا نهائية، يستمدها من هذه الثقافة التي ينتمي إليها ، غير أن الباحث لا يعول كثيرا على هذه الشهادة التي تصرح بالمرجعية الفكرية و الإنشائية ،خاصة إذا تعلق الأمر برصدالتداخل النصي داخل الخطاب الشعري المعاصر ،الذي تتعدد فيه الأصوات نظرا لما يحتويه من زخم ثقافي، يضم تاريخ الموروث الإنساني بشتى أشكاله ، و يحاور مختلف الثقافات والحضارات حتى ليبدو النص المعاصر"[1] كأنه فسيفساء من نصوص .

إن قراءة النصوص الغائبة وإعادة كتابتها تخضع لعدة مستويات، تبرز مدى قدرة أي شاعر في التعامل مع هذه النصوص؛"لأن كتابة النص هي قراءة نوعية بوعي خاص يتحكم فيها نسق النص"[2] وهناك عالمان من أعلام النقد المعاصرحددا مستويات التناص و هما:(جوليا كريستيفا) في النقد الغربي و (محمد بنيس) في النقد العربي.

2- مستويات التناص:

أ- مستويات التناص عند جوليا كريستيفا: حددت "جوليا كريستيفا' ثلاث مستويات لفهم التناص وسياقته:

- **النفي الكلي**: في هذا المستوى يقوم فيه المبدع بقلب معنى النص المرجعي حيث تكون الإشارة إلى النصوص الغائبة تلميحية، أو نفيها نفيا كليا دلاليا، وفي هذا المستوى يتطلب ذكاء القارئ الذي هو المبدع الحقيقي الذي يفك رموز الرسالة و يعيدها إلى منابعها الأصلية.

- **النفي المتوازي:**هذا المستوى يعتمد على ما يشبه الإقتباس أو التضمين في الدراسات البلاغية العربية القديمة في توظيف النصوص الغائبة بحيث يحافظ على المعنى المنطقي ،و بذلك يظل معنى النص المرجعي و النص الموظف هو نفسه.

- **النفي الجزئي**:يعتمد فيه المبدع (الشاعر ،الكاتب) بأخذ جزء من النص الأصلي ليوظفه داخل خطابه مع نفي جزئه أو بعض الأجزاء منه .

ب - مستويات التناص عند محمد بنيس:لقد حدد محمد بنيس التداخل النصي تبعا لقراءة الشعراء للنص الغائب ثلاث مستويات تتخذ صيغة قوانين و" هذه القوانين تحديد لطبيعة الوعي التي تتحكم في

[1] ــ التناص و جمالياته،جمال مباركي، ص155
[2] - ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب ،محمد بنيس : ص252

قراءة كل شاعر لنص من النصوص الغائبة"[1] ويتراوح هذا الإستخدام بين طرائق ثلاثة هي: التناص الإجتراري، التناص الحواري، التناص الإمتصاصي.

ـ التناص الإجتراري: وفيه يعيد الشاعر كتابة النص الغائب بشكل نمطي جامد لا حياة فيه، و قد ساد هذا النوع التناصي في عصور الإنحطاط ، حيث تعامل الشعراء في تلك الفترة مع النصوص الغائبة بوعي سكوني خال من التوهج و روح الإبداع و بذلك ساد تمجيد بعض المظاهر الشكلية الخارجية في انفصالها عن البنية العامة للنص كحركة و صيرورة ، و كانت النتيجة أن أصبح النص الغائب نموذجا جامدا ، تضمحل حيويته مع كل إعادة كتابية له".[2]

ـ التناص الإمتصاصي:و هو متقدم في الشكل الفني ، إذ يعيد الشاعر كتابة النص وفق متطلبات تجربته و وعيه الفني بحقيقة النص الغائب شكلا و مضمونا و هذا يمثل" مرحلة أعلى من قراءة النص الغائب و هو القانون الذي ينطلق أساسا من الإقرار بأهمية هذا النص و قداسته فيعامل و أياه كحركة و تحول لا ينفيان الأصل"[3]

ـ التناص الحواري:وهو أرقى مستويات التعامل مع النص المتعالي أو الغائب، حيث يعيد الشاعر كتابته على نحو جديد وفق كفاءة فنية عالية ، و لا يقوم بهذا العمل إلا الشاعر المحنك ؛ ذلك ما يتميز به هذا المستوى من خصوصية إذ يعتبر" هو أعلى مرحلة من قراءة النص الغائب، الذي يعتمد النقد المؤسس على أرضية عملية صلبة تحطم مظاهر الإستيلاب مهما كان نوعه و شكله و حجمه،لا مجال لتقديس كل النصوص الغائبة مع الحوار ، فالشاعر أو الكاتب لا يتأمل هذا النص و إنما يغيره و بذلك يكون الحوار قراءة نقدية علمية"[4]

3 ـ أنواع التناص :

أـ التناص الكاشف:و نقصد بها الكشف عن المصادر الأساسية الخلفية و النصية للأديب سواء من حيث الفكرة المركزية التي ينطلق منها ، أم من حيث الأفكار التي تتراكم في إبداعاته و المستمدة من عدة ثقافات و تيارات ، و عصور مختلفة، أم من حيث الأفكار المعاصرة له و التي تتقاطع و تتناص مع أفكاره الخاصة به و يمكن تحديدهاكما يلي:

[1] ـظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، دط ،محمد بنيس،دار العودة ،بيروت، دت ، ص253
[2] ـم ن، ص ن
[3] ــ م ن ،ص:253
[4] ــ المرجع السابق، ص ن

ب - التناص الذاتي:" علاقات تعقدها نصوص الكاتب بعضها مع البعض الآخر ،و التي تكشف بدورها عن الخلفية النصية التي يتعامل معها الكاتب"[1] وعليه فإن التناص الذاتي مهم للغاية في معرفة ثقافة الأديب و مصادره ، وكيفية تناص إنتاجه تناصا ذاتيا. ويشترط في هذا النوع من التناص على الكاتب حتى يكون مبدعا ،أن لا يقف عند حد دلالاته القديمة و معانيه الثابتة دون ابتكار أو تجديد ،بل عليه تجاوز التجربة السابقة إلى كتابة أكثر انفتاحا على الخلفيات النصية .

ج - التناص الداخلي:في هذا المجال يكون التناص أوسع مما سبق حيث يرتكز على استراتيجية التحوير و الإمتصاص و التفاعل النصي ، فيكشف لنا علاقة نصوص الشاعر بالمخزون الثقافي الذي ينتمي إليه ،بمعنى علاقة نصوص الكاتب التي نحن بصدد دراستها بنصوص معاصريه خاصة ،إذ يرى محمد عزام:"أن التناصّ الداخلي هو حوار يتجلى في (توالد) النصّ و (تناسله) وتناقش فيه: الكلمات المفاتيح أو المحاور، والجمل المنطلقات والأهداف، والحوارات المباشرة وغير المباشرة. فهو إعادة إنتاج سابق، في حدود من الحرية "[2]

د- التّناصّ الخارجي: فهو حوار بين نصّ ونصوص أخرى متعددة المصادر والوظائف والمستويات. واستشفاف التناصّ الخارجي في نصّ عملية ليست بالسهلة، وعلى الخصوص إذا كان النصّ مبنياً بصفة حاذقة. ولكنها مهما تسترت واختفت فإنها لا يمكن أن تخفى على القارئ المطلع الذي بإمكانه أن يعيدها إلى مصادرها. إذن هناك نصّ مركزي يتجلى في النصوص السابقة، ونصوصاً فرعية تتمثل في النصوص اللاحقة .ومن المبتذل أن يقال إن الأديب يمتصّ آثار غيره من السابقين أو المعاصرين، أو يحاورها، أو يتجاوزها. والدراسة العلمية التحليلية هي وحدها التي بإمكانها اكتشاف السابق في اللاحق، والموازنة بينهما، لرصد سيرتهما، وتجنب اعتبار النصّ كياناً منغلقاً على نفسه. وبهذا يمكن موضعة النصّ في مكانه من خارطة الثقافة التي ينتمي إليها، وفي حيزه الزماني المحدد."[3] و بعض النقاد يضيفون إلى هذا العنصرما يلي:**التناص الظاهر**:ويدخل ضمنه الإقتباس و التضمين ، ويسمى الإقتباس الواعي أو الشعوري؛ لأن المؤلف يكون على علم به و أنه تعمد في ذلك.**التناص الشعوري** أوتناص الخفاء،و فيه يكون المؤلف غير واع بحضور النصوص

[1] ــ تداخل النصوص في الرواية العربية، حسن محمد حماد، دط ،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1998م ، ص45
[2] ــ النص الغائب، محمد عزام، ص:30ــ31
[3] ــ المرجع السابق ، ص31

الأخرى في نصه الجديد، و يقوم على الإمتصاص و التحويل و التفاعل "[1]

4ـتناسل النصوص:هل (التّناصّ) في الشكل؟ أم في المضمون؟ أم في كليهما معاً ؟ يرى محمد عزام: " أن التناص في كليهما، لأن الشاعر يعيد (في المضمون) إنتاج ما تقدمه وعاصره من نصوص مكتوبة وغير مكتوبة، أي ينتقي منها صوراً أو مواقف أو تعابير. ولكن لا مضمون خارج الشكل والشكل هو المتحكم في المتناص.والنصوص الأولى إذا تناسلت فهذا دليل على الإعجاب، حتى أن كل شاعر جاء تالياً حاول تقليدها أو محاكاتها. وهذا دليل على استمراريتها بأشكال متعددة، وألوان مختلفة."[2]

5 ـ الخطوات الإجرائية لكشف التناص:

أـ الروافد الشخصية:إن المفتاح الحقيقي لأي نص مع نص آخر يستلزم منا البحث عن الروافد الأساسية التي شكلت شخصية الكاتب أو الأديب، لأن النص لا يوجد بمعزل عن ذاتيته ،و العلاقة بينهما علاقة جدلية وعلى اعتبار أن القارئ ذكي لعصره و للثقافات السابقة له، وهذا لا يتأتى الكشف عنه إلا بالممارسة و الإيغال في الترسبات النقدية الثقافية في أعماق الأديب ؛مما يجعلنا قادرين على الإمساك ببعض خيوط تناصاته الخفية، لأن المفتاح الحقيقي لأي مبدع لا يمكن أن نتمكن منه بسهولة ويسرمما يجعل الباحث عن هذا المفتاح كالساعي إلى القبض على السراب ،إذا لم يكن ذا دراية واسعة بأهم العوامل التي شكلت شخصية الأديب" [3] من خلال تداخلاته النصية" يدخلنا مباشرة إلى ترسباته وبذلك نتجاوز السطوح التناصية اللامعة في جسد النص ، و التي تبدو لنا كقمم الثلج التي تخفي النصوص المكونة له ، تلك النصوص المتقاطعة و المتصارعة داخل الذات المؤلفة"[4]

ب ــ **عتبات النص:** أو (بوابات التواصل)التي تمكن القارئ من الإنفتاح على معمارية النص و أبعاده الدلالية و الثقافية ، لأن هذه البوابات تفتح لنا نافذة علىالوظيفة التأليفية للنص والتركيبات البنائية و استراتيجيته"[5] و عليه وجب مراعاة النصوص التي تحيط به ، ومن خلال معرفة سياجاته أو ما يعرف بالنص الموازي، فهذا الذي يقودنا إلى الكشف عن استراتيجية

[1] ــ تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص ،محمد مفتاح، ص: 124ــ125

[2] ــ النص الغائب، محمد عزام ، ص:30ــ31

[3] ــ تداخل النصوص في الرواية العربية،: حسن محمد حماد، ص: 35

[4] ــ تداخل النصوص في الرواية العربية،: حسن محمد حماد ، ص: 53

[5] ــ م ن ، ص:63

*التمطيط:هي آليات تؤدي إلى أيقونية الكتابة أي علاقة المشابهة مع واقع العالم الخارجي

الكتابة للحقل المعرفي، رغم أن الأديب مهما كان فإنه لن يكون صادقا في إعطاء مفاتيح إحساساته و عواطفه و انفعالاته ، بمدلولها الحقيقي نتيجة لظروف كثيرة، فمنها ما يتصل بذاته أو وظيفته أو فنية النص ، مما يفرض عليه إشارات خفية ليطلق صراح قلمه من عوائق كثيرة ويكون هذا عن طريق التمطيط*: (الشرح ،الإستعارة،التكرار ،الإيجاز التصحيف،القلب).إن ماذكر من آليات هو أساس هندسةالنص الشعري مهما كانت طبعة النواة ، وكيف ما كانت مقصدية الشاعر، فإذا قصد الإقتداء فإنه يمطط مادحا ، و إذا توخى السخرية قلب مدحه إلى ذم بالكيفية نفسها"[1] و من أهم مانجده في هذه العتبات و الأكثر بروزا: العنوان،التصدير،الإهداء إلى غير ذلك من المصابيح التي تضيئ جوانب النص فتساعد القارئ على الإمساك ببعض عناصره التي لاقحت أو تواصلت فيه مع النصوص الأخرى.يقول محمد حماد:" إن العنوان يمثل العتبة الأولى من عتبات النص ، فهو يعلن عن قصدية النص ، ويكشف بنيته، ولهذا الإعلان أهمية خاصة في كشف الخصوصية النصية عند التلقي عبر سياقات نصية تبرز طبيعة التعليقات التي تربط هذا العنوان بنصه، كما تربط النص بالعنوان".[2]

ج ـ لكل نصّ قراءة:من المسلّمات التي يعرفها الأدب هي عدم وجود قراءة نموذجية خاصة بالنص الأدبي، وانطلاقاً من أن لكل نص تكويناً بنيوياً فريداً يميزه عن النصوص الأخرى، ويميّز هويته فإن القراءة الواحدة أو النموذجية هي قتل لهذا النص.قد نتساءل لماذا يقبل النص قراءات عديدة دون أن تدخل مع بعضها في تعارض؟ .إن الإجابة عن ذلك قد وفرتها لنا نظرية النص الأدبي وهي "أن يتكوّن من مجموعة من العلاقات المتشابكة وكل ناقد يأخذ على عاتقه فكّ نوع أو نوعين من هذه العلائق، ويمكن أن نرد ذلك أيضاً إلى تعدد المستويات في النص الواحد، فهناك المستوى اللغوي والمستوى الاجتماعي والثقافي السياق الحضاري.وقد تختص مرحلة من المراحل بتحليل مستوى معيّن ويصبح ميزة لها كما قد يتناول أصحاب اتجاه إيديولوجي معين بمستوى محدد يركزون عليه جلّ أبحاثهم النظرية ويطبقون عليه مقولاتهم النقدية."[3]

د ـــ **القـــارئ:** ويمكن تلخيص ذلك فيما يلي: الاستباقُ والتبسيطُ،القراءةُ بصـــفتها توقعاً،كفـــاءاتُ

[1] ـــ يراجع : تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، محمد مفتاح،ص: 125إلى129

[2] ـــ تداخل النصوص في الرواية العربية، حسن محمد حماد ،ص:59

[3] ـــ الظاهرة الشعرية العربية ،(الحضور و الغياب ـــ دراسة ـــ) د.حسين حمدي،دط ،منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق:2001 ص:56ـــ57

القارئ،خبراتُ القارئ" [1]

6-**المفاهيم التّناصّية:** بعض الباحثين يرغب في تكثير مفاهيم (التّناصّ)، رغبة في الوصول إلى أدق جزئيات هذا المصطلح الجديد، ومن هذه المفاهيم:

-**التّنــاصّ:** INTERTEXTULITY ظهر كمصطلح للمرة الأولى على يد (جوليا كريستيفا) عام 1966 في مجلة (تل كـل) TEL QUEL الفرنسية. وهي ترى أن "كل نصّ هو عبارة عن فسيفساء من الاقتباسات وكل نصّ هو تشرّب وتحويل لنصوص أخرى".

-**التفاعل النصّي:** بين بنيتين: بنية النصّ، والبنيات النصّية، لا يكون مباشراً دائماً، فقد يكون ضمنياً عندما ينتج نصّ ما حاملاً صور نصوص أخرى من خلال تبنينه الجديد. و (التفاعل النصّي) مصطلح يؤثره بعض النقاد على مصطلح (التّناصّ).

-**البنيات النصّية:** حيث ينتج كل كاتب نصوصه ضمن بنية نصّية معاصرة له، أو سابقة عليه.

-**التعالق النصّي:** HYPERTEXTUALITY الذي يرى أن النصّ اللاحق يكتب النصّ السابق بطريقة جديدة.

-**المناصّ** PARATEXTE وهو ما نجده في العناوين، والمقدمات، والخواتم،وكلمات الناشروالصور.

-**المصاحبات الأدبية** PARA LITERATURE هي الاستشهادات الأدبية التي تدخل في بنية نصّية معينة.

-**التّناصّية:** هي مجموعة من العلاقات التي نراها بين النصوص. وهي تتجاوز قضية التأثر والتأثير إلى أمور تتعلق بالبنية والنغم والفضاء الإبداعي."[2]

-**المتناصّ** INTERTEXT :هو مجموعة النصوص التي يمكن تقريبها من النصّ سواء كانت في ذاكرة الكاتب أو القارئ، أم في الكتب. وهو النصّ الذي يستوعب عدداً من النصوص، ويظل متمركزاً من خلال المعنى . بينما يناقش ريفاتير الخلط السائد بين (التناصّ) و (المتناصّ) فيرى أن (**المتناصّ**) هو مجموع النصوص التي يمكن تقريبها من النصّ الموجود تحت أعيننا، أو مجموع

[1] ـ نظريات القراءة و التأويل الأدبي و قضاياها، حسن مصطفى سحلول ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق: 2001 ،ص:79

[2] ـ يراجع: النص الغائب، محمد عزام ، ص:30ـ31

النصوص التي نجدها في ذاكرتنا عند قراءة مقطع معين."[1]

- المتعاليات النصّية: TRANS TEXTUALITY :"هي كل ما يجعل نصّاً يتعالق مع نصوص خرى، بشكل ضمني أو مباشر. وقد خصص لها جيرار جينيت كتاباً بأكمله سماه: PALIM PSESTES. SEUIL. PARIS 1983 حدد فيه أنماط (المتعالقات النصّية) في خمسة أنواع هي:النصّ ومعماره،والتّناصّ،والميتانصّيةوالمناصّة والتعلق النصّي. وهذه الأنواع تتداخل فيما بينها.

7 - أشكال التناص:إن العمل الأدبي يدخل في شجرة نسب عريقة وممتدة كالكائن البشري .فهو بذرة خصبة تؤول إلى نصوص تنتج عنه، كما أنه نتاج لما سبقه حاملا معه بعض الصفات الوراثية ممن قبله .وتختلف هذه الاستفادة إما بالكتابة عن النص ذاته، أو بتفجير نص آخر في نفوسنا ينشأ من تفاعلنا مع النصوص المقروءة التناص القرآني: بحث يقتبس الأديب نصاً قرآنياً، ويذكره مباشرة، أو يكون ممتدا لنصه كنص ضمني **وتناص** التراث الشعبي: وتكون المحاكاة فيه على مستوى اللغة الشعبية.**ــ التناص الوثائقي**: وهذا النوع في النثر أكثر منه في الشعر كالسرد والسيرة، فيحاكي النص نصوصاً رسمية كالخطابات، والوثائق، أو أوراق أخرى كالرسائل الشخصية والإخوانية؛ لتكون نصوصهم أكثر واقعية .ــ **التناص والأسطورة**: وهي تتشابه مع سابقها من ناحية الاستفادة من التراث، لكنها تختلف من ناحية أن الأسطورة غالباً ما هي موروث؛ لكنه يوناني، أو غربي، و إن كانت قليلة في **الأساطير العربية.**

8ــ أنواع التناص:تناص مباشر(تناص التجلي) أو غير مباشر (تناص الخفاء)التناص المباشر:فيدخل تحته ما عُرف في النقد القديم بالسرقة و الاقتباس، والأخذ والاستشهاد والتضمين، فهو عملية واعية تقوم بامتصاص وتحويل نصوص متداخلة، ومتفاعلة إلى النص . ويعمد الأديب فيه أحياناً إلى استحضارنصوص بلغتها التي وردت فيها، كالآيات القرآنية والحديث النبوي، أو الشعروالقصة ."[2]

---

[1] - م ن ، ص:30-31

[2] ــ المرجع السابق ، ص:32

التناص غير المباشر: فينضوي تحته التلميح والتلويح والإيماء، والمجاز والرمز، وهو عملية شعورية يستنتج الأديب من النص المتداخل معه أفكاراً معينة يومئ بها ويرمز إليها في نصه الجديد .ويحلوللبعض تفريعه بإيجابي وآخر سلبي،ويقصد بالأول إنتاج أفكار قديمة بأسلوب جديد أما السلبي فهو كالصدى المكرر للنص الذي سبقه .إلا أن جميع هذه الأنواع تعتمد على فهم المتلقي وتحليله للنص .

آليات التناص:ومن آليات التناص التي ينبغي أن يعرفها الناقد أو المحلل أو القارئ ،أثناء مقاربته للنص الأدبي، والتي تساعد ه على معرفة النص وسبر أغواره، نذكر المفاهيم التالية:

ــ **المستنسخات النصية** :هي ألفاظ وشواهد وعبارات واقتباسات بارزة....

ــ **المقتبسات النصية**:تكون في بداية الرواية أو الفصل أو المتن في شكل نصوص ومقاطع وفقرات موضوعة بين علامات التنصيص .

الاقتباس: هو أن يأخذ المبدع القرآن والسنة ويدرجه في كلامه بطريقة صريحة أو غير صريحة.

-**التضمين** :أن يضمن المبدع كلامه شيئا من مشهور الشعر أو النثر لغيره من الأدباءوالشعراء.

-**المحاكاة**: يلتجئ المبدع إلى توظيف المقتبس أو المستنسخ بطريقة حرفية دون أن يبدع فيها.

-**الإحالة:** غالبا ما نجد الكاتب يوظف بعض الكلمات أو العبارات التي توحي بإشارات أو إحالات مرجعيةرمزية أو أسطورية.

المتناص :métatexte ينطلق المبدع من عمل أو حدث أو فكرة أو مرجع أو مصدر لمبدع آخر فيحاول محاكاته أو نقده وحواره .

ــ **الاستشهاد:** يورد المبدع مجموعة من الاستشهادات التي يضعها بين قوسين أو بين علامات التنصيص للاستدلال والإحالة وتدعيم قوله.[1]

الهوامش النصية_ :يورد المبدع في عمله الإبداعي المتن ويذيله بهوامش إحالية ومرجعية. وغالبا ماتوضع هذه الهوامش في أسفل النص أو في آخر العمل، حيث تقوم بوظيفة الوصف والتفسير لما غمض من النص، وما يحمله من إشارات نصية.

[1] ــ النص الغائب، محمد عزام ، ص:32

ـ **الحواشي النصية:** قد يرفق المبدع نصه بحواش في بداية العمل أوفي نهايته ؛لتفسير النص من خلال تحديد سياقه وإبراز مناسبته أو شرح بعض الألفاظ أو تفسير بعض أسماء الأعلام

الباروري: هي عبارة عن محاكاة ساخرة يتقاطع فيها الواقع واللاواقع، الحقيقة واللاحقيقة، الجد والسخرية، النقد والضحك اللعبي.

التهجين أو الأسلبة: هو المزج بين لغتين اجتماعيتين في ملفوظ لغوي وأسلوبي واحد، وهذا يعبر عن البولوفونية(التعددية) اللغوية القائمة على تعدد الأصوات واللغات والأساليب والخطابات ..

الحوار التفاعلي: يعد أعلى مرتبة في التواصل مع النصوص والتعالق بها واستنساخها. أي إن المبدع لا يقف عند حدود الامتصاص والاجترار والاستفادة، بل يعمد إلى ممارسة النقدوالحوار.

-المعرفة الخلفية: هي تلك المعرفة التي يتسلح بها قارئ النص اعتمادا على التشابه النصي السيناريوهات والخطاطات والمدونات، والتي بها يحلل النص ويفككه ويعيد تركيبه من جديد

-النص الموازي: هو عبارة عن مجموعة من العتبات المحيطة داخليا وخارجيا تساهم في إضاءة النص وتوضيحه كالعناوين والإهداء والأيقون والكتابات والحوارات والمقدمات.."[1]

[1] ــ م ن ،ص:32ـــ33

الفصل الأول

الإمام علي و روافده الثقافية و أثاره في نهج البلاغة

إن المفتاح الحقيقي لمعرفة علاقة نص مع نص آخر، يستلزم منّا البحث عن الروافد الأساسية التي شكلت شخصية الكاتب أو الأديب؛ لأن النص(نهج البلاغة) لا يوجد بمعزل عن ذاتية المؤلف و العلاقة بينهما علاقة جدلية، فالأديب تتجاذبه ثقافات محلية و إقليمية و عالمية، و ترسبات اجتماعية و نفسية في تكاملها وتنافرها،لأن ثقافة الأديب تتلون **من (الأنا و الآخر و العالم)** فهذه الثلاثية لها أبعادها في كل نص إبداعي تقني و فكري، و الكشف عنها قد يزيل الكثير من الغموض عن التناصات الأدبية و الفكرية و الحوارات بين هذه المكونات الأساسية " [1] .

وعليه سنقوم في هذا الفصل بإجراء هذه الخطوات للكشف عن هذه الثلاثية بأبعادها ، والتمكن من الإنفتاح على معمارية النص في حكم نهج البلاغة، بأبعاده الدلالية و الثقافية والفكرية و الأسلوبية فهي السبيل الوحيد لمعرفة الوظيفة التأليفية للنص في حكم الإمام لاحقا ،و التعرف على هذه التناصات. و استنادا إلى الوقائع التاريخية لثقافة الإمام علي (رضي الله عنه) يمكن حصرها في ثلاث مراحل أساسية : حياة الإمام علي (ض) في عهد الرسول (ﷺ)، فهي المدرسة الأولى،والرافد المهم والمحوري في التأسيس الهوياتي للإمام قبل البعثة ،و بعدها ، و ما أحدثه الإسلام من تغيرات جذرية في كثير من مناحي الحياة ، ثم تلي مرحلة ما بعد وفاة الرسول(ﷺ) في خلافة أبي بكر وعمر بن الخطاب و عثمان بن عفان (رضي الله عنهم أجمعين) و أخيرا الإمام علي في خلافته ـ رضي الله عنه ـ و ما وقع فيها من أحداث سياسية و فكرية طرأت في حكمه ـ

[1] ــ تداخل النصوص في الرواية العربية،حسن محمد حماد،ص35

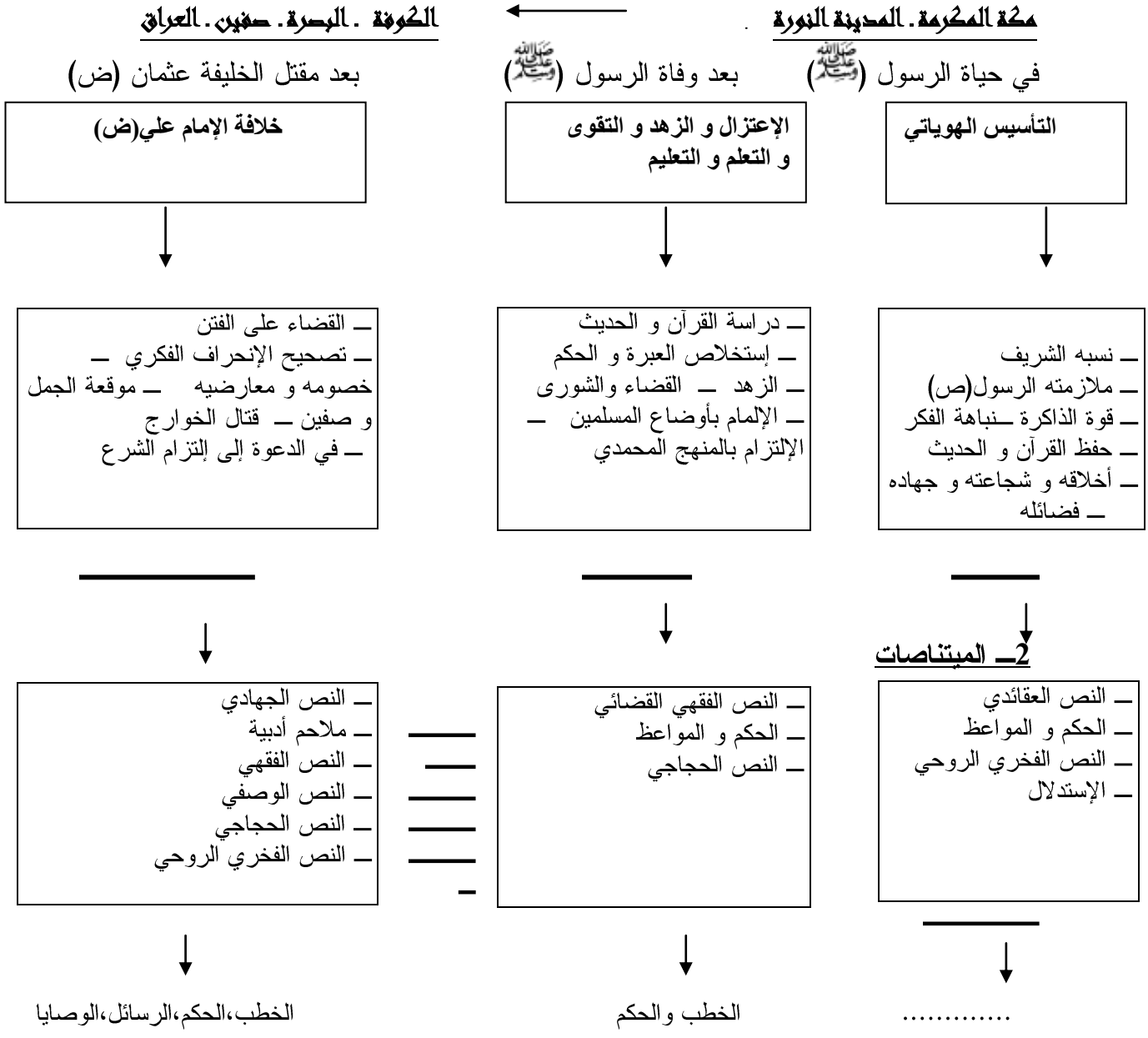

3 ـ جامع النص: كتاب نهج البلاغة

ـ المناص:ينطلق المبدع من عمل أو حدث أو فكرة أو مرجع أو مصدر لمبدع آخر فيحاول محاكاته أو نقده وحواره

ـ الميتناص méta texte التناص INTERTEXT هو مجموعة النصوص التي يمكن تقريبها من النصّ سواء كانت في ذاكرة الكاتب أو القارئ، أم في الكتب. وهو النصّ الذي يستوعب عدداً من النصوص، ويظل متمركزاً من خلال المعنى .

ـ جامع النص: النص أو النصوص التي تحوي كل هذه الروافد

I ـ روافد الإمام في عهد الرسول (ﷺ):

1- شرف الأصل:

تحدّر من أكرم المناسب ، وانتمى إلى أطيب الأعراق ، فأبوه أبو طالب عظيم المشيخة من قريش ،وجده عبد المطلب أمير مكة وسيد البطحاء ، ثم هو قبل ذلك من هامات بني هاشم وأعيانهم وبنو هاشم كانوا كما وصفهم الجاحظ :" ملح الارض ، وزينة الدنيا ، وحلى العالم ، والسنام الأضخم والكامل الأعظم ، ولباب كل جوهر كريم ، وسر كل عنصر شريف ، والطينة البيضاء

وهو أول الناس إسلاما في قول كثير من أهل العلم، تربى في حجر النبي ﷺفلازمه ولم يفارقه وشهد معه المشاهد كلها، وكان لواء المهاجرين في يده في أكثر المشاهد و لم يشهد غزوة تبوك وقد قال له النبي ﷺ (ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى)و لما آخى النبي ﷺبين المهاجرين و الأنصار قال لعلي (أنت أخي)"[3].

[1] ـــ مقدمة شرح نهج البلاغة ، إبن أبى الحديد، ط3 ،تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ،دار الفكر: 1399 ه – 1979 ، ص4ـــ5

[2] ـــ م ن، ص ن

[3] ـــيراجع:
ـــ مقالات الإسلاميين ،الإمام أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري،ط2 ،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ، دارالحداثة: 1405 هـــ1985م، ص54،55
ـــ تاريخ الخلفاء :جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي،دط،دار التقوى،تاريخ الإيداع 2006م،ص:124

[4] ـــ ديوان الإمام علي،شرح علي مهدي زيتون، د ط،دار الجيل بيروت، د ت: ص8

2 ــ صفات الإمام و أخلاقه:

الشجاعة: الشجاعة عند الإمام علي، مضرب للمثل،فقد خاض غمرات الموت في كثير من جوانبها حتى قيل فيه " إن عليا لا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه" [2] و أول ما عرف من شجاعته مبيته موضع الرسول (ﷺ) ليلة الهجرة، و ما يمثل ذلك من خطر قتله.فما تزعزع قلبه لذلك، ثم تلتها غزوة بدر و غزوات أخرى، و كثير من المشاهد كان فيها الإمام " عَلما لا يخفى مكانه،يبارز الأقران فلا يقفون له، و يفرّق الجماعات بشدة هجماته،"[3] وقد قال رضي الله عنه في جهاده:" **و لقد كنا مع رسول الله ﷺ،نقتل أباءنا و أبناءنا و إخواننا و أعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلا إيمانا و تسليما و مضيّا على اللقم** (على جادة الطريق)**، وصبرا على مضض الألم، وجدا على جهاد العدو، ولقد**

[1] ــ شرح نهج البلاغة ،محمد عبده ،دط ،دار الفجر للنراث ، القاهرة: 1426هـ ــ2005م،ص39ــ40
[2] ــ محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية ص:267
[3] ــ المرجع السابق ،ص:268

كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين ، يتخالسان أنفسهما،أيهما يسقي صاحبه كأس المنون...فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت(الذل و الهوان) **وأنزل علينا النصر"**[1]

أــ روافد الإمام من الحضارة الإسلامية:

[1] ــ نهج البلاغة،الإمام علي،شرح محمد عبده، مراجعة و تدقيق أحمد إبراهيم زهوة ،خ56 ، ص:82

[2] ــ نقد و حقيقة الأعمال الكاملة critique et vérité ،رولان بارث ،ط1،ترجمة منذر عياشي،مركز الإنماء الحضاري للترجمة و النشر،1994، ص:215

[3] ــ دراسات في نهج البلاغة ،الشيخ محمد مهدي شمس الدين ، ط2،مكتبة الروضة الحيدرية،دار الزهراء للطباعة و النشر لبنان: 1392هـــ1972م، ص202.

تمتلك الحضارة الإسلامية مميزات تختلف عن كل الحضارات السابقة ؛لأن حضارة أي أمة إنما هي ناتجة و منبثقة عن أفكار عقيدتها أو فلسفتها الخاصةالتي تؤمن بها ،وتعمل على إحيائها و التي تمثل وجهة نظرها في الحياة ،فهي مصدر بقائها و رمز شخصيتها ، و هذا هو سر اختلاف الحضارات و تمايزها.، يقول مصطفى السباعي:"فإن الحضارة الإسلامية تختلف عن غيرها من الحضارات سواء القديمة منها كالإغريقية و الهندية، أو غيرهما كالحضارة الغربية

[1] ـــ نظرات في الثقافة الإسلامية ،عز الدين الخطيب التميمي و مجموعة من الأساتذة ،د ط ،دار الشهاب للطباعة و النشر عمار قرفي، باتنة، الجزائر،دت ، ص:253

[2] ـــ م ن ، ص ن

[3] ـــسورة الشورة : الآية 11

يمشون على الأرض هونا و إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما..و الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا و لم يقتروا وكان بين ذلك قواما ..و لا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق و لا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما

.

أـــروافده من القرآن الكريم:

[1] ـــسورة الزلزلة:الآية 8
[2] ـــ سورة البقرة:الآية 183
[3] ـــ سورة الفرقان الآية62 إلى 69
[4] ـــ يراجع : تاريخ الأدب العربي ـ العصر الإسلامي 2 ـ شوقي ضيف ،ط6،دار المعارف،مصر،دت،ص:11،إلى 15

بالله و توحيده بذكر صفاته ، و تمجيد آياته والإيمان برسوله و تأييده ، و ضرب الأمثال بأحوال الغابرين، و رفض الأوثان و ما يتصل بها من عادات واعتقادات،والإيمان باليوم الآخرو بالجنة والنار،والأمربالمعروف والنهي عن المنكر؛ و هي أمور تتصل بالعاطفة و الوجدان فالدعوة إليها و الحث عليها يقتضيان الأسلوب القوي الموثق الفعّال بالقلب بقصصه الواعظة و حكمه البالغة و أمثاله السامية، و وعده الخالب، و وعيده المخيف، و لذلك تجد أسلوبها قصيرالآي كثير السجع رائع التشبيه، قوي المجاز. ذات معان ترويك من ماء البيان، و رقة تستروح منها نسيم الجنان و نور تبصر به في مرآة الإيمان وجه الأمان"[1]، أما **السور المدنية** و هي ثلث القرآن، و تشمل على مواضيع أصول الأحكام من عبادات و معاملات و سنن الشرائع الدينية ، كالصلاة و الزكاة و الصوم و الحج،و الأحوال الإجتماعية كالأحوال الشخصية والمعاملات المدنية و الحقوق الجنائية و ما تستتبعه من قصاص و حدود . والتعبير عنها" يقتضي الأسلوب المحكم الجزل الهادئ؛ و هدوء البيان يستلزم طول الجمل، و تفصيل الآي، و وضوح الغرض. فنجد الألفاظ مؤتلفة مع المعاني و المعاني متفقة مع الأغراض ،فالقرآن الكريم لا يصطنع في التشريع أساليب الفقه و لا تعريفات القانون، و إنما يسوق الأحكام في معارض الدعاية والهداية، لأن قصده الأول إنما هو إعلان التوحيد و إظهار الدين، و تطهير القلوب من أوضار الضلالة و الجهالة والشرك؛ ولأن الدولة الجديدة لم تكن في عهد الوحي من الإتساع و تشعب الاجتماع بحيث تطلب التشريع المفصل".[2]

[1] ـ تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، ص 68 -69
[2] ـ تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات ، ص69-70
[3] ـ م ن ، ص:68

قال تعالى : ﴿ **قل لإن اجتمعت الإنس و الجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله، و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا** ﴾[1] ، أما تأثيره القوي، فكان في نقله النثر من تلك الجمل القصيرة المسجوعة المفككة إلى تلك الصور الأنيقة التي نقرأها في أحاديث الرسول(ﷺ) و خطبه و كتبه، و في خطب الصحابة و التابعين ورسائلهم.جمل متزاوجة، متناسقة متطابقة، متخيرة الألفاظ، حسنة التأليف رائعة التشبيه منطقية الغرض،تنفذ إلى العقل و القلب. كذلك أثّر في النثر بوضعه المُثُل لمعالجة القصص و الوصف و الجدل المنتج و الموعظة الحسنة، و استحداثه ألفاظا و تراكيبا و موضوعات لا يعرفها العرب،"فظلت آية على طوال القرون قوة للخطيب و حلية للمنشئ يرصع بها كلامه فتتميز بطلاوتها و نفاستها كما تتميز اللؤلؤة الفريدة في عقد من الجِزْع"[2]

ج ـ أثر القرآن في اللغة و الأدب:

كان لظهور الإسلام التغييرالجذري ، الذي مسّ مختلف مناحي الحياة الدينية و الإجتماعية والسياسية و لابد لكل تغييرمن أثاريخلفها في نفوس أصحابه و عقولهم، فيمس هذا التغيير آدابهم وعلومهم ،هذا التغيير قسمه جرجي زيدان في الآداب إلى ثلاثة أقسام:أولا: أنه أبطل بعض تلك الآداب . ثانيا : أنه نوع البعض الآخر. ثالثا : أنه أحدث آدابا جديدة لم تكن من قبل فالآداب التي أبطلها الإسلام الكهانة وفروعها ،إذ جاء الحديث بتحريمها" [3] و الآداب التي أحدثها، بعض اقتضاها الإسلام كالعلوم الشرعية و اللسانية ، و بعضها نقل عن الأمم الأخرى كالفلسفة و الطبيعيات و الطب،أما النوع الذي أحدثه الإسلام في آداب الجاهلية ، فأكثره في الشعر و الخطابة وهما من الآداب الجاهلية التي زادها الإسلام رونقا، لكن الخطابة سبقت الشعر في

[1] ـ سورة الإسراء ، الأية 88

[2] ـ يراجع: تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، ص 68 -69

[3] ـ تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات ، ص:333

الرقي لحاجة المسلمين إليها في الفتوح والغزوات ليصبح الخطيب في الإسلام مقدما على الشاعر لفرط حاجتهم إلى الخطابة في استنهاض الهمم و جمع الأحزاب و إرهاب الأعداء"[1].

فكان لظهور الإسلام تأثيرا كبيرا في اللغة العربية و أساليبها و ألفاظها لتشرب قرائح المسلمين روح القرآن و حفظهم كلامه و إعجابهم به. و طبيعي أن الكاتب تتكيف ملكة اللغة فيه على مقتضى محفوظه من أشعارها و أمثالها و أساليبها. فلا غرو إذا ظهرت أساليب القرآن و ألفاظه في لغة المسلمين ، شعرا و نثرا كتابة و خطابة ، ويرجع ذلك التغير إلى قسمين:تغير في الأسلوب و تغير في الألفاظ.أما الأسلوب الإنشائي فلا يمكننا تعيين مقدار التغيير الذي أصابه إلا بالرجوع إلى ما وصلنا من إنشاء الجاهليين ، و الفرق بينه و بين أسلوب القرآن كالفرق بين الثريا و الثرى.."[2]

أما تأثير القرآن الكريم في ألفاظ اللغة فضلا عن الأسلوب ، فظاهر فيما دخلها من الألفاظ الإسلامية مما اقتضاه الإصلاح الديني أو الشرعي. و أكثر هذه الألفاظ كانت موجودة في اللغة قبل الإسلام

و لكنها كانت تدل على معان أخرى فتحولت للدلالة على ما يقاربها من المعاني الجديدة ؛فلفظ (مؤمن) مثلا كان معروفا في الجاهلية، و لكنه كان يدل عندهم على الأمان أو الإيمان و هو التصديق..فأصبح بعد الإسلام يدل على المِؤمن و هو غير الكافر ، وله في الشريعة شروط معينة لم تكن من قبل.

و كذلك المسلم و الكافرو الفاسق و نحوها.و مما حدث من المصطلحات الشرعية الصلاة و أصلها في العربية الدعاء ، و كذلك الركوع و السجود و الحج و الزكاة.. فقد كان لهذه الألفاظ و أشباهها معان و تبدلت بالإسلام و تنوعت.و قس على ذلك المصطلحات الفقهية ، كالعدة و الحضانة و النفقة و الإعتاق ... و غيرها.و يروون ألفاظا و تراكيب نطق بها الرسولﷺ و لم تسمع من العرب قبله كقوله: ((مات حتف أنفه)) و ((حمى الوطيس)) و ((لايلدغ المؤمن من جحرمرتين))[3]

---

[1] م ن، ص ن

[2] ـــ م ن، ص342

[3] ـــ يراجع :

ـــ تاريخ الأدب العربي، جرجي زيدان، ص342

ـــ إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ط1،مطبعة دار الصبح ـــ بيروت ـــ لبنان:2007،ص63

و كانت كلها روافد للإما م في حكمه و مواعظه في نهج البلاغة ، التي ستتبين لنا لاحقا في دراسة نصوصه .

5 - روافد ه من الحديث الشريف:

الحديث هو قول رسول الله ﷺ ،أو حكاية فعله أو حديث الصحابة عنه؛فهو في المنزلة الثانية من كتاب الله فيما يتعلق بالدين و الثقافة، و أغزر ينابيع التشريع في العبادات والحقوق، و أقوم طريق يؤدي إلى فهم القرآن:(يوضح أشكاله،ويفصل إجماله، و يقيد إطلاقه، و يخصص عمومه).والأحاديث التي صحت عن رسول الله قليلة، و لكنها موسومة بطابع البيان و الإلهام و العبقرية، لنشأته في قريش و استرضاعه في بني أسد ،و هي أفصح القبائل العربية، و تضلعه من لغة القرآن، و اطلاعه على لغة العرب، و قدرته الفطرية على ابتكار الأساليب العالية و وضع الألفاظ الجديدة لما استحدث من المعاني الدينية و الفقهية؛و لكن قيمتها اللغوية و دلالتها التاريخية لا تسمو إلى مكان القرآن الكريم في ذلك، لأن القرآن كان يدونه عند نزوله كتبة الوحي،و كونه كلام الله جعل الإحتفاظ بنصه فرضا على المسلمين﴿**فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه**﴾[1] ، أما الحديث فلم يدوّن إلا منتصف القرن الثاني للهجرة، وكان قبل ذلك إنما يروى من الذاكرة ، و الذاكرة كثيرا ما تخون، فناله من تغيير الكلمات و اختلاف الروايات و زادوا في ذلك أن العلماء أجازوا رواية الحديث بالمعنى لاستحالة المحافظة على اللفظ في نقله مشافهة طوال هذه السنين. و قامت الخصومات السياسية ،و نجمت الفرق الدينية ، فاستجاز أولو الأهواء الكذب على الرسول (ﷺ) فوضعوا ألوف الآحاديث تأييدا لدعوتهم و ترجيحا لنزعتهم ،أما روافد الإمام علي (ض) من أسلوب أحاديث الرسول(ﷺ) فقد استلهمها من منبعها ،من الرسول (ﷺ) وحفظها في ذاكرته ، فكانت هذه الأحاديث له و للصحابة من أقوى الروافد بعد القرآن الكريم ؛ لما تمتاز به من فيض الخاطر و عفو البديهة، وإشراق الديباجة و اتساق العبارت و الألفاظ ، لأداء معنى واضح معين، ومطابقة مدلوله لمقتضى الحال، وملاءمة لغته للغة المخاطب. و للرسول أيضا قدرة عجيبة على التشبيه و التمثيل و إرسال الحكمة و إجادة الحوار

[1] ـــ سورة البقرة ،الآية181

و تلك ميزة الرسل من قبل ،لأن المرسلين في مقام المعلمين، و أنجح ما يكون في التعليم طريقة التمثيل والمحاورة، كقوله (ﷺ) (**إن قوما ركبوا سفينة فاقتسموا ، فصار لكل رجل منهم موضع فنقر رجل منهم موضعه بفأس،فقالوا له ما تصنع؟ قال هو مكاني أصنع فيه ما أشاء. فإن أخذوا على يده نجا و نجوا و إن تركوه هلك و هلكوا**.)[1] و أثر الأسلوب النبوي فاش في كلام الصحابة و خطبهم ، وعلى الأخص في الأسلوب ، لكثرة سماعهم له و روايتهم عنه ، كالإمام علي والذي سنبين هذا التأثير في مبحثه الخاص بالتناص و جمالياته. وأما "أبو هريرة فقد بلغ ماورواه أربعة وأربعين و ثلاثمائة و خمسة آلاف، وقد ارتاب بعض الصحابة في كثرة ما روى فقال: ((**إنكم تزعمون أن** أبا هريرة **يكثر الحديث عن رسول الله،والله الموعد. كنت رجلا مسكينا أخدم رسول الله على ملء بطني، و كان المهاجرون يشغلهم الصَّفْق في الأسواق ، وكان الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم، و كنت الزم رسول الله ، فأ شهد إذا غابوا، و أحفظ إذا نسوا**))[2]

6 - إلتزام الإمام علي بالمنهج المحمدي :قال عباس محمود العقاد:"آمن الإمام بحكمة الرسول إيمان محبة و تصديق، و لكنه لم يفارق الدنيا حتى كان قد آمن بها تعليما و تطبيقا "[3] وقال أحمد حسن الزيات:"..ثم سار (علي) في خصومته و خلافته و سياسته على ضوء هذه الأخلاق، فما قارف الأثر،ولا حاول الفرقة، و لا راقب الفرصة، و لا أثار العصبية، و لا استخدم المال، و إنما أخلص النيّة للعمرين،و محض النصيحة لعثمان،و أعذر بالحجة لمعاوية.و لكن دنيا الفتوح كانت قد أخذت على عهده تتجاهل دين البساطة و الزهد. و لم تعد السياسة الدينية و حدها قادرة على كبح النفوس المفتونة بمال معاوية في الشام، وثراء الوافدين في العراق، فانتشر أمره و تصعدت خلافته ثم قتل مظلوما في محرابه، فكان محياه و مماته تاريخا داميا للفصيلة المعذبة و النفس المطمئنة الشهيدة.."[4] وإذا لم يقدر له أن يصل إلى الحكم بعد النبي ، فإنه لم ينقطع عن الحياة العامة، بل ساهم فيها مساهمة خصبة، فقد كان أبو بكر ثم عمر ومن بعدهما عثمان لا يسعهم الاستغناء عن آرائه في السياسة والقضاء والحرب، وخاصة في خلافة عثمان، فقد كان فيها على أتم الصلة بالتيارات التي تمخر المجتمع الاسلامي... ولقد كان يرى التوجيهات الدينية العظيمة التي عمل

---

[1] ـــ تاريخ آداب اللغة العربية،ج1الأنيس السلسلة الأدبية،جرجي زيدان، دط ، موفم للنشر،1993 ،ص75،76

[2] ـــ م ن ، ص75ـــ76

[3] ـــ عبقرية الإمام علي ،عباس محمود العقاد،ص143

[4] ـــ م ن ،ص:97

النبي طيلة حياته على إرساء أصولها في المجتمع العربي ، قد فقدت فاعليتها في توجيه حياة الناس. " وكان عليه السلام يعرف السبيل الذي يرد الأشياء إلى نصابها، فإنما صار الناس إلى واقعهم هذا لانهم فقدوا الثقة بالقوة الحاكمة التي تهيمن عليهم. فقدوا الثقة بهذه القوة كناصر للمظلوم وخصم للظالم، فراحوا يسعون إلى إقرار حقوقهم"[1] قد صرّح بذلك في أول خطبة خطبها بعد خلافته، فقال: **"أيها الناس ! إني رجل منكم لي ما لكم وعلي ما عليكم، وإني حاملكم على منهج نبيكمومنفذ فيكم ما أمر به، ألا وإن كل قطيعة أقطعها عثمان، وكل مال أعطاه من مال الله، فهو مردود في بيت المال فإن الحق لا يبطله شئ*"[و الله] ولو وجدت قد تزوج به النساء، وملك الإماء، وفرق في البلدان لرددته، فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه الحق فالجور عليه أضيق"**[2]. كل هذه المزايا و الخصائص مجتمعة ، وتلك الصفات متناصرة ، وما صاحبها من نفح إلهى ، وإلهام قدسي ، مكنت للامام على من وجوه البيان و البلاغة ، وألهمته أسمى المعاني و أشرفها ، وهيأت له أكرم المواقف وأعزها فجرت على لسانه الخطب الرائعة ، والرسائل الجامعة ، والوصايا النافعة ، والكلمة يرسلها عفو الخاطر فتغدو حكمة ، في أداء محكم ، ومعنى واضح ولفظ عذب سائغ. ومن خطبة له (عليه السلام) وفيها يصف العرب قبل البعثة (**إِنَّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّداً،صلى الله عليه وآله وسلم نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ وَأَمِيناً عَلَى التَّنْزِيلِ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ العَرَبِ عَلَى شَرِّ دِين، وَفِي شَرِّ دَار، مُنِيخُونَ** (مقيمون)**بَيْنَ حِجارَة خُشْن، وَحَيَّات صُمٍّ تشْرَبُونَ الكَدِرَ، وَتَأْكُلُونَ الجَشِبَ**(طعام دون أدم)**، وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ، وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ، الأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ وَالآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ.منها:فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلاَّ أَهْلُ بَيْتِي، فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ المَوْتِ و أغضيت على القذى ،وشربت على الشجى،و صبرت على أخذ الكظم، و على أمر من طعم العلقم)**[3] وفي خطبة له عليه السلام ينبّه فيها على فضله و علمه:"..فأسألوني قبل أن تفقدوني ، فوالذي نفسي بيده،لا تسألوني عن شيئ فيما بينكم و بين الساعة ، ولا عن فئة، تَهدي مائة و تضل مائة إلا أنبأتكم بناعقها، و قائدها وسائقِها،و مُناخَ رِكَابها و مَحَطُّ رِحَالها .."[4] و يقول عليه السلام أيضا:".. و الله ما أسمعهم الرسول شيئا ، إلا و ها أنا ذا اليوم مسمعكموه.."[5]

---

[1] ـــ دراسات في نهج البلاغة ،الشيخ مهدي شمس الدين، ص206

[2] ـــ نهج البلاغة،الإمام علي،شرح محمد عبده، مراجعة و تدقيق أحمد إبراهيم زهوة ،خ15ص40

* ولم يذكر الشريف الرضي هذا النص بتمامه، وإنما ذكره ابن أبي الحديد

[3] ـــ نهج البلاغة،الإمام علي،شرح محمد عبده، مراجعة و تدقيق أحمد إبراهيم زهوة الخطبة26،ص54،55

[4] - م ن ، الخطبة:92،ص138:

[5] - م ن ، خ89،ص:120

و يقول الإمام (ع):"..و الله لو شئت أن أُخبِرأن كل رجل منكم بمخرجه و مولجه و جميع شأنه لفعلت، و لكن أخاف أن تكفروا فيّ برسول الله، صلى الله عيه و آله.ألا و إني مفضيه إلى الخاصة ممن يؤمَنُ ذلك منه، و الذي بعثه بالحق ، و اصطفاه على الخلق، ما أُنطق إلا صادقا، و قد عُهِد إليّ

بذلك كله..و ما يمرُّ على رأسي إلا أفرغه في أذني و أفضى به إليَّ"[1]

7- علوم الإمام: "توفي النبي (ﷺ) في السنة الحادية عشر هجري، و القرآن إما مدون على أمثال هذه الصحف(جريد النخل واللخاف وهي الحجارة العريضة البيضاء)أو محفوظ في صدور حفظته(القراء) و كان أكثر الناس عناية به على عهد النبي" علي بن أبي طالب،و عبد الله بن مسعود و أبو الدرداء و معاذ بن جبل، وثابت بن زيد، و أبي بن كعب وغيرهم"[2] اكتسب الإمام علي فوائد جمة من القرآن الكريم ما لا يعد و لا يحصى ،و منها على سبيل المثال لا الحصر:" **علم الطريقةوالحقيقة** ، و **أحوال التصوف**" [3] ومنها **علم النحوفي اللغة العربية** الذي يقدّر البعض أنه أول من ابتدعه و أنشأه حين أملى على أبو الأسود الدؤلي جوامعه، و أصوله ،إذ يقال في ذلك ما رواه ابن الحديد المعتزلي: " لعل أهم ما يتصف به علي(عليه السلام)علمه حيث ينسب إليه علم الكلام. حيث عده المعتزلة في طبقتهم الأولى كما أن المعتزلة ، و الأشعرية ،و الإمامية، و الزيدية ينتهون بآخرة إلى أستاذ المعتزلة، و معلمهم علي بن أبي طالب(عليه السلام). و أن أصل **علم الفقه**،و أساسه وكل فقيه في الإسلام هو عيال عليه و مستفيد من فقهه ،أبو حنيفة،و الشافعي، و أحمد بن حمبل،و مالك و العلماء الشيعة سواء في أخذهم عن جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام)الذي قرأ عن أبيه إلى أن ينتهي الأمر في كل ذلك إلى علي (عليه السلام).و من العلوم التي عرف بها علي (عليه السلام)**علم تفسير القرآن** الذي أُخذ عنه،و عن ابن عباس الذي طالت ملازمته له و انقطاعه إليه بصفته تلميذا له. و هو يقر بأن علمه من علم ابن عمه "[4]

8- شهادةالإمام في فضائله و علومه:

---

[1] -نهج البلاغة،الإمام علي،شرح محمد عبده، مراجعة و تدقيق أحمد إبراهيم زهوة ،خ:175ص:237

[2] ـــتاريخ آداب اللغة العربية،ج1، جرجي زيدان ص:344،345

[3] ـــ ديوان الإمام علي بن أبي طالب،ص14

[4] ـــ م ن، ص14ـــ15

ففي وصف له وهو يذكر تتلمذه على يد الرسول الأكرم (ﷺ)يقول)الإمام علي (ض):"**يَرْفَعُ لي فِي كُلِّ يَوْم عَلَماً مِنْ أَخْلاقِهِ، وَيَأْمُرُني بِالإِقْتِدَاءِ بِهِ.وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَة بِحِرَاءَ، فَأَرَاهُ وَلاَ يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذ فِي الإِسْلاَمِ غَيْرَ رَسُولِ اللهِ(ﷺ) وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ، وَأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ**" [1]

كما يقول أيضا:"**يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ، وَلا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ.** " [2] وعبارته هذه هي من العبارات المعروفة في الخطبة الشقشقية، حيث يصف الإمام(رضي الله عنه) نفسه فيها بأ نّه جبل شاهق تنحدر عنه العلوم وطبيعي أ نّه لا ينحدر السيل عن كلّ جبل إلاّ إذا كان مرتفعاً ـ فهو يرى أن لا قدرة لطائر ذروته وقمته، ولا قدرة للفكر البشري الإعتيادي أن يصل إلى المقام العالي الّذي وصله(رضي الله عنه)وتنحدر كانحدار السيل، لذا لا قدرة للأفراد الإعتياديين على هضمها واستيعابها، ولمّا لم يكن الوقوف أمام السيل ميسوراً فإنّه لابدّ من الاستفادة من أطرافه وحوافه.أمّا مقامه العلمي الرفيع فيقول عنه عليه السلام: **ذلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ، وَلَنْ يَنْطِقَ، وَلَكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ: أَلاَ إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتي،وَالْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي، وَدَوَاءَ دَائِكُمْ، وَنَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ**"[3] ننظر هنا إلى كلماته يخاطب فيها الناس،وهو قائم مقام رسول الله (ﷺ)يعلمهم ويعظهم ويميل إليهم بارتياد ثوب النجاة من الفتن، ولا يترك مطرحاً إلاّ وشغله بإلفاتهم إلى نورالله الذي استمده من روافده السابقة ، فنجده يقول: **"والله ما أسمعكم الرسول شيئاً إلاّ وها أنا ذا اليوم مسمعكموه"**[4]

و يروي الإمام علي رضي الله عنه فقال:"(**بعثني النبي ﷺإلى اليمن قاضيا فقلت يا رسول الله ترسلني و أنا حديث السن لا علم لي بالقضاء؟ فقال: إن الله عز و جل سيهدي قلبك و يثبت لسانك فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضي حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء،قال علي:فمازلت قاضيا و ما شككت في قضاء بعده**) و في رواية أخرى قال له رسول الله (ادنه فدنا فوضع يده على صدره و قال: **اللهم أهده للقضاء)**"[5] و الكلام عن فضائل الإمام كثيرة و خير مثال عن فضاله ما نراه في قول ابن سعد في الطبقات عن علم علي ـ رضي الله عنه ـ أن الإمام قال:"**و الله ما نزلت آية**

[1] ــ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج13 ص197

[2] ــ نهج البلاغة،الإمام علي،شرح محمد عبده، مراجعة و تدقيق أحمد إبراهيم زهوة ،خ3،ص28

[3] ــ ــ نهج البلاغة،الإمام علي،شرح محمد عبده، مراجعة و تدقيق أحمد إبراهيم زهوة:خ 158، ص:212

[4] ــ شرح نهج البلاغة، أبن أبي الحديد ، ج1 ، ص4

[5] ــ القضاء في صدر الإسلام ــ تاريخه و نماذج منه ــ جبر محمود الفضيلات،دط ،شركة الشهاب ، الجزائر، 1989ص234ــ235

إلا و قد علمت فيما نزلت ،و أين نزلت ،و على من نزلت، إن ربي وهبني قلبا عقولا و لسانا ناطقا." و عنه أيضا أنه قال:**"سلوني عن كتاب الله فإنه ليس من آية إلا و قد عرفت بليل نزلت أم بنهار في سهل أم في جبل.** ثم يقول: **أللّهمّ إنّي أوّل من أناب ، و سمع و أجاب . لم يسبقني إلاّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالصّلاة ".**[1]

إن حكم الإمام علي (رضي الله عنه) سراج مضيئ يستمد نوره من معاني القرآن الكريم و حديث النبي الكريم ﷺ ، كما سنستدل على ذلك من خلال اقتباساته المتنوعة ،فالإمام في حكمه النظرية وفي الحكمة العملية، فهو حكيم بكلّ ما لهذه الكلمة من معنى، وأن "حكمته هذه ليست خارجة عن حدود الطاقة البشرية، بل في حدود ما يقوى عليه الإنسان السائر نحو الكمال، وقد بلغ أمير المؤمنين

عليّ(رضي الله عنه)أرفع مستويات الحكمة." [2] قال عليه السلام :إن أولى الناس بالأنبياء أعلمهم بما جاءوا به ، ثم تلا عليه السلام:﴿ **إن أولى الناس بإبراهيم الذين اتبعوه و هذا النبي.....﴾** ثم قال: **إن ولي محمد من أطاع الله و إن بعدت لحكته ، و إن عدو محمد من عصى الله و إن قرّبت قرابته"**[3] ، إن المتأمل لهذه الكلمات تنكشف له ثقافة الإمام ومدى التزامه ـ رضي الله عنه ـ بها و تذكير الناس بها إذ يقول:**".. و ليس كل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم ، من كان يسأله و يستفهمه ، حتى أن كانوا ليحبون أن يجيئ الأعرابي و الطارئ فيسأله عليه السلام حتى يسمعوا ، و كان لا يمر بي من ذلك شيئ إلا سألته عنه و حفظته.."**[4] لقد اهتدى الإمام بنور الرسول و استلهم من مدرسته البيان و البلاغة و الحكم الخالدة ، وشتى العلوم النيرة ، إذ يقول (ع) **"فقمت بالأمر حين فشلوا ، و تطلّعت حين تقبّعوا، و نطقت حين تعنّقوا،و مضيت بنور الله حين وقفوا،و كنت أخفضهم صوتا،و أعلاهم فوتا**(سبقا)**، فطرت بعنانها، و استبددت برهانها، كالجبل لا تحركه القواصف، و لا تزيله العواصف، لم يكن لأحد في مهمز، و لا لقائل في مغمز. و الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له، و القوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه. رضينا عن الله قضاءه،و سلمنا لله أمره.أتراني أكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله، و الله لأنا أول من صدقه، فلا أكون أول من كذب عليه، فنظرت في أمري فإذا طاعتي قد سبقت بيعتي، و إذا الميثاق في عنقي لغيري."**[5]. إن الذي يدعو

---

[1] ـــ م ن ، ص ن

[2] ـــ الحكمة عند الإمام علي(عليه السلام)في نهجه ،آية الله الشيخ جوادي آملي، د ط ،مكتبة الروضة الحيدرية ،د ت

[3] ـــ نهج البلاغة،الإمام علي،شرح محمد عبده، مراجعة و تدقيق أحمد إبراهيم زهوة: ح97 ،ص443

[4] - م ن ،خ:210ص:304

[5] - م ن ،ص:خ37ص:70

يدعو الإنسان إلى التفكّر في كلام الإمام، ليس البحث عن أحقيته بالخلافة مثلما يظن، أو عند إنزاله الزعيم في الناس، لكن الأمر مختلف، فالذي أنجزه محمد(ﷺ) من تثبيت وترسيخ لمجمل رسالات الله، واجتماع الأديان كلها دائرة الدين الإسلامي، وإقامة البيّنة التي ختم الله فيها جميع الأديان، لهي التي تلفت نظر الإنسان إلى الذي يبوح به عليّ (رضي الله عنه) فهو العارف بما عرّفه رسول الله ﷺوهذه المدرسة بالذات هي مدرسة رسول الله(ﷺ)، وقد شقّ عليّ بن أبي طالب (رضي الله عنه) بمثل هذه المعارف الطريق الذي رسمت فيما بعده المدارس الكلامية مناهجها، وإن لم تكن في المجمل قد بلغت رغبته في تناقل العلم بين الناس، لكنها أثرت في تراث الإنسانية مخزوناً عظيماً من الكتب والبحوث العقائدية والفلسفية.وقد يعلم من تنكشف له حقيقة الإمام أن ما قاله في حكمه و وعظه لا ينتظر منها مالا ولاسلطانا و لا جاها، وإنما هي كلمة حق، استمدها من المدرسة المحمدية و المنهج الرباني، وأراد تثبيتها في نفوس الناس من العواصف التي أوشكت أن تعصف بهم، ونختم هذا بوصيته (رضي الله عنه)للحسن عند انصرافه من صفين: **" فإني أوصيك بتقوى الله ـ أي بني ـ و لزوم أمره ، و عمارة قلبك بذكره، و الإعتصام بحبله،و أي سبب بنك و بين الله إن أنت لأخذت به؟ أحي قلبك بالموعظة،و أمته بالزهادة، وقوه باليقين، و نوره بالحكمة، و ذلله بذكر الموت، و قرره بالفناء و بصره فجائع الدنيا، و حذره صولة الدهر ، و فحش تقلب الليالي و الأيام، و أعرض عليه أخبار الماضين و ذكره بما أصاب من كان قبلك قبلك من الأولين،و سر في ديارهم و آثارهم،فانظر في ما فعلوا،و عما انتقلوا،و أين حلوا و نزلوا،فإنك تجدهم قد انتقلوا عن الأحبة، و حلوا ديار الغربة،و كأنك عن قليل قد صرت كأحدهم،فاصلح مثواك،و لا تبع آخرتك بدنياك...."** [1]

9 ـ <u>شهادة الرسول (ﷺ) في فضائل الإمام</u> :

وردت كثير من الأحاديث في فضله و هي مدونة في عدة مصادرمنها ما جمعها السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء نرد منها مايلي: يقول في ذلك أحمد بن حنبل(ما ورد لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ من الفضائل ما ورد لعلي رضي الله عنه)[2]قد أورد الإمام جلال الدين عبد الرحمن لسيوطي(ت911هـ) في كتابه تاريخ الخلفاء" ستة و ثلاثون حديثا تتضمن فضل الإمام علي وهي تتوافق في معظمها مع ما ذكره ابن المغازلي في كتابه(مناقب علي بن أبي طالب) التي نورد منها مايلي : السيوطي في الدر المنثور: تفسير سورة يس، الآية 13: عن رسول الله (ﷺ) قال:

[1] -نهج البلاغة،الإمام علي،شرح محمد عبده، مراجعة و تدقيق أحمد إبراهيم زهوة ،كتاب 272ص:360

[2] ـــتاريخ الخلفاء :جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي، ص:124

«الصديقون ثلاثة: حزقيل مؤمن آل فرعون، وحبيب النجار صاحب آل يس، **وعلي بن أبي طالب**».ابن عساكر في تاريخ دمشق: ترجمة الإمام علي بن أبي طالب: ج42 ص378، الرقم 8976: قال رسول الله (ﷺ): «**أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد العلم فليأت باب المدينة**». ـوالحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل: ج1 ص432، الرقم: 459: سئل علي(عليه السلام) عن هذه الآية:﴿ فاسألوا أهل الذكر..﴾ سورة الأنبياء: 7. فقال: «والله إنّا لنحن أهل الذكر، نحن أهل العلم، ونحن معدن التأويل والتنزيل، ولقد سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: **أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد العلم فليأته من بابه**»ـــالترمذي في سننه: ج5 ص637، كتاب المناقب، ب19، مناقب علي بن أبي طالب، الحديث 3723: قال رسول الله (ﷺ):[1] (**أنا دار الحكمة وعليّ بابها**)، وكان أول من أسلم من الناس بعد خديجة، قال: وأخذ رسول الله (ﷺ) ثوبه فوضعه على علي وفاطمة وحسن وحسين فقال ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا**﴾ سورة الأحزاب: 33،.الترمذي في سننه: ج5 ص632. الحديث 3712 كتاب المناقب ب 19، مناقب علي بن أبي طالب ـــ.السيوطي في الدر المنثور: ج2 ص293: عن إبن عباس قال: «تصدّق عليّ ... بخاتمه وهوراكع، فقال النبيّ (ﷺ)للسّائل: من أعطاك هذا الخاتم؟ قال: ذاك الراكع، فأنزل الله الآية ﴿**إنما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**﴾ سورة المائدة: 55.ـــ احمد بن حنبل في مسنده: الحديث 20596. حسب ترقيم العالمية. مسند الأنصار، حديث زيد بن ثابت عن النبي (ﷺ): «إني تارك فيكم خليفتين كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض، أو ما بين السماء إلى الأرض و**عترتي أهل بيتي** وإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض»[2] ـــ واحمد بن حنبل في مسنده: الحديث 20667، حسب ترقيم العالمية. مسند الأنصار، حديث زيد بن ثابت عن النبي (ﷺ): «إني تارك فيكم خليفتين كتاب الله و**أهل بيتي** وإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض جميعا».ـــاحمد بن حنبل في مسنده: الحديث: 906، حسب ترقيم العالمية. مسند العشرة المبشرة بالجنة، مسند علي بن أبي

[1] ـ المصدر السابق ،ص ن
[2] ـــ تاريخ الخلفاء، السيوطي ، ص :124.إلى.127

طالب. قال: نشد علي(عليه السلام) الناس في الرحبة من سمع رسول الله (ﷺ)يقول يوم غدير خم إلا قام، قال فقام من قبل سعيد ستة ومن قبل زيد ستة فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله (ﷺ) يقول لعلي (عليه السلام) يوم غدير خم: أليس الله أولى بالمؤمنين، قالوا: بلى، قال: «اللهم من كنت مولاه **فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه**».ـــ إبن المغازلي في مناقب عليّ بن أبي طالب ...: ص18ـــ19 الرقم: 24. عن أبي هريرة قال: «من صام يوم ثماني عشرة خلت من ذي الحجة، كتب له صيام ستّين شهراً، وهو يوم غدير خم لمّا أخذ رسول الله (ﷺ) بيد عليّ... فقال: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: **من كنت مولاه فعليّ مولاه،** فقال عمر بن الخطاب: بخ بخ لك يا عليّ بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن فأنزل الله تعالى:

﴿اليوم أكملت لكم دينكم*﴾» [1]

II - الإمام علي بعد وفاة الرسول (ﷺ):

1-:الإختلاف الذي وقع بعد الرسول: الإختلاف الأكثر خطورة الذي عرفه المسلمون بعد وفاته (ﷺ)،إذ يقول الإمام أبي الحسن الأشعري :"و أول ماحدث من الإختلاف بين المسلين ـ بعد نبيهم (ﷺ)ـ اختلافهم في الإمامة، وذلك أن رسول الله (ﷺ)لما قبضه الله عزّ و جلّ، و نقله إلى جنته و دار كرامته، اجتمعت الأنصار في سقيفة بني: ساعدة بمدينة الرسول (ﷺ)، وأرادوا عقد الإمامة لسعد بن عبادة، و بلغ ذلك (أبابكرو عمر)رضوان الله عليهما فقصدوا نحو مجتمع الأنصار في رجال من المهاجرين....ثم بايعوا أبا بكر ..

[1] ــ تاريخ الخلفاء، السيوطي ، ص :124.إلى.127

* سورة المائدة: الآية 3.

2- الإمام علي مع الخلفاء الثلاث و لم يحدث خلاف غيره في حياة أبي بكر و أيام عمر إلى أن ولي عثمان بن عفان (رضوان الله عليه أجمعين)"[1] وولى على البلدان الاسلامية شبانا من بني أمية، لا يحسنون الحكم ولا السياسة، ذوي روح تسلطية عاتية، لم ينل منها الاسلام شيئا مذكورا. وهكذا كونت هذه الطبقة طبقة أريستوقراطية من الأغنياء المترفين الذين لا تزال تعتمل في صدورهم القيم البدويةالجاهلية."[2] و كان لذلك آثار سلبية على المجتمع، حيث تضخمت الفروق بين الطبقات تضخما كبيرا من الناحية المادية والمعنوية.و قد يكون هؤلاء الإنتهازيون إستغلوا طيبة الخليفة عثمان المعروف عنه بالحياء و اللين ،في جاهليته و في إسلامه حتى قال في حقه (ﷺ):"إن الملائكة لتستحي من عثمان كما تستحي من الله و رسوله " [3] وجاء الناس إلى الإمام يطلبون منه أن يلي الحكم، ولكنه أبى عليهم ذلك، والدليل على ذلك قول الإمام حين طلب منه أن يلي الحكم .قال علي (ع): (**دعوني والتمسوا غيري، فإنا مستقبلون أمرا له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول وإن الآفاق قد أغامت والمحجة قد تنكرت ، واعلموا أني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب، وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيرا خير لكم مني أميراً**)[4] مهما يكن فإن الإمام لم ينقطع عن الحياة العامة، بل ساهم فيها مساهمة خصبة،و فعّالة فقد كان أبو بكر ثم عمر ومن بعدهما عثمان ـ رضوان الله عليهم ـ لا يسعهم الاستغناء عن آرائه في السياسة والقضاء والحرب، وخاصة في خلافة عثمان (رضي الله عنه) فقد كان فيها على أتم الصلة بالتيارات التي تمخر المجتمع الاسلامي ،و التي كانت تحيط بالخليفة عثمان رضي الله عنه.يقول إبن حديد في ذلك:" وكان (عليه السلام) يعرف السبيل الذي يرد الاشياء إلى نصابها، فإنما صار الناس إلى واقعهم هذا لإنهم فقدوا الثقة بالقوة الحاكمة التي تهيمن عليهم. فقدوا الثقة بهذه القوة كناصر للمظلوم وخصم للظالم، فراحوا يسعون إلى إقرارحقوقهم وصيانتها بأنفسهم. وهكذا، رويدا رويدا انقطعت الصلة بينهم وبين الرموز المعنوية التي يجب أن تقود حياتهم. "[5]

3- **ظروف انتخاب الإمام علي** : و لما قتل الخليفة ـ رضي الله عنه ـ في (18من ذي الحجة سنة35هـ)على الأرجح في فتنة قيل فيها الكثير ، بل كان لها الأثر الأكبر في خلافة الإمام علي بعد ذلك

4 ـــ مقالات الإسلاميين،الإمام أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري، ص59

[2] ـــ دراسات في نهج البلاغة ، محمد مهدي شمس الدين ،ص203

[3] ـــ تاريخ الخلفاء،السيوطي،ص112

[4] ـــ نهج البلاغة،الإمام علي،شرح محمد عبده، مراجعة و تدقيق أحمد إبراهيم زهوة خ92، ص: 137ـــ138

[5] ـ شرح نهج البلاغة ، أبن أبي الحديد ، ص206

،. ولقد دأب بعد أن بويع، على بيان الهدف الذي ابتغى من وراء ولاية الحكم ،وذلك بأن يكون في مركز، يمكنه من أن يصلح ما يفتقر إلى الإصلاح من شؤون الناس، وأن يرفع عن المظلومين فادح ما رزحوا تحته من ظلم،فتراه يقول:" **ولكني آسى أن يلي أمر هذه الامة سفهاؤها وفجارها، فيتخذوا مال الله دولا وعباده خولا والصالحين حربا ، والفاسقين حزبا، فان منهم الذي قد شرب فيكم الحرام وجلد حدا في الاسلام، وان منهم من لم يسلم حتى رضخت له على الاسلام الرضائخ..**"[1] **وَأَغْضَيْتُ عَلَى القَذَى، وَشَرِبْتُ عَلَى الشَّجَا، وَصَبَرْتُ عَلَى أَخْذِ الكَظَمِ،وَعَلَىْ أَمَرَّ مِنْ طَعْمِ العَلْقَمِ.ومنها:وَلَمْ يُبَايِعْ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهِ عَلَى البَيْعَةِ ثَمَناً، فَلاَ ظَفِرَتْ يَدُ المبايع وخَزِيَتْ أَمَانَةُ المُبْتَاع، فَخُذُوا لِلْحَرْبِ أُهْبَتَهَا، وَأَعِدُّوا لَهَا عُدَّتَهَا، فَقَدْ شَبَّ لَظَاهَا، وَعَلاَ سَنَاهَا، وَاسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ، فَإِنَّهُ أَحْزَمُ لِلنَّصْرِ**"[2]

III ــ في خلافة الإمام علي ففي أيام خلافته ــ رضي الله عنه ــ يقول فيها الإمام في كلام له لمّا بويّع بالمدينة:"..**ألا و إنّ بليّتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيّه صلى الله عليه و آله..**"[3] كانت له أحداث، منها حدث الإختلاف في أمر طلحة و الزبير و حربهما أياه، وفي قتال معاوية إياه، وصار علي و معاوية إلى صفين، و قاتله علي حتّى انكسرت سيوف الفريقين، ونصلت رماحهم، وذهبت قواهم ، وجثوا على الركب، فوهم بعضهم على بعض.فقال معاوية لعمروا بن العاص:يا عمرو، ألم تزعم أنك لم تقع في أمر فضيع فأردت الخروج منه إلا خرجت؟قال: بلى .قال فما المخرج مما نزل؟قال له عمرو بن العاص:فلي عليك ألا تخرج مصر من يدي ما بقيت؟ قال: لك ذلك، ولك به عهد الله و ميثاقه.قال:فأمر بالمصاحف ترفع،ثم يقول أهل الشام لأهل العراق:ياأهل العراق،كتاب الله بيننا و بينكم، البقية البقية، فإنه إن أجابك إلى ما تريده خالفه أصحابه، و إن خالفك خالفه أصحابه...فأمر معاوية برفع المصاحف فكانت الوقائع بعذلك مثل ما أشارعمرو بن العاص في خديعته .و كانت نتائج ذلك" اختلاف أصحاب عليّ عليه،وقالوا:قال تعالى:﴿**فقاتلواالتي تبغي حتى تفئ إلى أمرالله** ﴾ و لم يقل حاكموهم....فقال علي رضوان الله عليه:" **قد أبيت عليكم في أول الأمر فأبيتم إلا إجابتهم إلى ما سألوا، فأجبناهم و أعضيناهم العهودو المواثيق، و ليس يسوغ لنا الغدر، فأبوا إلاخلعه و إكفاره بالتحكيم، و خرجوا عليه، فسموا**

[1] - م ن ، باب الكتب، ص62.:
[2] - م ن ، الخطبة26 ص77
[3] -نهج البلاغة،الإمام علي،شرح محمد عبده، مراجعة و تدقيق أحمد إبراهيم زهوة ، ص:40

خوارج لأنهم خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه"[1] يقول فيها إبن أبي حديد:".. وفي أيام خلافته كانت له أحداث أخرى ، لقى فيهامالقى من تفرق الكلمة واختلاف الجماعة ، وانفصام العروة ما طوى أضالعه على الهم والأسى ، ولاع قلبه بالحزن والشجن ، وفى كل مالقى من أحداث وأمور وما صادف من محن وخطوب ، بلا الناس وخبرهم ، وتفطن لمطاوى نفوسهم واستشف ما وراء مظاهرهم."[2] ، فكانت أول خطبة له في أول خلافته:يقول رضي الله عنه: **"إنَّ اللهَ تعالى أَنْزَلَ كِتَاباً هَادِياً بَيَّنَ فِيهِ الْخَيْرَ وَالْشَّرَّ؛ فَخُذُوا نَهْجَ الْخَيْرِ تَهْتَدُوا، وَاصْدِفُوا عَنْ سَمْتِ الشَّرِّ تَقْصِدُوا.الْفَرَائِضَ الْفَرائِضَ! أَدُّوهَا إِلَى اللهِ تُؤَدِّكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ. إنَّ اللهَ تَعالَى حَرَّمَ حَرَاماً غَيْرَ مَجْهُول، [وَأَحَلَّ حَلاَلاً غَيْرَ مَدْخُول]، وَفَضَّلَ حُرْمَةَ الْمُسْلِمِ عَلَى الْحُرَمِ كُلِّهَا، وَشَدَّ بِالاْخْلاَصِ وَالتَّوحِيدِ حُقُوقَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَعَاقِدِهَا، فَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ انِهِ وَيَدِهِ إِلاَّ بِالْحَقِّ، وَلاَ يَحِلُّ أَذَى الْمُسْلِمِ إِلاَّ بَمَا يَجِبُ.بَادِرُوا أَمْرَ الْعَامَّةِ وَخَاصَّةَ أَحَدِكُمْ وَهُوَ الْمَوْتُ، فَإِنَّ النَّاسَ أَمَامَكُمْ، وَإِنَّ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ مِنْ خَلْفِكُمْ، تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا "**[3] أما أول كلام له (عليه السلام) بعد ما بويع بالخلافة ، و قد قال له قوم من الصحابة:" لو عاقبت قوماً ممن أجلب على عثمان؟ فقال:" **يَا إِخْوَتَاهُ! إنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُونَ، وَلكِنْ كَيْفَ لي بِقُوَّة وَالْقَوْمُ فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ، الْـمُجْلِبُونَ** (المُجْلِبون من أجْلَبَ عليه: أعانه) **عَلَى حَدِّ شَوْكَتِهِمْ، يَمْلِكُونَنَا وَلاَ نَمْلِكُهُمْ! وهَاهُمْ هؤُلاَءِ قَدْ ثَارَتْ مَعَهُمْ عِبْدَانِكُمْ، وَالْتَفَّتْ إِلَيْهِمْ أَعْرَابُكُمْ، وَهُمْ خِلاَلَكُمْ، يَسُومُونَكُمْ، مَا شَاؤُوا؛ وَهَلْ تَرَوْنَ مَوْضِعاً لِقُدْرَة عَلَى شَيء تُرِيدُونَهُ؟! إنَّ هذَا الاْمْرَ أَمْرُ جَاهِلِيَّة وَإِنَّ لِهؤُلاَءِ الْقَوْمِ مَادَّة "**[4]. و يقول الإمام بحكمته و قد شخص الأمر وتوصل إلى نتائجهاإذ يقول:**"إنَّ النَّاسَ مِنْ هذَا الاْمْرِ ـ إذَا حُرِّكَ ـ عَلَى أُمُور: فِرْقَةٌ تَرَى مَا تَرَوْنَ، وَفِرقَةٌ تَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ، وَفِرْقَةٌ لاَ تَرَى لا هذَا وَلاَ هذَا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَهْدَأَ النَّاسُ، وَتَقَعَ الْقُلُوبُ مَوَاقِعَهَا، وَتُؤْخَذَ الْحُقُوقُ مُسْمَحَةً ؛ فَاهْدَأُوا عَنِّي، وَانْظُرُوا مَاذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي، وَلاَ تَفْعَلُوا فَعْلَةً تُضَعْضِعُ قُوَّةً، وَتُسْقِطُ مُنَّةً، وَتُورِثُ وَهْناً وَذِلَّةً.وَسَأُمْسِكُ الاْمْرَ مَا اسْتَمْسَكَ، وَإِذَا لَمْ أَجِدْ بُدّاً فَآخِرُ الدَّواءِ الْكَيُّ."**[5]

1- أول أعماله:رأى علي أن يكون أول أعماله ،عزل جميع ولاة عثمان، خاصة معاوية بن أبي سفيان

---

[1] ـ مقالات الإسلاميين، أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري ،ص61 إلى64

[2] ـــ شرح نهج البلاغة،ابن أبي الحديد، ص4

[3] ـــ نهج البلاغة،الإمام علي،شرح محمد عبده، مراجعة و تدقيق أحمد إبراهيم زهوة ، خ 167ص:230

[4] ـــ م ن ،الخطبة168ص376

[5] ـــ م ن ، الخطبة ،168ص377

قبل أن تصل إليه بيعة أهل الأمصار " و إن كان قد حذره (المغيرة بن شعبة)و(ابن عباس)"[1] من مغبة التسرع في هذا الأمر ، حتى يستتب الأمر ،إلا أن علي(ض) قد وقر في نفسه أن هؤلاء الولاة لايصلحون لتولي أمور المسلمين،و أن بقاء واحدا منهم يوما آخر انتقاص من الدين ،واستخفاف بالعدل.و ظلم للرعية.فقررأن يفرق عماله على الأمصار فأرسل (عثمان بن حنيف) إلى البصرة و (عمارة بن شهاب) إلى الكوفة، و (عبيد الله بن عباس) إلى اليمن و (قيس بن سعد بن عبادة) إلى مصر و (سهل بن حنيف) إلى الشام ،إلا أن ولاة عثمان بالشام و البصرة و تبوك و مصر رفضوا الإعتزال و لم يسمحوا لعمال الإمام علي بأداء مهامهم.متحججين في ذلك بدم عثمان. ومن خطبته عليه السلام حين بلغه خبر الناكثين بيعته:"**ألا و إن الشيطان قد ذمر حزبه، و استجلب جلبه،ليعود الجور إلى أوطانه و يرجع الباطل إلى نصابه. و الله ما أنكروا عليّ منكرا ، ولا جعلوا بيني و بينهم نصفا. و إنهم ليطلبون حقا هم تركوه، و دما هم سفكوه،فلئن كنت شريكهم فيه ، فئن لهم لنصيبهم منه،و لئن كانوا أولوه دوني فما التبعة إلا عندهم. و إن أعظم حجتهم لعلى أنفسهم، يرتضعون أمّا قد فطمت،و يحيون بدعة قد أُميتت ،يا خيبة الداعي ! من دعا و إلامَ أجيب، وإني راض بحجة الله عليهم**"[2] فوقع اضطراب في معظم الأمصار الإسلامية الكبرى، ففي الشام كان معاوية بن أبي سفيان بن أمية أميرا على الشام،فعلي يرى أن أول واجباته عزل معاوية عن إمارة الشام، و ليس من السهل لرجل كمعاوية اعتاد الإمارة والعزة،و السياسة المحنكة أن يعزل بسهولة ، كما أن ليس لعلي (ض) بكل ما عرف عنه من التقوى و الورع و الإلتزام ، أن يهادن شخصا كمعاوية و ماعرفه عنه .

2 ــ واقعة الجمل و معركة صفين: ومن أكثر هذه الإضطرابات و أخطرها واقعة الجمل بدأت بخروج طلحة و الزبير و عائشة الذين تعجلوا للمطالبة بدم عثمان ، و كان الإنتصار فيها للخليفة و أنصاره بعد أن قُتل فيها من الطرفين المتنازعين "عشرة آلاف من شجعان المسلمين بينهم كثير من أعلامهم منهم: طلحة و ابنه محمد و الزبير، وبعد أن انتهت الموقعة ،صلى الإمام علي على القتلى ،و أمر بدفنهم جميعا، و بعد ذلك زار عائشة في البيت الذي نزلت فيه، و أمر بأن تجهز إلى المدينة، وجهزت خير جهاز، ولما جاء يوم رحيلها ودعها بنفسه وقد قالت في وسط مشيعيها:"إنه و الله ما كان بيني و بين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة و أحمائها و أنه عندي على معتبتي من الأخبار. و قال علي : أيها الناس صدقت و الله وبرت ما كان بيني و بينها

[1] ــ محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ، ص 241

[2] ــ شرح نهج البلاغة،محمد عبده، مراجعة و تدقيق أحمد إبراهيم زهوة خ22ص:49

إلا ذلك و إنها لزوجة نبيكم ـ ﷺ ـ في الدنيا و الآخرة. وخرجت من البصرة يوم السبت لغرة رجب سنة 36هـ) "[1] ومن كلام له عليه السلام في ذم أهل البصرة قال:**"كنتم جند المرأة، و أتباع البهيمة و عهدكم شقاق ، و دينكم نفاق ، وماؤكم زعاق.."**[2]

البهيمة يريد بها الجمل:و مجمل القصة : "أن طلحة و الزبير بعدما بايعا أمير المؤمنين فارقاه في المدينة و أتيا مكة مغاضبين،فألتقيا بعائشة زوج النبي(ص)، فسألتهما الأخبار فقالا:"إن تحملنا هربا من غوغاء العرب بالمدينة و فارقنا قومنا حيارى ، لا يعرفون حقا،ولا ينكرون باطلا و لا يمنعون أنفسهم ."فقالت:"تنهض إلى هذه الغوغاء أو نأتي الشام "..فقال أحد الحاضرين:" لا حاجة لكم في الشام ، قد كفاكما أمرها معاوية،فلنأت البصرة فإن لأهلها هوى مع طلحة."فعزموا على المسير و جهزهم يعلى بن منبه ،و كان واليا لعثمان على اليمن و عزله علي كرم الله وجهه،و أعطى للسيدة عائشة جملا إسمه عسكر، و نادى مناديها في الناس بطلب ثأر عثمان. فاجتمع نحو ثلاثة آلاف ،فسارت فيهم إلى البصرة. وبلغ الخبر علي فأوسع لهم النصيحة، و حذرهم الفتنة،فلم ينجح النصح.فتجهز لهم، و أدركهم بالبصرة . و بعد محاولات كثيرة منه، يبغي بها حقن الدماء، انتشبت الحرب بين الفريقين و اشتد القتال و كان الجمل يعسوب البصريين ،قتل دونه خلق كثير من الفئتين،و أخذخطامه سبعون قرشيا ما نجا منهم أحد .و انتهت الموقعة بنصر علي كرم الله وجهه بعد عقر الجمل. و فيها قتل طلحة و الزبير و قتل سبعة عشر من أصحاب الجمل و كانوا ثلاثين ألفا. و قتل من أصحاب علي ألف و سبعون." [3]

و لم تكن واقعة الجمل ـ على شدة هولها و فضاعة أمرها ـ إلا مقدمة لما هو أشد منها ،و هي حرب صفين التي " قتل فيها من شجعان المسلمين وأنجادهم تسعون ألفا **"**[4] فشيعة علي يناصرونه لأنهم يرون فيه ابن عم رسول الله - ﷺ - و أحد آل بيته،و هو الوصي، وعليه فهو أحق الناس بولاية الأمر و يرون في معاوية الإنحطاط فهو من الطلقاء و أولاد الطلقاء الذين

---

[1] ــ محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ، الشيخ محمد الخضري بك ، ص: 248

[2] ــ شرح نهج البلاغة،محمد عبده ، مراجعة و تدقيق أحمد إبراهيم زهوة دارالكتاب العربي،بيروت 1426هـــ2005م ،خ13، ص:39

[3] ــ نهج البلاغة،الإمام علي،محمد عبده،مراجعة وتدقيق أحمد إبراهيم زهوة دارالكتاب العربي،بيروت 1426هـــ2005م،خ13، ص:39

[4] ــ محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ،محمد الخضري بك ص:248

عادوا رسول الله و حاربوه. و شيعة معاوية تنصره لأنه وليّ عثمان و أحق الناس بطلب دمه المسفوك ظلما،و لا يرون أنه ينبغي لهم مبايعة من آوى إليه قتلته.و لم تنته هذه الحرب التي مال الإنتصار فيها لشيعة علي إلا بعد خديعة معاوية في رفع المصاحف، و الدعوة للإحتكام إليها ،

و هذه خطبة للإمام عليه السلام بعد إنصرافه من صفين قال بعد الحمد و التشهد قال:"..**و أشهد أن محمدا عبده و رسوله،أرسله بالدين المشهور ، و العلم المأثور، و الكتاب الضياء اللامع و الأمر الصادع إزاحة للشبهات ، و احتجاجا بالبينات،و تخويفا بالمثلات،و الناس في فتن أنجذهم حبل الدين و تزعزعت سواري اليقين، و اختلف النجر و تشتت الأمر ، و ضاق المخرج،و عمي المصدر.فالهدى خاملو المى شامل.عصي الرحمن، و بصر الشيطان،و خذل الإيمان، فانهارت دعائمه و تنكرت معالمه،و درست سبله و عفت شركه.أطاعوا الشيطان فسلكوا مسالكه، ووردوا منهاهله.بهم سارت أعلامه،و قام لواؤه في فتن داستهم بأخفافها، و وطئتهم بأظلافه..**"[1] و هكذا ظهرت الصراعات السياسية و الفرق ، و ظهرت طروحات و اختيارات سياسية أخرى في خلافة الإمام علي بن أبي طالب واتخذت منهجا عنيفا كثيرا ما كانت تعتمد على الأبعاد الدينية،وهي غالبا ما تشبه الأحزاب السياسية منها على الخصوص فرق الخوارج،و الشيعة و المرجئة.... و كان خلف ذلك كله مشكلة الخلافة، التي اتخذت هذه الخلافات الصبغة الدينية ، ففتحت هذه الصراعات أبوابا لوجود فرق أخرى اتخذت مواقفا مبكرة تدور حول النظر في الألوهية و في أفعال العباد ،فغلب عليها النظر في أصول الدين، بداية من هذا العهد أصبح النظر في الإمامة و البحث فيها مرتبطا بالمواقف الدينية، وفي مباحث علم الكلام، وأهم هذه الفرق المرجئة ، الشيّعة الخوارج ، أهل السنة. و قد ذكرالأشعري أكثرمن ذلك في قوله: "اختلف المسلمون عشرةأصناف:الشيّع،والخوارج،والمرجئة ،والمعتزلة وهي أمهات الفرق و الجهمية و الضررية و الحسينية،و البكرية،والعامة،و أصحاب الحديث،و الكُلّابية أصحاب عبد اله بن كلاّب القطان.[2]

3ــ الإمام و الأفكار الوافدة في عصره:

إن الجزيرة العربية بما فيها البداوة العربية ، هي ليست جزيرة منعزلة عن باقي الثقافات المحيط بهم ، بل كانت على صلات بالثقافات المحيطة خاصة عن طريق التجارة و أهمها

[1] ـ نهج البلاغة ،الإمام علي،شرح محمد عبده ، خ 2 ،ص:26-27

[2] ـ مقالات الإسلاميين، الإمام أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري ،ص65

المحور الجنوبي اليمن و الشمالي الشام و يقول في ذلك عباس محمود العقاد: "فقد كانت على اتصال بعقائد الهند و فارس والروم، وكانت للمعارف الإنسانية أشعتها التي تتخلل الجزيرة العربية من قديم العصور.."[1]إضافة إلى إمتداد الفتوحات الإسلامية و اتساع رقعتها ، فسرعان ما احتك العرب المسلمون بأمم لها حضارتها العريقة ، احتكوا بثقافات مزدهرة، فوجدوا أنفسهم أمام عقائد أخرى مخالفة، اتخذ العديد منها لنفسه دعائم فكرية و فلسفية، و سرعان أيضا ، ما بدت المواجهة الفكرية بين المسلمين و بين الملل الأخرى فأثيرت قضايا جديدة في الذين وقفوا على ظاهر القرآن وباطنه و المتشابهات منه، فكان لزاما على المسلمين و مفكريهم أن يدافعوا على العقيدة الإسلامية ، وقبلها أن يتسلحوا بسلاح خصومهم فاطلعوا على المناهج العقلية وأفكارهم ، وإذا بهم يرون بأن القرآن الكريم يشمل كل القضايا الكبرى التي شغلت الإنسان كمعاني الوجود و الحياة الدنيا و الآخرة

و الخير و الشر، الحق و الباطل، الكفر و الإيمان، الوعد و الوعيد،الخالق و المخلوق و تمكن المسلمون من استعمال الجدل و المنطق و الإستدلال بالحجج لمواجهة خصومهم بها ،فكان الجدل الديني و كان النظر العقلي في أمور العقيدة ،فظهر ما يسمى بعلم الكلام الذي تسلح بالفلسفة من غير أن يكون منها ، لأن الفلسفة تتخذ الشك منطلقا لها للوصول إلى الحقيقة ، في حين أن علم الكلام منطلقه الإيمان الراسخ بالعقيدة و مبادئها ، و كان **الإمام** على رأس المدافعين عن الإسلام بما يمتلكه ــ رضي الله عنه ــ من عقل نير و هداية ربانية ، فأمثال و مواعظ **الإمام علي** رضي الله عنه كلها واقعية أو معظمها مستمدة من واقع الحياة و الإيمان و ما وراء الوجود الانساني من عالم الغيب الذي استخلصه من معاني القرآن الكريم،غايتها في ذلك تصحيح الأفكار و القضاء على الخرافات والتنبيه من الغفلة و التذكير بهداية الله والحث على التقوى ، يقول في ذلك أنور الجندي في حكم اللإمام :(قد يكون الإيمان متصلا بما وراء الطبيعة، غير أنه في صميم الوجود البشري لأنه يوجه سلوكهم، و عواطفهم، و أحلامهم و أفكارهم.)[2] **فالإمام علي** يؤمن بالحياة الباقية، و يعتبر الدنيا جسرا نحوها و مجازا اليها.فهو متشبع بالثقافة الإسلامية عن قرب و من مصادرها النيرة استلهم الحق و طريق الوصول

[1] ــ عبقرية الإمام علي ،عباس محمود العقاد،ص691
[2] ــ المرجع السابق، ص342

إليه .و من هذا الواقع الإجتماعي والسياسي و العقائدي الداخلي منه و الخارجي، تشكل الهدف و الغاية، ومن ثمة الرسالة و المرسل إليه عند **الإمام علي** ــ رضي الله عنه ــ فالهدف و الغاية يتمثل في توجيه الناس و وعظهم و نصحهم و تثبيت الإيمان في قلوبهم، و العمل بما انزل الله تعالى و ما أوصى به الرسول - ﷺ- ، أما المرسل إليه،أهله و عشيرته و أتباعه،وجميع المسلمين حتى أعداءه أو المخالفين له في الرأي و كان الإمام علي في كل ذلك، "العالم المجرب الحكيم ، وكان لطيف الحسن ، نقى الجوهر وضاء النفس ، سليم الذوق مستقيم الرأي ، حسن الطريقة سريع البديهة ، حاضر الخاطر ، حولا قلبا ، عارفا بمهمات الامور إصدارا وإيرادا كما وجدناه في نهج البلاغة ، بل كان كما وصفه الحسن البصري : سهما صائبا من ما رمي الله على عدوه ، ورباني هذه الامة وذا فضلها وذا فضلها وسابقتها وذا قرابتها من رسول الله - ﷺ- ، لم يكن بالنئومة عن أمر الله ، ولا بالملومة في دين الله ، ولا بالسروقة لمال الله ، أعطى القرآن عز أئمه ففاز منه برياض مونقة ، وأعلام مشرقة ، ذاك **على بن أبي طالب**"[1] كل هذه المزايا مجتمعة وتلك الصفات متآزرة متناصرة ، وما احبها من نفح إلهى ، وإلهام قدسي ، مكنت **للامام على** من "وجوه البيان ، وملكته أعنقه الكلام وألهمته أسمى المعاني وأكرمها ، وهيأت له أشرف المواقف وأعزها فجزت على لسانه الخطب الرائعة والرسائل الجامعة ، والوصايا النافعة ، والكلمة يرسلها عفو الخاطر فتغدو حكمة والحديث يلقيه بلا تعمل ولا إعنات فيصبح مثلا ، في أداء محكم ، ومعنى واضح ، ولفظ عذب سائغ. . ." [2]

4 ـ مقتل الإمام علي(ض):

اجتمع ثلاث نفر من الخوارج و هم:"(عبد الرحمن بن ملجم،و البرك بن عبد الله، و عمرو بن بكر التميمي) ـ لعنهم الله ـ فتذاكروا أمر الناس و عابوا ولاتهم،و التمسوا قتلهم فقال ابن ملجم : أنا أكفيكم **علي بن أبي طالب**. وقال البرك: أنا أكفيكم معاوية، و قال عمرو بن بكر: و أنا أكفيكم عمر بن العاص. فتعاهدوا و تواثقوا بالله أن لا ينكص رجل منهم عن صاحبه الذي توجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه فأخذو أسيافهم فسموها و اتعدوا لسبع عشرة تخلو من رمضان سنة (40هـ) أن يثب كل

[1] ــ عبقرية الإمام علي ،عباس محمود العقاد ، ص130

[2] ــ مقدمة شرح نهج البلاغه لابن ابى الحديد ، ص4ــ5

على صاحبه الذي توجه إليه "[1]، و لما كانت ليلة الجمعة (15رمضان سنة 40هـ)ترصد ابن ملجم للإمام علي حتى خرج يريد صلاة الصبح ، فضربه ابن ملجم في قرنه بالسيف، ففزع الذين كانوا بالمسجد للصلاة و علي يقول :لايفتنكم الرجل . فشد عليه الناس من كل جانب و أخذوه و دخل الناس على علي ،فقالوا له: إن فقدناك و لا نفقدك فنبايع الحسن،فقال : ما آمركم أنتم أبصر. ثم أوصى أولاده و في يوم الأحد (17رمضان سنة 40هـ) توفي بعد أن مضى على خلافته أربع سنين و تسعة أشهر إلا أيام و دفن بالكوفة التي كانت حاضرة خلافته"[2].

5 ــ شهادة المتلقي في شخصية الإمام علي:

شهد الصحابة رضوان الله عليهم بأن **علي** أقضاهم، فكان الفاروق رضي الله عنه (يتعوذ من معضلة و لا **أبى الحسن** لها)، و كان معاوية بن أبي سفيان يرسل إليه سائلا عن حل لما يشكل عليه من القضاء رغم ما كان بينهما، و يقول عمرــ رضي الله عنه ــ (أقضانا **علي**) و عن (ابن العباس) ــ رضي الله عنه ــ قال: "إذا بلغنا شيئ تكلم به **علي** قضاء فتيا لم نجاوزه إلى غيره وكان (معاوية) يكتب فيما ينزل به ليسأل له **علي بن أبي طالب** ، فلما بلغه قتله قال:ذهب العلم بموته"[3]

فقد ورث **علي** بن أبي طالب بحكم مولده و مرباه مناقب النبوة و مواهب الرسالة، و بلاغة الوحي وصراحة المؤمن، و بسالةالمجاهد،فأجمع الناس على إجلاله و كادوا يطبقون على حبه. إن هذا الحكم وهذه العاطفة شاركهم فيه حتى غير المسلمين، منهم الكاتب الإنجليزي(كارليل) إذ قال:"أما ذلك الفتى **علي** فلا يسعك إلا أن تحبه . ركب الله في طبعه النبل منذ الحداثة، و تجلى في خلاله الكرم طوال عمره، ثم طبعه على العمل و نفاذ الهمة و صراحة البأس وآتاه سر الفروسية و جرأة الليث، و كل أولئك في رقة قلب و صدق إيمان و كرم فعال تليق بالفروسية المسيحية"[4]..فأما فضائله عليه السلام فإنها قد بلغت من العظم والجلالة والانتشار والاشتهار مبلغا يسمح معه التعرض لذكرها ، والتصدي لتفصيلها ، فصارت كما قال أبو العيناء لعبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل والمعتمد :

---

[1] ــ محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية ، ص 265

[2] ــ م ن،ص: 265

[3] ــ القضاء في صدر الإسلام،تاريخه و نماذج منه، جبر محمود الفضيلات، دط،،شركة الشهاب الجزائر: 1987 ،ص235

[4] ــ حسن محمد الزيات، تاريخ الأدب العربي، ص:98

" رأيتني فيما أتعاطى من وصف فضلك كالمخبر عن ضوء النهار الباهر ، والقمر الزاهر ، الذى لا يخفى على الناظر ، فايقنت أنى حيث انتهى بى القول منسوب إلى العجز ، مقصر عن الغاية فانصرفت عن الثناء عليك إلى الدعاء لك ووكلت الأخبار عنك إلى علم الناس بك . وما أقول في رجل أقر له أعداؤه وخصومه بالفضل ، ولم يمكنهم جحد مناقبه "[1] ويقول فيه عباس محمود العقاد:"...فقد خلق الإمام، و في كل خليقة من خلائقه الكبار اجتراء على الدنيا، على ضرب من ضروب الإجتراء.خلق شجاعا بالغا في الشجاعة و زاهدا عظيم الزهد، ودارسا محبا للحقيقة الدينية يتحرّاها حيث اهتدى إليها.."[2].

6ـ ما قيل في رثائه من الأشعار:

قال أبو الأسود الدؤلي: [3]

ألا أبلغ معـــــاوية بن حـرب ××× فـــــــــــلا قرّت عيون الشامـين

أفي شهر الصـــــيام فجعتمونا ××× بخـــير النـــاس طـرّا أجـــمـعين

قتلتم خير من ركب الـــــمطايا ××× ورحّلها و مـــــن ركـب الـــسفينا

من لبس النعال و من حـــــذاها ××× و من قـــــــرأ المثـــاني و المـبينا

لقد علمت قريش حيث كـــــانت ××× بأنك خيرها حســـــــــــبا و دينا

و قال بكر بن حماد التاهريّ:[4]

قل لابن ملجم و الأقدار غالبـــــة××× تهدّمت للدين و الإســلام أركنا

قتلت أفضل من يمشي على قــدم××× و أعظم الناس إسلاما و إيمـــــانا

و أعلم الناس بالقرآن ثم بمـــــا××× سنّ الرسول لنا شرعا و تبـــيانا

صهر النبي و مولاه و ناصــره××× أضحت مناقبه نورا و برهـــــانا

---

[1] ــ شرح نهج البلاغة ،إبن أبي حديد ،ص17

[2] ــ عبقرية الإمام علي ،عباس محمود العقاد ، دط ،المكتبة العصرية، صيدا ــ بيروت ،1421هـ ــ 2000م، ص141

[3] ــ إمام علي بن أبي طالب(ض) رابع الخلفاء الراشدين،تأليف: محمد رضا، ط1 ، تحقيق: محمد يوسف المأمون،دار صبح:1428هـ ــ 2007 م، ص:171ــ172

[4] ــ م ن، ص ن

و كان منه على رغم الحسود له××× مكان هارون من موسى بن عمران

و قال الفضل بن العباس بن أبي لهب:[1]

مَا كنت أحسَب أن الأمر منصرف××× عن هاشِم ثمّ منها عن أبي حـــــسن

البرّ أول مَن صلىّ لقبـْـــــــلته ××× و أعلم النّاس بالقرآن و السّـــــــنن

و آخر النّاس عهدا بالنّبي و من ××× جبريل عون له في الغسل و الكــتفن

من فيه ما فيه لا تمترون بـــــه ××× و ليس في القوم ما فيه من الحـــسن

و قال إسماعيل بن محمد الحميري:[2]

سائِل قريشا به إن كنت ذا عمه ××× من كَان أثـــــبتها في الدين أوتادا

من كان أقدم إسلاما و أكثرها ××× علما و أطـــــــهرها أهلا و أولادا

من وحّد الله إذ كانت مكــذبة ××× تدعــو مـــن الله أوثـــانا و أنـــداد

كل هذه الروافد و الأحداث كان لها صدى في كتابه ـ رضي الله عنه ـ نهج البلاغة فكان بمثابة صوت الإمام ، وحكمة الأمة ، فكان كلامه هذا كما قال فيه إبن أبي حديد " يملأ السهل والجبل ويتنقل في البدو والحضر ، يرويه على كثرته الرواة ويحفظه العلماء والدارسون ، قال المسعودي : والذي حفظ الناس عنه من خطبه في سائر مقاماته أربعمائة خطبة ، ونيف وثمانون خطبة يوردها على البديهة ، تداول عنه الناس ذلك قولا وعملا . ثم ظل هكذا محفوظا في الصدور مرويا على الألسنة ، حتى كان عصر التدوين والتأليف ، فانتثرت خطبه ورسائله في كتب التاريخ والسير والمغازي والمحاضرات والأدب ."[3]

[1] ـــ م ن،ص ن
[2] ـــ المصدر السابق، ص ن
[3] ـــ مقدمة شرح نهج البلاغه ،إبن ابى الحديد ، ص4

1- مصادر نـهج البلاغة و جامعه:

يشير في ذلك الرّضي في مقدمة نـهج البلاغة، عن مصادر هذا النـهج قبل أن يجمعها ،إذ يقول:".. إنتخبت كلماته ومأثور حكمه فيما وضعوه من أبواب المواعظ والدعاء . وفي كتاب الغريب لأبي (عبيد القاسم بن سلام) و(ابن قتيبة) منه الشئ الكثير . وإذا كان لكلام الإمام على طابع خاص يميزه عن غيره من الخطباء ، ونهج واضح يخالف غيره من البلغاء والمترسلين ، فقد حاول كثير من العلماء والأدباء على مر العصور أن يفردوا لكلامه كتبا خاصة، ودواوين مستقلة ، بقي بعضها وذهب الكثير منها على الأيام منهم (نصر بن مزاحم) صاحب صفين ، و(أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي) و(أبو مخنف لوط بن يحيى الازدي) ، و(محمد بن عمر الواقدي) ، و(أبو الحسن على بن محمد المدائني) و(أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ) ، و(أبو الحسن على بن الحسين المسعودي) و(أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعى) و (عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد التممى) (ورشيد الدين محمد بن محمد المعروف بالوطواط) و(عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد) ، وغيرهم كثيرون "[1].و يذكر إبن أبي الحديد أن أعظم هذه المحاولات ، وأعلاها شأنا ، وأحسنها أبوابا وأبعدها صيتا وشأوا "هو مجموع ما اختار (الشريف الرضى أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي) ، في كتابه **نـهج البلاغة** . بناه على ما أفرده في كتاب خصائص الائمة من فصل يتضمن محاسن ما نقل عنه عليه السلام من الكلام القصير في الحكم والأمثال وآلاداب دون الخطب الطويلة والكتب المبسوطة ، ثم جعله كتابا يحتوي على مختار كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في جميع فنونه ومتشعبات غصونه ، من خطب وكتب ومواعظ وآداب علما أن ذلك يتضمن من عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة وجواهر العربية وثواقب الكلم الدينية والدنيوية ما لا يوجد مجتمعا في كلام ، ولا مجموع الاطراف في كتاب"[2] ولم يذكر الشريف الرضي في صدر كتابه المصادر التى رجع إليها أو الشيوخ الذين نقل عنهم ، إلا أنه - كما يبدو من تضاعيف الكتاب - " نقل في بعض ما نقل عن كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ و(المقتضب) للمبرد ، و(كتاب المغازي) لسعيد بن يحيى الأموي و(كتاب الجمل) للواقدي ، و(المقامات في مناقب

[1] - ، شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد(مقدمة الشريف الرضي للنهج) ج1 ص6
[2] ـــ م ن ،ص ن

أمير المؤمنين) لأبي جعفر الإسكافي و(تاريخ ابن جريج) الطبري و(حكاية) أبي جعفر محمد بن على الباقر ، و(رواية اليماني) عن أحمد ابن قتيبة ، وما وجد بخط (هشام بن الكلبي) و(خبر ضرار بن حمزة الصدائي)، و(رواية حجيفة) ، (وحكاية ثعلب عن أبي الاعرابي) ولعله في غير ما نقل عن هؤلاء نقل من مصادر أخرى لم يصرح بها" [1]

2ــ صحة نسب نهج البلاغة:

كثيرا ما حامت حول نهج البلاغة شكوك في نسبته للإمام علي -رضي الله عنه - و ما ذكرناه سلفا يفند هذا الموضوع، وقد تناول ابن أبي الحديد و غيره من الفريقين هذه القضية بالبحث وردوا على هذه الأقاويل بالحجج الدامغة إذ يقول شارح النهج ابن حديد : " ..وهؤلاء أعمت العصبية أعينهم [2]

[1] ــ المصدر السابق، ص7

[2] ــ شرح نهج البلاغه ، إبن ابى الحديد ، ج1 ، ص:9

3- مضمون نهج البلاغة و ترتيبه:

التصنيف الأول لنهج البلاغة: أدار اختياره على ثلاثة أقطاب : أولها الخطب والأوامر ، وثانيها الكتب والرسائل ، وثالثها الحكم والمواعظ ، وأسماه كتاب (نهج البلاغة)، إذ كان يفتح للناظر فيه أبوابها ويقرب على طلابها ، فيه حاجة العالم والمتعلم ، وبغية البليغ والزاهد"[2] نستشفّ من مقدّمة الشّريف الرّضيّ الّتي نقلنا شيئاً منها سلفاً أنّه رصف «نهج البلاغة» في ثلاثة أقسام:

أ- الخطب:

وهو أوّل قسم من أقسام النّهج وأوسعه. ويستوعب (214) خطبةً. ونجد في هذه الخطب موضوعات متنوّعة، من(:فلسفة وإلهيّات ومباحث مرتبطة بالصّفات الالهيّة والجبر والإختيار، إلى مسائل فقهيّة شرعيّة، ومن عرض العِبَر التّاريخيّة، إلى مسائل اجتماعيّة، ومن علم الظواهر إلى الوصايا الأخلاقيّة العميقة الدقيقة،ومن التّوبيخ أو النقدإلى الملاحم الأدبيّة والتوجيهات العسكريّة).

علماً أنّ بعض الخطب أشهر من غيرها، ومنها :الخطبة «الشِّقْشِقيّة»،[3] وهي ثالث خطبة في نهج

السماء و الأرض و السحاب و الملائكة و غير ذلك، ومنها الخطبة «القاصعة»، وهي الخطبة الحادية

بـ - الكتب:

[1] ــ عبقرية الإمام علي،عباس محمود العقاد ، ص 129
*بينات الطريق : هي الطرف الصغار تتشعب من الجادة ، وهى الترهات، شرح نهج البلاغه لابن ابى الحديد،ج1 ص7

[2] ــ شرح نهج البلاغه لابن ابى الحديد(مقدمة الرضى للنهج) ج1 ، ص7
[3] ــ م ن، مج1،خ3،ص151
[4] ــ م ن ،مج3جزء6خ90 ،ص:398إلى438

ونجد في هذا القسم (79) كتاباً، منها الطّويل، ومنها القصير الّذي قد يضمّ جملتين أو أكثر. ونلحظ في هذه الكتب وصايا متنوّعة في ميادين متعدّدة، منها: الحكومة في الإسلام، والنّظام المالي بخاصّة نظام الزّكاة، وقضايا الحرب،ومؤاخذة الولاة، ووصايا أخلاقيّة. وكتابه عليه السّلام إلى مالك الأشتر رضوان الله عليهم .

ج ـ الحِكَم أو قصار الكَلِم:

(261).

4ـ شراح نهج البلاغة:

1 ـ مقدمة شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد،ص5

2ـ المصدر السابق ،ص ن

ـ شرح ابن أبي الحديد على نـهج البلاغة:

1 ــ م ن ،ص ن

2 ــ م ن ، ج1 ،ص10 -11

ابن أبي حديد والرّاونديّ:

.

5 ـ القيمة الفنية و الأدبية لنهج البلاغة:

[1] ــ المصدر السابق ، ج1، ص: 8
[2] ــ شرح نهج البلاغة ، إبن أبي الحديد، ص:5
[3] ــ شرح حكم نهج البلاغة ، الشيخ عباس بن محمد رضا القمي ، مؤسسة نهج البلاغة ، طهران ،1417هق ص: 17ــ18

الشعر إعجابا،لقيمته،إذ يقول فيه أحد الشعراء:

"نهج البلاغة نهجة لذوي البلاغة واضح و كلامه لكلام أرباب الفصاحة فاضح
العلم فيه زاخر و الفضل فيه راجـــــح و غوامض التوحيد فيه جميعها لك لائح
و وعيده مع وعده للناس طرا ناصـــــح تحظى به هذي البريّة صالح أو طالح"[2]

[1] - المرجع السابق ، ص: 17-18
[2] ـــ م ن، ص ن
[3] ـــ م ن، ص: 17ـــ18
[4] ـــ تاريخ الأدب العربيّ ، حنا الفاخوري :ص ،278

.

6 ـ المتلقي و نـهج البلاغة:

[1] ــ نهج البلاغة،الإمام علي،شرح محمد عبده ، ص 8
[2] ــ شرح نهج البلاغة، إبن أبي الحديد ، ص6
[3] ـ م ن ،ص17
[4] ـ نهج البلاغة ، الإمام علي ، شرح محمد عبده (مقدمة الشارح)، ص5، 6

تأثر كثير من الأدباء و الخطباء بأدب و وحكم و مواعظ الإمام علي، عبر مختلف العصوروالأزمنة فهو منبع لا ينبض إشعاعه في المبنى الفني و البلاغي ،و في قيم المعاني، وقد أشار إلى ذلك كثير من المؤلفين و الأدباء و وصفوه بأحلى العبارات ،و هذا المسعودي*يقول :" والذي حفظ الناس عنه من خطبه في سائر مقاماته أربعمائة خطبة ، ونيف وثمانون خطبة يوردها على البديهة ، تداول عنه الناس ذلك قولا وعملا . ثم ظل هكذا محفوظا في الصدور مرويا على الألسنة ، حتى كان عصر التدوين والتأليف ، فانتثرت خطبه ورسائله في كتب التاريخ والسير والمغازي والمحاضرات والأدب على الخصوص ، كما انتخبت كلماته ومأثور حكمه فيما وضعوه من أبواب المواعظ والدعاء: وفي كتابي الغريب لأبي عبيد القاسم بن سلام وابن قتيبة منه الشئ الكثير. "[1] وإذ كان لكلام الإمام على طابع خاص يميزه عن غيره من الخطباء ونهج واضح يخالف غيره من البلغاء والمترسلين فقد تأثر به الكثير من الأدباء و الوعاظ و الخطباء منهم"(نصر بن مزاحم صاحب صفين) ، و(أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي) ، (وأبو مخنف لوط بن يحيى الازدي)، و(محمد بن عمر الواقدي) ، و(أبو الحسن على بن محمد المدائني) ، و(أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ)، و(أبو الحسن على بن الحسين المسعودي) ، و(أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعى)و(عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد التممى) (ورشيد الدين محمد بن محمد المعروف بالوطواط) و(عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد) ، وغيرهم كثيرون "[2]. إلا أن أعظم هذه المحاولات شأنا، وأهمية كما يرى النقاد، أن يفردوا لكلامه كتبا خاصة ودواوين مستقلة ، أهم ما وصلنا منها ، هو مجموع ما اختار الشريف الرضى أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي ، في كتابه نهج البلاغة هذا الكتاب الجليل الذي سبق و أن وردنا قيمته الأدية و التاريخية، و قد ترجم إلى معظم لغات العالم . فالإمام علي ّ كان بحرا في علومه و فكره الذي لا ينضب ، يؤاتيه الكلام في تتابع دون تكلف و لا صنعة ، فهو يمتاز بسهولة المخرج ، مطّرد السياق و القياس

و على أمثلته حذا كلّ خطيب ، و بكلامه استعان كلّ واعظ بليغ ، و بحكمه أخذ كل هاد عاقل لما لكلام الإمام من خصائص و طبقات لغوية نحاول التعرف عليها من خلال آلية التناص، أما الشواهد التاريخية فهي كثيرة في تأثر القراء به ،كما أنها مدونة في كثير من أمهات الكتب العربية

[1] ــ شرح نهج البلاغة ، إبن أبي الحديد.مج1،ج1 ،ص:11

[2] ــ م ن ص ن

نرد منها قول ابن واضح اليعقوبيّ (292 هـ) في كتابه (مشاكلة الناس لزمانهم) :" و حفظ الناس عنه الخطب ، فإنّه خطب بأربعمائة خطبة ، حفظت عنه ، وهي التي تدور بين الناس و يستعملونها في خطبهم".[1]

و قال المسعوديّ (346 هـ) في « مروج الذهب » :" و الذي حفظ الناس عنه من خطبه في سائر مقاماته أربعمائة خطبة و نيف و ثمانون خطبة يوردها على البديهة ، و تداول الناس ذلك عنه قولا و عملا ".[2]

و قال الكلينيّ (329 هـ) بعد نقل خطبة له عليه السّلام في التوحيد ما لفظه :" و هذه الخطبة من مشهورات خطبه عليه السّلام ، حتّى لقد ابتذلها* العامّة وهذه الخطبة مرجع لكل باحث في علم التوحيد إذا تدبّرها بإمعان و فهم ما فيها من حكم فلو اجتمع ألسنة الجنّ و الإنس ليس فيها لسان نبيّ على أن يبيّنوا التوحيد بمثل ما أتى به بأبي و أمّي ما قدروا عليه ، و لولا إبانته عليه السّلام ما علم الناس كيف يسلكون سبيل التوحيد ".[3] و قال ابن ميثم "و أما الفصحاء فمعلوم أنّ جميع من ينسب إلى الفصاحة بعده (عليّ عليه السّلام) يملؤون أوعية أذهانهم من ألفاظه ، و يضمّنونها كلامهم و خطبهم فتكون منها بمنزلة ورد العقود كابن نباتة و غيره ، و الأمر في ذلك ظاهر" .[4]
و قال ابن نباتة : "حفظت من الخطابة كنزا لا يزيده الإنفاق إلاّ سعة و كثرة ، حفظت مائة فصل من مواعظ عليّ بن أبي طالب" .[5]

---

[1] ـــ شرح حكم نهج البلاغة ، الشيخ عباس بن محمد رضا القمي ، ص14
[2] ـــ م ن ص ن
* أي اشتهرت بينهم فكأنّها صارت مبتذلة
[3] ـــ م ن ،ص13
[4] ـــ م ن ، ص14
[5] ـــ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج 1 ، ص:24

صورة الصفحة الأولى من النسخة المعتمدة

في المكتبة العامة لآية الله المرعشي

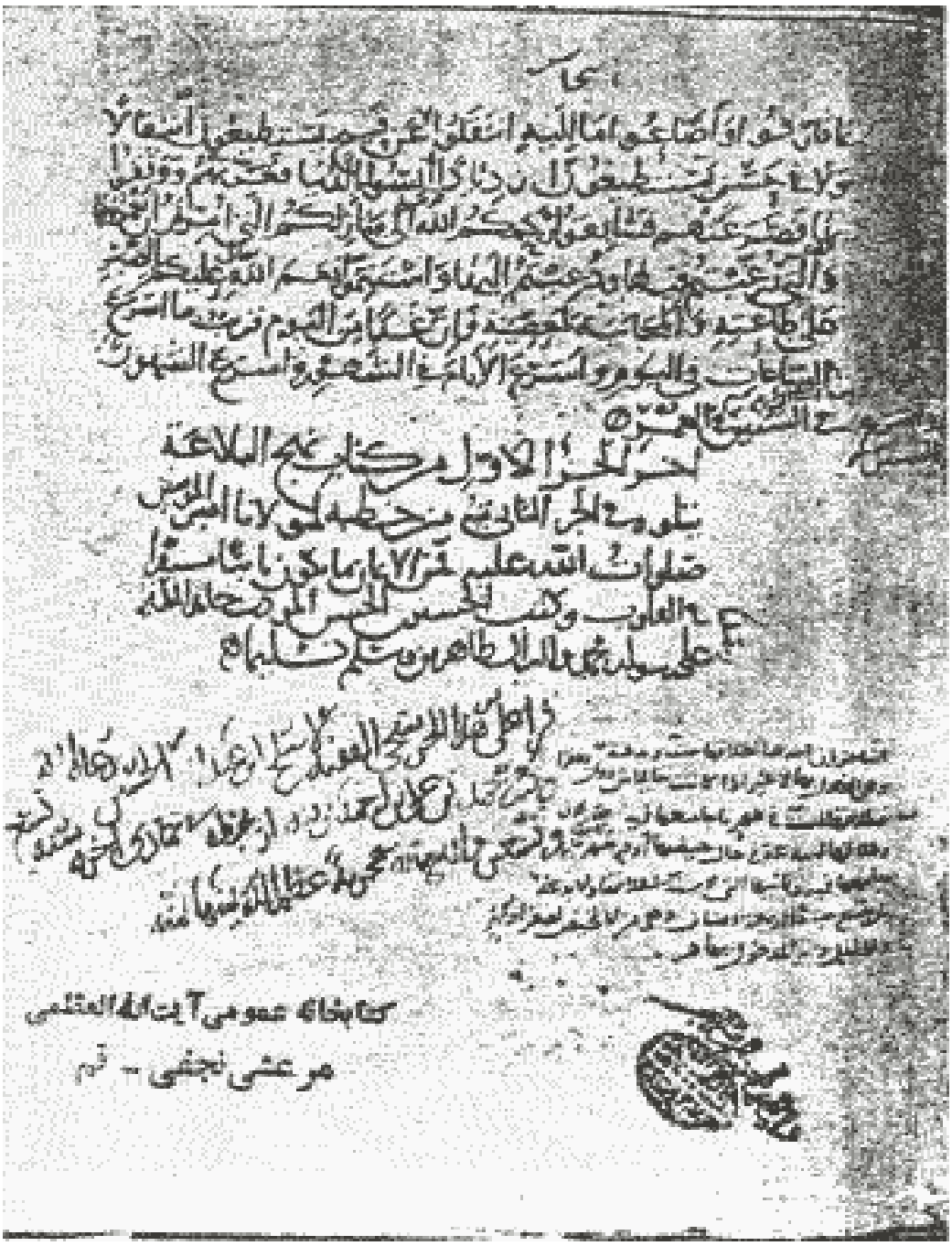

صورة ما ورد في آخر الجزء الأول من النسخة المعتمدة

في المكتبة العامة لآية الله المرعشي

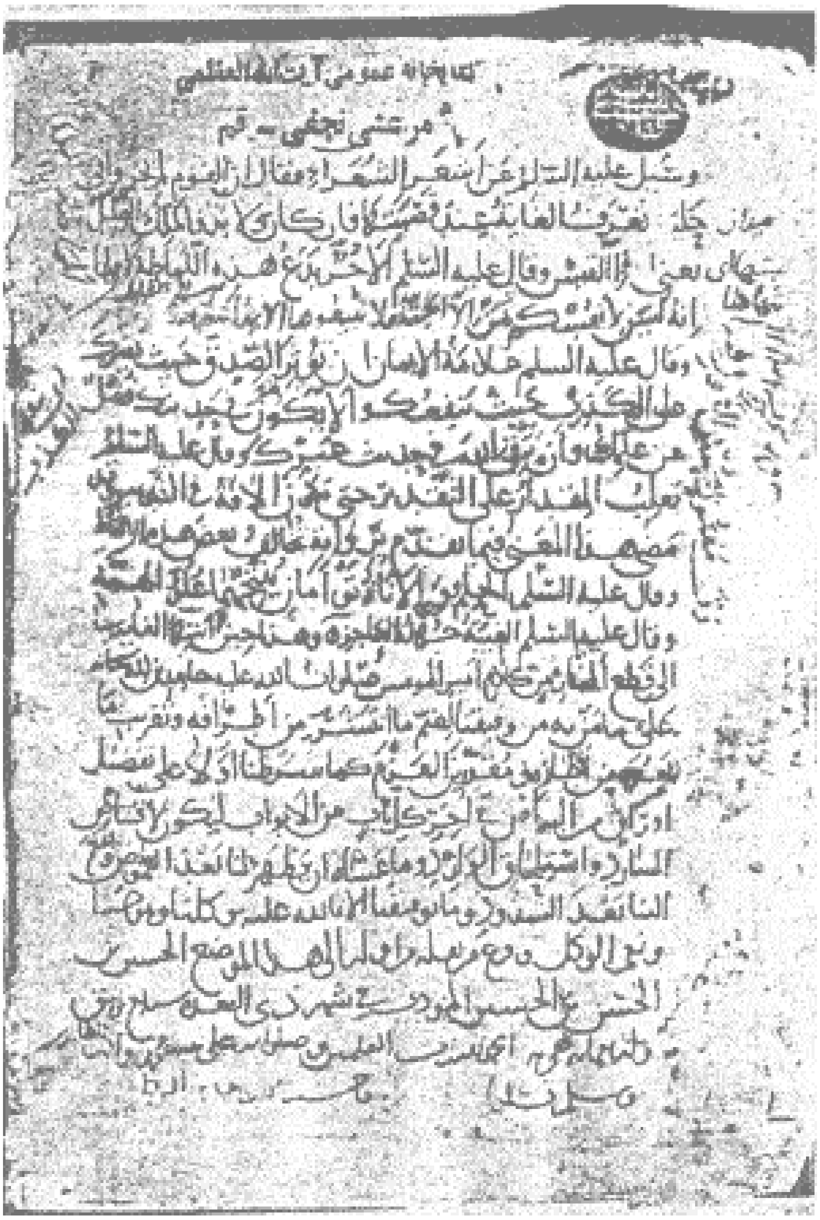

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة المعتمدة

في المكتبة العامة لآية الله المرعشي

الجشع يعود ما خلا والجبن يتفقوا الى السيف وقال أشد الذنوب
ما استخف به صاحبه وقال عليه السلم ما اخذ الله على أهل الجهل
ان يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم ان يعلموا وقال عليه السلم شر الاخوان
من تكلف له وقال اذا احتشم المومن أخاه فقد فارقه

قال السيد

وهذا حين انتهى الغاية بنا الى قطع المختار من كلام أمير المؤمنين صلوات الله عليه
حامدين لله سبحانه على ما من به من توفيقنا لضم ما انتشر من أطرافه وتقريب
ما بعد من أقطاره ومقررين العزم كما شرطنا اولا على تفضيل اوراق من
البياض في آخر كل باب من الابواب لتكون لاقتناص الشارد واستلحاق الوارد
وما عساه أن يظهر لنا بعد الغموض ويقع إلينا بعد الشذوذ وما توفيقنا
الا بالله عليه توكلنا وهو حسبنا ونعم الوكيل

وذلك في رجب من سنة اربعمائة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي
وآله وسلم تسليما

فرغ من كتابته فضل الله بن طاهر بن المطهر الحسيني في الرابع من رجب
سنة اربع وتسعين واربع مائة

حامدا لله تعالى ومصليا على سيدنا محمد وآله الطاهرين

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة المعتمدة

في مكتبة فخر الدين النصيري

خاتمة مخطوطة نهج البلاغة:

I ــ تعريف الحكمة لغة واصطلاحا:

[1] ـ القاموس المحيط للفيروز أبادي ،المطبعة الأميرية،القاهرة،1981 ص: 367

[2] ـ أساس البلاغة الزمخشري ، راجعه و قدم له: الأستاذ ابراهيم قلاتي ، د ط ، دار الهدى ،عين مليلة: د ت ص: 460

[3] ـ المنجد في اللغة و الإعلام ، ط 36 ، دار المشرق بيروت : 1997 ، ص:146

[4] ـ م ن ص:907

[1] - تاريخ الأدب العربي ،أحمد حسن الزيات ، ص:18
[2] - الرائد في الأدب العربي، ج 1، انعام الجندي، ط2، دار الرائد العربي ، بيروت لبنان، 1406هـ 1986م ،ص:181-182
[3] - تاريخ الأدب العربي ، أحمد حسن الزيات ، ص:18
[4] - الرائد في الأدب العربي ، انعام الجندي ، ص:181

((تعبيرا مثليا)) يُـتَـمثّـل به لتشبيه شيئ بشيئ ، أو لتوضيح فكرة، أو لوصف حالة، أو لنحو ذلك، و قد يكون المثل أيضا ،((عبارة تثليدية)) تستخدم للدعاء،و اللعن،و الخطاب، و التحية و غيرها.

ـ إن المثل أساسه التشبيه، أي تشبيه مضربه بمورده، أما الحكمة فأساسها إصابة المعنى.

ـ إن المثل موجز الأسلوب، أما الحكمة، فقد تكون موجزة ، و قد لا تكون.

ـ إن الغاية من المثل الإحتجاج، أما الغاية من الحكمة فالوعظ و الإرشاد.

و رغم هذه الفروقات بين المثل و الحكمة فإن الكثير من الحكم أصبحت أمثالا، بفعل شيوعها، كما أنه لا نستطيع الحُكم على بعض الحِكم على أنها أمثال أو غير أمثال، ما دامت(**السيرورة**) هي الحد الفاصل بين الحكمة و المثل، وما دامت هذه (السيرورة) مرتبطة بالمكان، و الزمان و الأشخاص و لا يوجد معايير دقيقة للقول: إن هذه الحكمة سائرة أو غير سائرة.[2]

5 ـ الخطبة و الوصية:كلتاهما يراد بها الترغيب فيما ينفع و الترهيب مما يضر، إلا أن الأولى تكون على ملأ من الناس في المجامع و المواسم. والأخرى تكون لقوم معينين في زمن معين".[3]

و من كل ما سبق نستخلص أن الحكمة و الموعظة متكاملتان في تحقيق الهدف المتمثل في التوجيه و النصح و الإرشاد إلى ما فيه الخير للإنسان و سعادته في الدنيا و الآخرة ، و أن كل موعظة حكمة و ليس كل حكمة موعظة.كما أن الموعظة غالبا ما ترتبط بالخطبة، أما الحكمة قد تكون منفردة و قد تكون مبثوثة في الخطبة أو الوصية ، أو في غيرها للإسشهاد بها. أما المثل و الحكمة

[1] ـ المرجع السابق ، ص ن

[2] ـ أروع ما قيل من الأمثال ، إعداد إميل ناصيف، ط1، دار الجيل بيروت، 1415هـــ 1994م ،ص:8-9

[3] ـ تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، ص:18

عند الإمام علي فإننا لا نكاد نجد بينهما فرقا يذكر، إذ يقول إنعام الجندي:"ليس بين أمثال علي و حكمه من فرق يذكر فكل مثل غني بالتجربة، و الوعي، و الثقافة،و العمق، و الأبعاد غير المحدودة، و صحته في كل عصر و مجتمع.لذلك يصعب التمييز بين ماهو مثل و ماهو حكمة".[1]

II– تميزالأمثال و الحكم الشرقية:

[1] ــ الرائد في الأدب العربي، انعام الجندي، ص:182.
[2] ــ سورة البقرة، الآية 269
[3] ــ لآلئ الحكم ، رحاب عكاوي ، ط1، دار الفكر العربي، بيروت لبنان، 2003 ، ص:5
[4] ــ الحكمة الخالدة ، جاويدان خرد ، جمعه أبو علي أحمد بن محمد مسكويه، ط2، تحقيق عبد الرحمن بدوي ،دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع:1980 ، ص10
[5] ــ م ن ،ص10

1ـ تميّزالحِكم و المواعظ الشرقية:

لقد ساعد اللغات الشرقية على تحقيق هذا النوع الأدبي لما تتميز به من خصائص نذكر منها أنها:" لغات إلتصاقية ، أعني أن الكلمات تتتالى فيها لتؤدي المعاني بغير توقف بعض أجزائها ،على

---

[1] ـ الحكمة الخالدة '(جاويدان خرد) جمعه أبو علي أحمد بن محمد مسكويه ،ص8

[2] ـ م ن ، ص9

[3] ـ تاريخ آداب اللغة العربية ج1، جرجي زيدان، ص:101ـ102

كان يحفظ من أشعار العرب الجاهلية 14 ألف أرجوزة غير القصائد و المقاطع و الأصمعي يحفظ 16 ألف أرجوزة"[2]

3- تميزالخطب و الوصايا و الحكم في الإسلامية:

الفرق بين الخطابة في الجاهلية و في الإسلام؛ أن الإسلام زادها بلاغة و حكمة ،بما كان يتوخاه الخطباء ؛من تقليد أسلوب القرآن و اقتباس الآيات القرآنية،" وقد كان للقرآن نحو هذا التأثير في الشعر أيضا ،ولكن الخطابة أوسع مجال للإقتباس، فأخذ الخطباء يرصعون خطبهم بالآيات القرآنية تمثلا أو إشارة أو تهديدا ،حتى أنهم يجعلون الخطبة برمتها مجموع آيات، كما فعل (مصعب بن الزبير)لما قدم إلى العراق وأراد أن يحرّض أهله على الطاعة لأخيه عبد الله ، فصعد المنبرو قال: **" بسم الله الرحمن الرحيم ،﴿ طسم، تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى و فرعون بالحق يؤمنون،أن فرعون علا في الأرض و جعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم و يستحي نساءهم أنه كان من المفسدين﴾** (و أشار بيده نحو الشام) **﴿و نريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض و نجعلهم أئمة و نجعلهم الوارثين﴾**(و أشار بيده نحو الحجاز)**﴿ ونمكن لهم في الأرض و نرى فرعون و هامان و جنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾** (و أشار بيده نحو العراق)[3]. و يقول إنعام الجندي:" و عني الخطباء بالإيجاز و حسن الإختصار و السهولة ؛فالجملة قصيرة معبرة ، تشير و لا تطيل وتختصر و لا تطنب... و تكثر فيها الحكم و الأمثال المستمدة من التجارب و من معاني الدين.غنية بالمنطق و الحجة و البرهان و الأقيسة"[4] . إزدادت الخطابة قوة و وقعا أكثر من أي وقت مضى

[1] - تاريخ آداب اللغة العربية :جرجي زيدان، ص:117
[2] ــ م ن ، ص:117
[3] ــ م ن، ص:333ــ334
[4] ــ الرائد في الأدب العربي،إنعام الجندي، ج 2 ص186
*الذي و صلتنا أخبارهم و أمثلة من أشعارهم يبلغون نحو 125 شاعرا

نظرا للحاجة إليها في أكثر من موقع في صلاة الجمعة و العيدين، و في تجمع الجيوش و مناطق انطلاق الفتوحات ،و في النصائح و المواعيظ للقادة و الولاةإلى غير ذلك من المواقع"فبلغت الخطابة عندهم مبلغا قلما سبقهم فيه أحد من الأمم التي تقدمتهم ، بلاغة و إيقاعا وتأثيرا حتى اليونان و الرومان ،ولا ننكر ما كان من تفوق هاتين الأمتين في الخطابة.(.كديموستنيس)،(بريكليس) ومن خطباءاليونان:(شيشرون)(يوليوس قيصر)، من خطباء الرومان فقد ذكروا لـ(ديموستنيس)أخطب خطباء اليونان61 خطبة نصفها منسوب إليه خطأ، و هذه خطب **الإمام علي** تعد بالمئات"[1] ،أما الوصية فهي قريبة من الخطابة و" إن كانت الوصية النثرية الجاهلية كانت تمتاز بالقصر و مضمونها منتزع من تجارب الحياة اليومية فهي لذلك تعالج أمورا معينة لا أمورا مجردة"[2]
و بعد ظهور الإسلام حافظت على مميزاتها مع تغير في موضوعاتها التي طبعت بطابع إسلامي هذا الطابع الذي اختفى في عهد الأمويين ، و تكفي المقارنة بين وصية علي رضي الله عنه لأبنائه أو خطبة عمرلابنه وبين خطبة معاوية لابنه يزيد لنكتشف أن خطبة معاوية عادت إلى الجاهلية

[1] - تاريخ الأدب العربي، جرجي زيدان، ص:335/334
[2] ــ الأدب المقارن و التراث الإسلامي، دط، مكتبة الآداب ــ القاهرة ــ دت،:ص:132
[3] ــ م ن ، ص:132ــ133
[4] ــ الرائد في الأدب العربي ، إنعام الجندي ، ص:182

و منه كانت الموعظة و هي من أهم أبواب نهج البلاغة ، فقد تم تركيز الإمام علي ـ رضي الله عنه ـ في نهجه على المواعظ كسبيل لتربية نفوس أصحابه و مجتمعه و دفعهم الى السير فيما أوصى به نبينا و تستمد ضياءها من نور آيات الله. قال تعالى :﴿ **أدع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة**﴾[3] حتى

[1] ــ عبقرية الإمام علي، عباس محمود العقاد،ص:142

[2] ــ شرح نهج البلاغة ،إبن أبي حديد،ص:ج1،ص9

[3] ــ سورة: النحل الأية:125

[4] ــ شرح نهج البلاغة،محمد عبده،دار الكتاب العربي، الخطبة القاصعة192ص269

القاصعة: من قصع فلان فلاناً: أي حقّره، لانه(عليه السلام) حقر فيها حال المتكبرين

*علم الكلام هو علم أصول العقائد و سماه البعض من أهل السنة علم التوحيد

مخطط بياني يبيّن نسبة مواضيع الحكم و المواعظ في نهج البلاغة

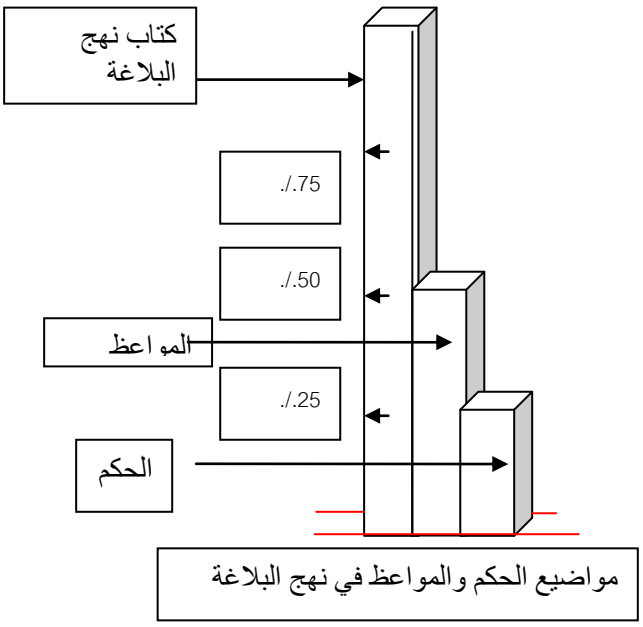

5- أنواع الحكم في نهج البلاغة:

[1] يراجع :تاريخ الأدب العربي ج2،شوقي ضيف،ص11

.

أـــ الحكمة العقائدية:

.

.

ب ـــ الحكم العملية:

حول الأخلاق، والفضائل النفسية، ومعنى العدالة، والتقوى والزهد وكيفية نيل الملكات النفسية ونظائرها..

إنّ السبب في استخلاص هذا البحث من منظار نهج البلاغة هو أنّ صاحب هذا النهج عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ له من الكمال في الحكمة النظرية العقائدية وفي الحكمة العملية، فهو حكيم بكلّ ما لهذه الكلمة من معنى، وحكمته هذه ليست خارجة عن حدود الطاقة البشرية، بل في حدود ما يقوى عليه الإنسان السائر نحو الكمال، وقد بلغ أميرالمؤمنين عليّ(رضي الله عنه) أرفع مستويات الحكمة.

مواضيع الحكم في نهج البلاغة:

:

...)

.

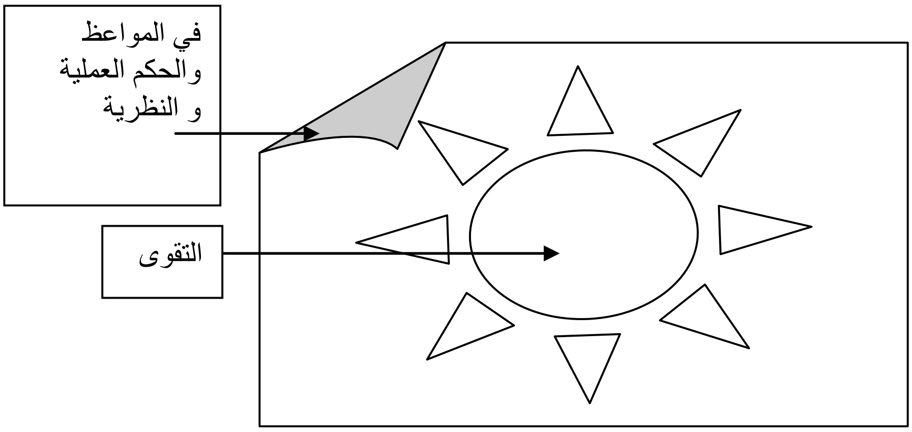

التقوى من أكثر الكلمات استخداما في نـهج البلاغة

الفصل الثاني:التناص في حكم نهج البلاغة:

ـ المبـــــحث الأول: التناص في مضمون الحكم

ـ المبحث الثاني: التناص في أسلوب الحكم

ـ المبحث الثالث: جماليات التناص:

I- تجليات التناص في مضامين حكم نهج البلاغة:

تتوزع ظواهر التناص في مضامين حكم نهج البلاغة مع القرآن الكريم و الحديث الشريف و التراث الأدبي ،على عدَّة نقاط وتشمل عدَّة محاور، لكل منها دوره، وأهميته في إنتاج الدلالة وتوجيهها وفق زاوية أو رؤية معينة؛ وقد تأخذ هذه الظواهر أشكالاً مختلفة، بحيث تتظافر وتتفاعل المحاور في النص مع هذه الظّواهر، فتعطي التناص قيمة دلالية خاصة، تنمُّ عن إدراك الإمام علي واستشرافه لموروثه الديني، وفي مقدمته القرآن الكريم. فالحديث الشريف ، ثم التراث ،ونشير إلى أَن تمثُّل النصّ القرآني والحديثي و التراثي في نصوص نهج البلاغة، قد يأتي جلياً تارة، وخفيّاً تارة أخرى وهو يأتي موافقا كله لمعاني القرآن الكريم و الحديث الشريف. إنّ نهج البلاغة ـ كما يقول ابن أبي الحديد ـ إذا تأملته، **«وجدتَه كلَّه ماءً واحداً، ونَفَساً واحداً، وأسلوباً واحداً كالجسم البسيط الذي ليس بعض من أبعاضه مخالفاً لباقي الأبعاض في الماهية.."**[1]

والملاحظ أنّ التناصّ مع القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في نهج البلاغة، يغلِّف نصوصه حيناً ويتخلَّل مضامينه حيناً آخر، فهو في أقوى أشكاله تضمين .عاملين في تطبيق آلية التناص على حكم نهج البلاغة في المضمو ن أولا ثم في الشكل، حيث يقول محمد مفتاح:" على اعتبار أن التناص في المضمون و أن لا مضمون خارج الشكل ، بل إن الشكل هو المتحكم في

[1] ـ شرح نهج البلاغة، إبن أبي حديد:ج1،ص:9

التناص الموجه اليه"[1] مو ظفين ذلك حسب تصانيفها :الحكم العقائدية و الحكم العملية ـ كما إشرنا إليه سالفا ـ

I- التناص الديني في مضامين الحكم:

تعلق الإمام علي بالقرآن الكريم و الحديث الشريف تعلقا بالغا لما يحويانه من سحر وجاذبية و من معان ، وتعاليم سامية ، إضافة لما يحمله من أسباب التداوي من الأمراض التي تنخر المجتمع و التي سبق الإشارة إليها ، وبرز هذا التأثر في توظيفه للنص القرآني و الحديثي بكثافة، إذ أعاد كتابته في نصوصه وفق مستويات تناصية مختلفة ،تراوحت بين التناص الإجتراري، الذي يعيد النص القرآني أو الحديثي في النص الحاضر ، والإمتصاصي حيث يتمثل الإمام الدوال اللغوية و دلالتها ويعيد توزيعها في نصه و فق تجربته ، ومن ثم يحدث الإنسجام و التلاقي لنص غائب في نص حاضر ومن هنا يتضح من خلال قراءتنا لنهج البلاغة الكثير من هذا التفاعل الذي ينبني غالبيته على الإقتباس و التضمين، كمصطلح عند القدامى أو التناص الظاهر والتناص المخفي أو الإيحائي، في المصطلح الحديث ومن هذا التناص أو الإقتباس ما يكون باللفظة المفردة أو بالإشارة و التلميح أو الإيماء الخاطف أو بآية أو بجزء من آية ، مع توليد دلالات تتجاوز التمظهر اللفظي للنص لتستجيب لما يعانيه الإمام علي ـــ رضي الله عنه ـــ لأوضاع أمته بعد وفاة نبيه ونبينا ومعلمه و معلمنا الرسول(ﷺ) ، ولما أصاب الأمة من انحراف سياسي و اجتماعي كما سبق التطرق إليه في مبحثه، فكان على الإمام علي مسؤولية عظيمة في ترشيد الناس و وعظهم و تنويرهم بالحكم التي تشبع بقيمها العظيمة من مدرسة الرسول الأكرم (ﷺ) .في جميع خطابات الإمام عليّ في السياسي الفقهي، و التربوي و الوعظي، في إطار معرفي مُحكم. فالإمام علي كان يترصد كل كبيرة و صغيرة من أحداث أو سلوكات تحدث في الأمة الإسلامية ، فتفسد على الناس دينهم و تنحرف بهم عن جادة الطريق.

يستحظر الإمام علي التناص الديني في مواضع كثيرة ليتم توزيعها و نشرها في خطابه، ليسهم بذلك اللفظ القرآني و الحديثي في بناء الخطاب و السمو بمستواه التعبيري فيحقق مبتغاه من التأثير في المتلقي ، وإيقاظ الهمم ،و بث روح التغيير الداخلي لنفوس مجتمعه نحو التمسك

[1] ـ تحليل الخطاب الشعري ،محمد مفتاح ، ،ص130

بتعاليم الإسلام و تربيتهم تربية سليمة، تتماشى مع المنهج الرّباني الذي تربى وسطه. فكان هذا التناص إما عن طريق التمظهر اللفظي أو إستيحاء ظلال القرآن الكريم و الحديث الشريف.كما نجد أن الإمام علي تناص مع منهجية الرسول ﷺو المتمثلة في أنه" (ﷺ) يقرب المسائل بضرب الأمثال.و المثل من أوضح السبل و أظهرها في تصوير الحقيقة و توضيحها و تقريبها إلى ذهن السامع"[1]، ومن منهجه أيضا في التربيةوالتعليم العناية بذكر القصة في شرح الفكرة و بيان المسألة المطلوب بيانها،فتأتي القصة النبوية جامعة لكثير من الفوائد و المسائل، ومنها" مايتعلق بالتوحيد فيبيّن بها فضل الإيمان بالله و وجوب الصبر على قضائه ،و تسليم الأمر إليه و فضل التوبة و الرجوع إليه و الصدق في معاملته و فصل التوكل و الرضا، ومنها مايتعلق بالآداب العامة في كيفية معاملة الخلق من بر الوالدين و صلة الأرحام و الإحسان إلى الضعفاء و غير ذلك من المعاني العظيمة و المبادئ الكريمة.."[2] ومن منهجه أيضا ﷺفي التربية و التعليم أنه كان يؤيد قوله في "التعليم بالدليل و التعليل على صورة القياس و التنظير، فيزداد قوله وضوحا و يصير حجة بعد حجة ليقف السائل على حقيقة واضحة يطمئن له قلبه و تنشرح بها نفسه ، وهذه الشواهد الناطقة الدالة على ذلك بأصدق بيان و أعظم برهان."[3] ومن هذا الأخير نجد التناص المزدوج تناص في منهجية توصيل المعارف و تناص مع المضامين.و نبدأ بتناص الإمام علي رضي الله عنه مع مضامين القرآن الكريم ، فأول ملاحظة أن جل المواضيع التي تطرق إليها الإمام علي في مواعظه و حكمه مقتبسة من القرآن الكريم و الحديث النبوي، نبدأها بمعاني ومضامين معرفة الله* التي تندرج ضمن حكم أصول العقائد ومعرفة الله تعالى في حكم و مواعظ نهج البلاغة تتناول معرفة وجود الله و الإقرار بأنّه واجب الوجود .

---

[1] ــ محمد "صلى الله عليه و سلم"،(الإنسان الكامل) ، محمد علوي المالكي الحسيني،ط4،دار الشروق للنشروالتوزيع،جدة: 1408هـ- 1987م ،ص:296

[2] ــ محمد "صلى الله عليه و سلم"،(الإنسان الكامل) ، محمد علوي المالكي الحسيني، ص:292

[3] ــ م ن، ص:289

* من أمعن النظر في دواوين الحديث النبوي ، و وقف على الآثار السلفية، علم أنه لم يرد قط ،عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم، على اختلاف طبقاتهم ،و كثرة عددهم ، أنه سأل رسول الله صلى الله عليه و سلم عن معنى شيئ مما و صف الرب ـ سبحانه به نفسه الكريمة في القرآن الكريم ، وعلى لسان نبيه صلى الله عليه و سلم ،بل كلهم فهموا معنى ذلك و سكتوا عن الكلام في الصفات ، ولا فرق أحد منهم بين كونها صفة ذات أو صفة فعل..ولا عرف أحد منهم الطرق الكلامية و لا مسائل الفلسفة"مقالا ت الإسلاميين،ص8-9

و معرفة كنهه و إدراك حقيقة ذاته و هذه النظريات يهدف بها الإمام علي إلى تربية الناس تربية دينية صحيحة يستمدها من الدين الإسلامي ، ومن المدرسة المحمدية،و من نباهة عقله ،ومن علم الكلام الذي نبغ فيه ، و الذي يرمي إلى خدمة الشرع من خلال المناظرة و الوعظ و النصح دفاعا عن العقيدة من المشككين و المفسدين و ضعاف النفوس، الذين أثاروا بعد وفاة ـ النبي (ﷺ)ـ مثل هذه القضايا.خاصة مع الفتوحات التي و قعت في عهد الخلفاء الراشدين،فواجه المسلمون عقائد لم يعهدوها مثل الغنوصية(المجوسية) في فارس و العراق و المسيحية في الشام و مصر وغيرها من الفرق، تأثربها بعض المسلمين ، مما اضطر بالإمام إلى توضيح و تصحيح المفاهيم، بما وهبه الله من فكر نير وعلم جامع قد استنبطه من القرآن الكريم و الحديث الشريف لغاية تثبيت الإيمان في قلوب المسلمين و إقناع غير المسلمين بخطإ ما يفكرون .

<u>1- تناص الحكم العقائدية في نهج البلاغة:</u> إنّ هذا القسم من أقسام الحكمة العقائدية ،هو البداية التي ينطلق منها الإمام علي لمعرفة مبدئه،و هي من المسائل الكلامية التي حصل فيها جدال بين الفلاسفة وعلماءالكلام،كانت بواكره قد ظهرت في صدر الإسلام*،لكثرة التساؤلات في مثل هذه المواضيع و قد قال ـ (ﷺ) ـ :**(لن يبرح الناس يتساءلون حتى يقولوا:هذا خالق كل شيئ فمن خلق الله؟)**[1] و توسعت هذه الأطروحات و الأفكار في الخلافة الراشدية جراء الفتوحات ، و تشعّبت في العصر العباسي جراء الترجمة و الإحتكاك بالفلسفة الإغريقية و اليونانية.و من المسائل التي أثيرت آنذاك، هو أن صفات الله تعالى هل هي زائدة عن ذاته أم أنها جزء من ذاته؟ ـ قد نجد أشارات في ذلك عند الفرق الكلامية كالمعتزلة و الأشاعرة،و بعدهم الفلاسفة الإسلاميين ـ و في كلا الحالتين خروج عن حقيقة التوحيد فاذا كانت صفات الله زائدة عن ذاته كان هناك قديمان ، و هذا إشراك بالله تعالى . و إذا كانت صفاته جزء منه فقد جزأنا الله تعالى ، وهذا مخالف للوحدانيّة. إن الشرع دعا إلى إعتبار الموجودات بالعقل و تتطلب معرفتها به، و هو بيّن في كثير من الآيات تنص على وجوب استعمال القياس العقلي أو العقلي الشرعي معا ،مثل قوله تعالى: ﴿**أو لم ينظروا في ملكوت السموات و الأرض وما خلق الله من شيئ**﴾[2] فهذا نص بالحث على التفكير في جميع الموجودات التي خلقها الله. وممن خصه الله تعالى وشرفه به "إبراهيم"عليه السلام قال تعالى ﴿**و كذلك نري**

[1] ـ مختصر صحيح البخاري(التجرد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح)أبو العباس زين الدين أحمد بن عبد اللطيف الشرجي الزبيدي ط1، شرحه الشيخ الشرقاوي و الإمام ابن قاسم الغزي دار الفكر، ـ بيروت ـ لبنان ،2005م ،ص570

[2] ـ سورة الأعراف : الآية185

إبراهيم ملكوت السموات و الأرض﴾[1] وباقي الآية (وليكون من الموقنين)و من المفيد مواصلة التفكير في ما يتبع هذه الآية إلى غاية 79 لما تحمله هذه الآيات من معاني مكملة للموضوع، و قد وضّح الامام علي (ض) هذه الناحية الحسّاسة بقوله إن صفات الله هي عين ذاته ، و أنه سبحانه غير قابل للتجزئة أو المحدودية فلا يقال له مثلا (فيم ؟) و (علام ؟) و (متى ؟) و (حتى) و (ممّا ؟) و ما شبهها، التي هي من الأسئلة الخاصة بصفات الأشياء ، و الله تعالى منزّه عن كل ذلك .و قد أظهر الإمام براعة تحكيم العقل و قوة البرهان و التي استمدها من دلائل وحدانية الله و من آياته تعالى في الكون ،و هي كثر في القرآن الكريم و الحديث الشريف.

<u>2 ـ التناص في حكم معرفة الله:</u> يقول الإمام عليّ رضي الله عنه.**".أوَّلُ الدِّين مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْديقُ بِهِ وَكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ، وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلاصُ لَهُ، وَكَمَالُ الْإِخْلاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُلِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَة أَنَّها غَيْرُ المَوْصُوفِ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوف أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ، فَمَنْ وَصَفَ اللهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ،وَمَنْ ثَنَّاهُ فَقَد جَزَّأَهُ، وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَهُ، [وَمَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أشَارَ إِلَيْهِ،]وَمَنْ أشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَنْ قالَ» :فِيمَ» فَقَدْ ضَمَّنَهُ، وَمَنْ قَالَ: «عَلاَمَ؟» فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ.كائِنٌ لاَ عَنْ حَدَث(لا عن إيجاد موجد) مَوْجُودٌ لاَ عَنْ عَدَم، مَعَ كُلِّ شَيْء لاَ بِمُقَارَنَة، وَغَيْرُ كُلِّ شيء لا بِمُزَايَلَة(المفارقة والمباينة)، فَاعِلٌ لا بِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ وَالآلةِ،بَصِيرٌ إذْ لاَ مَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ مُتَوَحِّدٌ إذْ لاَ سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بهِ وَلاَ يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ ."**[2]

فبالنسبة للّه تعالى الذي لا يصدق عليه التعدد ، فليس معنى أنه (واحد) أنه ليس اثنين ، بل معناه أنه لا يفترض له ثان . فوحدة ذات اللّه ليست وحدة عددية ،و لا يمكنها أن تكون كذلك لأن عدّه بالعدد يستلزم محدوديته ، وقد تداخلت نصوص هذه الروافد التي استمدها من المدرسة المحمدية و الإستدلال العقلي الذي وهبه الله له ،وتكوينه الديني بملازمة الرسول(ﷺ) . وقد نبّه الإمام علي أن الاعتقاد بالتوحيد هو على أربع مراتب: توحيد الذات و توحيد الصفات وتوحيد الأفعال و الآثار، وهي كلها من المواضيع المستخلصة من القرآن الكريم والحديث الشريف،نذكر منها

---

[1] ـ سورة الأنعام: الأية79

[2] ـ نهج البلاغة،الإمام علي، شرح الشيخ محمد عبده،مراجعة و تدقيق ،أحمد إبراهيم زهوة،دار الكتاب العربي، بيروت:1426هـ2005م، الخطبة1،ص17

<u>3 ــ التناص في حكم توحيد الذات الإلهية:</u> ففي قوله رضي الله عنه: **"لا تراه العيون بمشاهدة العيان، و لكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان، قريبغير ملامس،بعيد منها غير مباينمتكلم لا بروية، مريد لا بهمَّة، صانع لا بجارحة،لطيف لا يوصف بالخفاء،كبير لا يوصف بالجفاءِ،بصير لا يوصف بالحاسة،رحيم لا يوصف بالرقة،تعنوا الوجوه لعظمته،و تجبّ القلوب من مخافته."**[1] و يمكن هنا رصد تداخل نص الإمام الماثل موضوعا في علاقة مع نص قرآني سابق ، ساهم إلى حد كبير في معمارية نص الإمام و بنائه ، ويمكن تتبع هذه النصوص القرآنية و الحديثية في النص السابق التي تفاعل معها الإمام و استنصص معانيه و ألفاظه.فكانت أول حكمه النظرية العقائدية التي استعلنت النص القرآني استغلالا فنيا و استدلاليا في توحيد الله ودلائل وجوده. فمن واجب كل إنسان أن يعرف وجود الله و الإقرار بأنه واجب الوجود ويتم إدراك ذلك عن طريق آلائه و آثاره في خلقه. ،قال تعالى في سورة الإخلاص﴿ **قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوًا أحد** ﴾. **و في سورة فصلت :**

﴿**سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ . أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾[2]

. فمن هذه الآيات و غيرها إقتبس الإمام علي مواضيعه واستدلالاته، و هذا نموذج آخر للموضوع نجد الإمام قد استحضرعدة آيات، خاصة سورة (الإخلاص)التي امتص معانيها وبعض الفاظها(**لم يولد...)(لم يلد...)**، ثم يحشد ها بمعان ذات سمو بلاغي و نسق فني لا نجد أسمى منه إلا في القرآن الكريم و الحديث الشريف ،إضافة لإجادته في إختيارالألفاظ القرآنية الدقيقة لموضوع خطابه ـ رضي الله عنه ـ الذي سنتطرق إليه في مبحثه فيكون لخطابه جاذبية سحرية تؤثرعلى القارئ و تقنعه بالتوجه الصحيح. يقول الإمام علي (ع):**"لَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْلُوداً، وَلَمْ يُولَدْ فَيَصِيرَ مَحْدُوداً جَلَّ عَنِ اتِّخَاذِ الأبْنَاءِ، وَطَهُرَ عَنْ مُلاَمَسَةِ النِّسَاءِ.لاَ تَنَالُهُ الأوْهَامُ فَتُقَدِّرَهُ، وَلاَ تَتَوَهَّمُهُ الْفِطَنُ فَتُصَوِّرَهُ، وَلاَ تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ فَتُحِسَّهُ، وَلاَ تَلْمِسُهُ الأيْدِي فَتَمَسَّهُ.وَلاَ يَتَغَيَّرُ بحَال، وَلاَ يَتَبَدَّلُ فِي الأحْوَالِ، وَلاَ تُبْلِيهِ اللَّيَالي وَالأيَّامُ، وَلاَ يُغَيِّرُهُ الضِّيَاءُ وَالظَّلاَمُ، وَلاَ يُوصَفُ بِشَيء مِنَ الأجْزَاءِ، وَلاَ بِالْجَوَارح وَالأعْضَاءِ، وَلاَ بِعَرَض مِنَ الأعْرَاضِ، وَلاَ بِالْغَيْرِيَّةِ وَالأبْعَاضِ.وَلاَ يُقَالُ: لَهُ حَدٌّ وَلاَ نِهَايَةٌ، وَلاَ انقِطَاعٌ وَلاَ غَايَةٌ، وَلاَ أَنَّ الأشْيَاءَ تَحْوِيهِ فَتُقِلَّهُ:**(أي ترفعه)**أوْ تُهْوِيَهُ**(أي تحطه وتسقطه)**، أوْ أَنَّ شَيْئاً يَحْمِلُهُ، فَيُمِيلَهُ أوْ يُعَدِّلَهُ.لَيْسَ فِي الأشْيَاءِ بِوَالِج** (أي داخل.) **، وَلاَ عَنْهَا بِخَارِج."** [3] و يظهر انشغال الإمام في النموذج السابق على عدة معان آيات

---

[1] ـنهج البلاغة،الإمام علي،شرح محمد عبده،خ169ص:244
[2] -سورة فصلت :الأية53
[3] ــ نهج البلاغة، الإمام علي، شرح: محمد عبده، الخطبة186ص:257ــ258

منها قوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿**الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا،وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا**﴾[1] ،و في سورة الأنبياء: ﴿**أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون**﴾[2] و في سورة المؤمنون: ﴿**قُلْ لِمَنْ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ*سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ*قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ*سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ*قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ*سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّا تُسْحَرُونَ*بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾[3] .كما أنه يؤكد على أهمية شأن العقل ،ويعتبره من المصادر الأساسية للمعرفة، وكل ما يتنافى معه فهو باطل. أما الحواس فهي كاذبة ولا تصلح للرؤية، وإنما الرؤية الحقيقية للعقل: "**ليست الرؤية مع الأبصار، فقد تكذب العيون أهلها ولا يغش العقل من استنصحه**"[4]، ويكفي العقل* فضلاً وشرفاً أنه يميز بين الحق والباطل، ويفرق بين الغي والرشاد، لذا كان من أكمل المناهج وأقوم المسالك وأكثر مصادر المعرفة رشداً، وأقله ضلالاً، . يقول (عليه السلام): "**من استرشد غير العقل أخطأ منهاج الرأي**" [5] وتنمية القوى العقلية للإنسان لا تكون إلا في طلب العلم، لأن العلم غذاء العقل به ينشط وبه يقوى على ممارسة الوظائف العقلية عكس حواسه المحدودة ، و هي قاصرة عن معرفة كنه بعض المخلوقات المحدودة ، فكيف بها أن تدرك حقيقة الخالق اللامحدود؟ ! و قد بيّنها الإمام علي من خلال عبقريته الإسلامية و فلسفته الدينية التي ترتكز على عقيدة التوحيد وهي كلها نابعة من صميم القرآن الكريم إذ يقول تعالى:في سورة النحل ﴿**و نزّلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيئ**﴾ [6] و قد نوّه الله تعالى بمزيّة العقل و الإشادة بالتعويل عليه في أمر العقيدة

---

[1] ــ سورة الفرقان:2ــ3

[2] ــ سورة الأنبياء: 21ــ22

[3] ــ سورة المؤمنون:84 ــ90

[4] ــ شرح نهج البلاغة،إبن أبي حديد ج19، ص173

[5] ــ المصدر نفسه، ج20، ص260

[6] ــ سورة النحل: الآية89

*كان العالم يوم بعث الله رسوله و دين الحق،يتيه في في بيدواوات من ظلم و جهل ،و فوضى الأخلاق،و انتكاس أسس الاجتماع،

و شؤون التبعة و التكليف* ،هذه الآيات لا تذكر العقل إلا في مقام التعظيم و الإجلال حيث تنبّه إلى و جوب العمل به ، و الرجوع إليه ، و الإصغاء إلى ما يمليه ،و الآيات الواردة في هذا المقام كثيرة منها على سبيل المثال

و قال أيضا: ﴿ و يتفكرون في خلق السموات و الأرض﴾"[1] و **﴿و تلك الأمثال نضربها للناس و ما يعقلها إلا العالمون﴾**[2] و **﴿و قالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنّا من أصحاب السعير﴾**[3] . إن هذه الآيات و غيرها من ضروب الحث على التعقل و التأمل و التفكير ومنه يتبين أن العقل الذي يخاطب الإسلام هو الملكة التي بها يعصم الضمير ، و بها تدرك الحقائق ، وبها تتم الموازنة بين الأضداد و يكمل التميز بين الأمور، وبها يتبصر الإنسان ويتدبر ، و يحسن الإدراك.إن القرآن الكريم موجه إلى الإنسانية الناضجة ، و السائرة في تطورها و نضجها نحو الكمال الفكري، ونحو النظرة الموحدة في شؤون الله و الكون و الإنسان ، و قد فعل ذلك الإمام علي ومن كل ذلك استقى معرفته و اكتمل عقله. قال الإمام علي[**فَلَسْنَا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ إلاَّ أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ: حَيٌّ قَيُّومٌ، لاَ تَأْخُذُكَ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَمْ يَنْتَهِ إِلَيْكَ نَظَرٌ، وَلَمْ يُدْرِكْكَ بَصَرٌ، أدْرَكْتَ الأبْصَارَوَأَحْصَيْتَ الأعْمَالَ، وَأَخَذْتَ بالنَّوَاصِي وَالأقْدَامِ، وَمَا الَّذِي نَرَى مِنْ خَلْقِكَ، وَنَعْجَبُ لَهُ مِنْ قُدْرَتِكَ، وَنَصِفُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ، وَمَا تَغَيَّبَ عَنَّا مِنْهُ، وَقَصُرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُوَانْتَهَتْ عُقُولُنَا دُونَهُ، وَحَالَتْ سَوَاتِرُ الْغُيُوبِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ أَعْظَمُ.فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ، وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ، لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ، وَكَيْفَ ذَرَأْتَ خَلْقَكَ، وَكَيْفَ عَلَّقْتَ فِي الْهَوَاءِ سمَاوَاتِكَ، وَكَيْفَ مَدَدْتَ عَلَى مَوْرِ الْمَاءِ أَرْضَكَ، رَجَعَ طَرْفُهُ حَسِيراً، وَعَقْلُهُ مَبْهُوراً، وَسَمْعُهُ وَالَهِاً، وَفِكْرُهُ حَائِراً"**[4]و في قول

أ/عند العرب:فالعرب و هم قومه، ومنهم أهله و عشيرته الأدنون ،أمة عريقة في الجاهلية الجهلاء،واغلة في الوثنية،ليست لهم قدمة و لا سابقة في القي الإجتماعي،ولالهم عاطفة و لا وازع يصرفهم عن المغاورة و التكسب من طريق النهب،و شن الحروب،و الإعتداء على الحرمات و الحقوق، ووأد البنات، و ما أشبه ذلك من دنئ الفعال، و لا لهم من حصافة العقل،و رقي الإدراك،و نور المعرفة ما يحول بينهم و بين عبادة الأصنام ، و التقرب إليها،و اتيان السحرة و الكهنة و العرافين و الممخرقين يلتمسون عندهم المعرفة و أخبار الغيب..و من كان عندهم ذا دين فإنما صار دينه إلى جمل محرفة، و عبارات مبدلة ممسوخة مما رصعه رؤساؤهم و أولو الأمر منهم؛فهؤلاء قوم زيُّن لهم سوء عملهم فرأوا حسنا فاعتقدوا التثليث،و الحلول،و الوساطة بين الخالق و المخلوق،و هؤلاء قوم تخلوا عن عقولهم ، و دانوا بما ابتدعه أخبارهم من التجسيم و غير التجسيم مما لا يليق لاواحد القهار، و هؤلاء قوم عبدوا الأجرام العلوية، و نصبوا لها الهياكل،و رصدوهاوقدسوها..

ب/غير العرب:و غير العرب شر من العرب في ذلك : منهم الثَّنوية، ومنهم عبدة النار، و منهم الدهريون، و الطبيعيون ، ومنهم منكروا وراء الحس، ومنهم منكروا النبوات، ومن كان يتدين دينا منهم فليس هو بأهدى ممن يتدين من العرب، ولا بأقوم سبيلا.
للإستزادة مراجعة"مقالات الإسلاميين،الأشعري، ص6

[1] ـــ سورة آل عمران: الآية191

[2] ـــ سورة العنكبوت :الآية 43

[3] ـــ سورة الملك: الآية 10

[4] ـــ نهج البلاغة، شرح محمد عبده،.الخطبة 160، ص313

الرسول ﷺ عن عائشة(ض) قالت تلا رسول الله ﷺ ﴿ **هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب**﴾ قالت :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم " وفي قول آخرللرسول ﷺ: " **اقرؤا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم فإذااختلفتم فيه فقوموا**)[1].

ومن خطبة له (عليه السلام):(**فَهُوَ الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ أَعْلاَمُ الْوُجُودِ، عَلَى إِقْرَارِ قَلْبِ ذِي الْجُحُودِ، تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقولُ الْمُشَبِّهُونَ بِهِ وَالْجَاحِدُونَ لَهُ عُلوّاً كَبِيراً المَكَانِ بِهِ، لَمْ يُطْلِعِ الْعُقُولَ عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِهِ، ولَمْ يَحْجُبْهَا عَنْ وَاجِبِ مَعْرِفَتِهِ، فَهُوَ الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ أَعْلاَمُ الْوُجُودِ، عَلَى إِقْرَارِ قَلْبِ ذِي الْجُحُودِ تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقولُ الْمُشَبِّهُونَ بِهِ وَالْجَاحِدُونَ لَهُ عُلوّاً كَبِيراً**)[2] . إن كان المسلمون قد استطاعوا السير و فقا لهذه التعاليم القرآنية و السنة النبوية الشريفة فإن الظروف الإجتماعية و السياسية آنذاك تجعلهم يتعرضون لغزوات فكرية من المفسدين في الأرض أو المغضوب عليهم أو الضالين، تدفعهم إلى اللجوء إلى تلك الحقائق القرآنية من أجل تحليلها و تقديمها في صورة فلسفية ، باستخدام القياس العقلي *، و في صدر الإسلام " فقد نقل عنهم أنهم كانوا يرون أن للشرع ظاهر و باطن، و أنه ليس يجب أن يُعلمَ بالباطن، من ليس من أهل العلم به و لايقدر على فهمه، مثل ماروي """البخاري" عن """علي"رضي الله عنه، أنه قال:"حدثوا الناس بما يعرفون. أتريدون أن يُكَذبَ الله و رسوله؟ "[3]

و يقول الإمام علي رضي الله عنه: " **فَلَسْنَا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ إِلاَّ أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ:(حَيٌّ قَيُّومٌ، لاَ تَأْخُذُكَ سِنَةٌوَلاَ نَوْمٌ، لَمْ يَنْتَهِ إِلَيْكَ نَظَرٌ، وَلَمْ يُدْرِكْكَ بَصَرٌ، أَدْرَكْتَ الاْبْصَارَ، وَأَحْصَيْتَ الاْعْمَالَ، وَأَخَذْتَ) بِالنَّوَاصِي وَالاْقْدَامِ، وَمَا الَّذِي نَرَى مِنْ خَلْقِكَ، وَنَعْجَبُ لَهُ مِنْ قُدْرَتِكَ، وَنَصِفُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ، وَمَا تَغَيَّبَ عَنَّا مِنْهُ، وَقَصُرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ، وَانْتَهَتْ عُقُولُنَا دُونَهُ، وَحَالَتْ سَوَاتِرُ الْغُيُوبِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ أَعْظَمُ.فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ، وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ، لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ، وَكَيْفَ ذَرَأْتَخَلْقَكَ، وَكَيْفَ عَلَّقْتَ فِي الْهَوَاءِ سمَــاوَاتِكَ، وَكَيْفَ مَدَدْتَ عَلَى مَوْرِالْمَاءِ أَرْضَكَ،رَجَعَ طَرْفُهُ حَسِيراً، وَعَقْلُهُ مَبْهُوراً، وَسَمْعُهُ وَالَهاًوَفِكْرُهُ حَائِراً."**[4] هو الاعتقاد بأن صفاته هي عين ذاته لا تزيد عليها ، و أنه منفرد في هذه الصفات لا يشبهه فيها أحد . ولله المثل الأعلى .

---

[1] ــ مختصرصحيح الإمام مسلم أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، ط1، دارالفكر بيروت لبنان:1422هــ2002م، ص:566

[2] ــ نهج البلاغة، الإمام علي، شرح محمد عبده، الخطبة49ص77ــ78

[3] ــ راجع: فصل المقال و تقرير ما بين الشريعة و الحكمة من الإتصال ، أبي الوليد محمد بن رشد ، اشراف و ضبط و تنقيح جمال الدين بوقلي حسن ،دط، منشورات مهدي ، مطبعة بريز مارين ، الجزائر،دت، ص69

[4] ــ نهج البلاغة، الإمام علي، شرح محمد عبده،الخطبة 160 ص213ــ214

فالعقل يؤمن بوجود الله الخالق سبحانه، وقوة التصور تعجز عن تصور ذات الله سبحانه لأنه **(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ)**[1].و قد وصف الله تعالى ذاته بأسماء و أمرنا بأن نعوه به، إذ يقول تعالى: **(وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)**[2]،وما يلاحظ في مواعظ الإمام علي و حكمه في مثل هذه المواضيع من الحكم النظريةالعقائدية، المتعلقة بالتوحيد و الإستدلال و المنطق الفلسفي وكأنه بذلك يرد على آراء الفلاسفة و المتكلمين ،تبقي الإنسان مندهشا أمام عظمة هذه المعاني وتوالد هذه الأفكار وسعة المعارف عند الإمام ، تستوجب علينا أن نتأملها كثيرا ،و من حق أيّ منّا أن يتساءل عن مصادرها ، وكيف تمكنت هذه العلوم من أي كان في ذلك العصر؟! لكن بالعودة إلى معرفة السبب غاب

العجب، حين نتأمل المخزون الثقافي للإمام علي رضي الله عنه،و بيئته التي تربى فيها و العقل الذي و هبه الله له ـ كما سبق في مبحثنا ـ حينها نتذكر قوله (ﷺ) **(أنا مدينة العلم و علي بابها)**[3] .

و نعرف أن" ثقافة الإمام هي ثقافة العلم المفرد و القمة العالية بين الجماهير في كل مقام..فهو فارس يتلاقى في الشجاعة دينه و دنياه و هو علم يتلاقى في الدين و الدنيا بحثه و نجواه.." [4] وما قاله ـ رضي الله عنه ـ أيضا دلالة على أن المجتمع الإسلامي أنذاك متفتح على بعض الحضارات و متأثر ببعض الثقافات المحيطة به كالفرس والروم و اليهود و حتى البلدان البعيدة عن طريق التجارة كالهند خاصة إذا علمنا أن عاصمة الإمام رضي الله عنه هي الكوفة وهي مركز ثقافي و تجاري و تلاقي للحضارات إذ يقول فيها عباس محمود العقاد:" كانت بمثابة الغادين و الرائحين من أبناء الحضارات المعروفة في العالم بأسره، ومن المسلمين الذين عاشوا بها أو بجوارها أناس كانوا ينظرون في كتب الفرس و يعجبون بحكمتها و منهم من كان ينظر في النجوم على طريقة الفرس و الروم .."[5]، كل ذلك و غيره من الذي سبق ذكره كان له الفضل في تواجد علم الكلام ومن ثمة توالد الأفكار ،و يظهر ذلك جليا فيما تطرق إليه الإمام في حكمه

---

1 ــ سورة الشورى: الآية: 11

2 ــ سورة الأعراف:الآية: 180.

*يرى الفلاسفة أن القياس العقلي هو استنباط المجهول من المعلوم، كاستخلاص الصانع من الصنعة، وبين أن هذا النحو من النظر الذي دعا إليه الشرع و حث عليه ، هو أتم أنواع النظر بأتم أنواع القياس، و هو المسمى "برهانا" راجع: فصل المقال و تقرير ما بين الشريعة و الحكمة من الإتصال ، أبي الوليد محمد بن رشد ، اشراف و ضبط و تنقيح جمال الدين بوقلي حسن ،دط، منشورات مهدي ، مطبعة بريز مارين ، الجزائر،دت، ص52

3 ـ تاريخ الخلفاء، الإمام السيوطي ، ص125

4 ــ عبقرية الإمام علي، عباس محمود العقاد ،ص135

5 ــ م ن ، ص131

النظرية بعض ما يتعلق بالطبائع و الحدود و الصفات و الموصوفات،و الصنع و المصنوع. و كما في قوله رضي الله عنه:" **يُخْبِرُ لاَ بِلِسَان وَلَهوَات**(اللحمة في سقف أقصى الفم)، **وَيَسْمَعُ لاَ بِخُرُوق وَأَدَوَات، يَقُولُ وَلاَ يَلْفِظُ، وَيَحْفَظُ وَلاَ يَتَحَفَّظُ، وَيُرِيدُ لاَيُضْمِرُ.يُحِبُّ وَيَرْضَى مِنْ غَيْرِ رِقَّة، وَيُبْغِضُ وَيَغْضَبُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّة.يَقُولُ لِمَا أَرَادَ كَوْنَهُ :(كُنْ فَيَكُونُ)، لاَ بِصَوْت يَقْرَعُ، وَلاَ بِنِدَاء يُسْمَعُ، وَإِنَّمَا كَلاَمُهُ سُبْحَانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ أَنْشَأَهُ وَمَثَّلَهُ، لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذلِكَ كَائِناً وَلَوْ كَانَ قَدِيماً لَكَانَ إلهاً ثَانِياً.لاَ يُقَالُ: كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، فَتَجْرِيَ عَلَيْهِ الصِّفَاتُ الْمُحْدَثَاتُ، وَلاَ يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ فَصْلٌ، وَلاَ لَهُ عَلَيْهَا فَضْلٌ، فَيَسْتَوِيَ الصَّانِعُ وَالْمَصْنُوعُ، وَيَتَكَافَأَ الْمُبْتَدَعُ وَالْبَدِيعُ.خَلَقَ الْخَلاَئِقَ عَلَى غَيْرِ مِثَال خَلاَ مِنْ غَيْرِهِ، وَلَمْ يَسْتَعِنْ عَلَى خَلْقِهَا بِأَحَد مِنْ خَلْقِهِ.وَأَنْشَأَ الأَرْضَ فَأَمْسَكَهَا مِنْ غَيْرِ اشْتِغَال، وَأَرْسَاهَا عَلَى غَيْرِ قَرَار، وَأَقَامَهَا بِغَيْرِ قَوَائِمَ، وَرَفَعَهَا بِغَيْرِ دَعَائِمَ وَحَصَّنَهَا مِنَ الأَوَدَ(الاعْوجاج) وَالاْعْوِجَاجِ**"[1] و هذا يدل على أن الإمام كان على دراية كبيرة بعلم الكلام ،بل بعض القائلين يذهب إلى سبق الإمام في مضمارعلم الكلام'(راجع مبحث روافد الإمام علي) و خاصية الإمام في علم الكلام أنه يستمد أحكامه من معاني القرآن الكريم

و الحديث الشريف،إذا علمنا كما يقول العقاد: "و قد لبث علي بن أبي طالب زهاء ثلاثين سنة منقطعا أو يكاد، قطع جهاد الحكم و السياسة، متفرغا أو يكاد يتفرغ لفنون البحث و الدراسة ..يتأمل كل ماسمع ، ويراجع كل ما قرأ، و يعرف كل ما يعرف، ممن يلقاه، ويستطلع أنباءه و آراءه و قضاياه.."[2] فإن كان قسط الثقافة و الفكر العالمي قليلا في تلك الفترة بالمقارنة بما هو موجود في العصرالعباسي من ترجمة و احتكاك بالأجناس الأخرى و توسع عظيم لبلاد الإسلام، ففيه ولا ريب الكفاية للعقل اليقظان و البصيرة الواعية أن تفهم ما قد فهمه الإمام وأن يثبت ما أثبته نهج البلاغة من الخواطر و الأحكام " إن قضية التأثر و التأثير بين الآداب لا يمكن أن تعد ظاهرة سلبية تشبه إفراغ مادة ما من إناء ملئ بها، في إناء فارغ. فقد وضع الأدب العربي في اتصاله بالآداب القديمة يده على مادة غزيرة شديدة التنوع، قبل منها ما قبل و رفض منها ما رفض.."[3] و لا ننسى في ذلك دور اللغة و مهامها التنويرية ، فهي تساهم في توسيع ناصيتها و يعرف من بينهم النحاة و المتضلعون في اللغة فتنصاع لهم ألفاظها

و للإمام في كل ذلك قد أخذ بناصيتها. إذ جعلت من لغة الإمام السلاسة و المرونة و الحيوية أساسها المنطق و الحجة المقنعة، وكان فوق كل ذلك لغة القرآن الكريم و الحديث الشريف

[1] ـــ نهج البلاغة،الإمام علي ، شرح: محمد عبده ، الخطبة186ص:260

[2] ـــ عبقرية الإمام علي،عباس محمود العقاد، ص131

[3] ـــ الأدب المقارن و التراث الإسلامي ،عبد الحكيم حسّان ، ص36

و تأثيرهما الكبيرفي فكر و لغة الإمام ،إضافة إلى هذه المقومات هناك عامل المقوّم الرياضي الذي يُستدلُّ عليه استدلالا ًقويا، لأنه لا يعبّر على نحو مباشر، إلاّ بالنسبةإلى المتلقي النابه. إنّ الذهنية الرياضيةالنشطةلعليّ رضي الله عنه، تنعكس تأثيراتها على تعبيراته الأدبية، بصورة الإتقان لعرض الأفكار ، وكذلك في تقديمه المتقن للبناء اللغوي والبلاغي للخطاب فعبقرية اللغة العربية و عبقرية الإمام تلاقيهم، يولد الإبداع ،و الإستدلال الذي لا يمكن أن يكون بعده إلا أن يقتنع المتلقي و يرضى بالحجة الدامغة، قال له (رضي الله عنه) بعض اليهود :" **ما دفنتم نبيّكم حتى اختلفتم فيه** ؟ فقال عليه السلام له : "**إنّما اختلفنا عنه لا فيه . و لكنّكم ما جفّت أرجلكم من البحر حتّى قلتم لنبيّكم اجْعَلْ لَنَا إلهاً كَما لَهُمْ آلِهَةٌ . فقَال إنَّكُمْ قوْمٌ تَجْهَلُونَ** "[1] فالاتّساق الرياضي وارد في صلابة أفكاره، وفي عظمة منطقه، وبلاغته. ومردُّ ذلك ثابت في معرفته العلمية بالحساب و معرفته الفقهية بالمواريث، تلك المعرفة التي كانت تكشف عنها سرعة البديهة في الجواب عن معضلات معقدة في المواريث والأقضية.خاصة إذاعلمنا أنه ــ رضي الله عنه ــ عالم بعلم المواريث ــ سبق الإشارة إليه في مبحث روافد الإمام علي ــ "وأنه كان يستشار في عهد الخلفاء السابقين له و لأنه كما قال فيه عباس محمود العقاد :"سريع الفطنة في حل معضلات المواريث التي كانت في ذلك الوقت ألغازا تكد في حلها العقول"[2] ومن أمثلة ذلك ما عرف عن الفريضة المنبرية التي أفتى بها وهو على منبر الكوفة حينما سُئل عن ميت ترك زوجة وأبوين ابنتين،فأجاب من فَوره: "**صار ثُمنها تُسعاً" وشكت ــ مرّةً ــ امرأة أنّ أخاها مات عن ستمائة دينار ولم يُقسم لها من ميراثه غير دينار واحد، فقال لها بسرعة: لعله ترك زوجة وابنتين وأمّاً واثني عشر أخاً وأنتِ ؟ وكان الأمر كذلك**."[3] فمعرفته رضي الله عنه بعلم الحساب كانت أكثر من معرفة فقيه يتصرف في معضلات المواريث ، فقد كان الإمام موسوعة في مختلف العلوم الدينية التي استمدها كلها من المدرسة المحمدية .ففي النماذج السالفة في تناص الحكم النظرية مع مواضيع القرآن الكريم و الحديث الشريف وغيرها في نهج البلاغة كثير ، تعكس هذه الخصائص. كان للإمام عليّ في معرفته بالعلوم اللغوية والفقهية والشرعية، تشع بالفنون الأسلوبية المميِّزة لقدرته البلاغية، والمجسِّدة لفكره الثاقب تجعله مبدعاً في ميادين الأساليب المتعددة. فهو يقدم النص الوصفي بالقدرة الرائعة

[1] ــ نهج البلاغة ، الإمام علي،شرح محمد عبده، ح336، ص:481
[2] ــ عبقرية الإمام علي،عباس محمود العقاد، ص: 128
[3] ــ م ن، ص128

التي يقدم بها النص السياسي، أو الفقهي أو الأخلاقي ،لقد تميّز،يقول العقاد في ذلك:"فكل نمط من أنماط كلامه شاهد له بالملكة الموهوبة في قدرة الوعي ،و قدرة التعبير.."[1] وبقوة ملاحظة نادرة ثمّ بذاكرة واعية تخزن وتتّسع، فتيسرت له من ذلك جميعاً عناصر قوية تغذّي فكره، وتقوّي خياله فتسهل عليه محاكمة الأشياء والمقارنة بين عناصرها ؛لإثبات أرجحها وأفضلها للبقاء والتعميم.حتى وإن تعلق بوصف قدرات خالق الخلق ، فقد استدعى مضمون صفات الله تعالى من القرآن الكريم ، مستلهما و مقلدا ومقتبسا وحاذ لمناويله، فغذت نصوصه تستفيض بنصوص القرآن الكريم،بالإقتباس والتضمين فيمنح كل ذلك الشرعية و الحجة و البرهان الدامغ ،على كل من توسوس له نفسه المريضة بالمغالطات،والأكاذيب.أو لجهله و عدم تفقه في الدين قال الإمام:" **فَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ سَاوَاكَ بِشَيْء مِنْ خَلْقِكِ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ، وَالْعَادِلُ كَافِرٌ بِمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ مُحْكَمَاتُ آياتِكَ، وَنَطَقَتْ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجَجِ بَيِّنَاتِكَ، وَإِنَّكَ أَنْتَ اللهُ الَّذِي لَمْ تَتَنَاهَ فِي الْعُقُولِ، فَتَكُونَ في مَهَبِّ فِكْرِهَا مُكَيَّفا "**[2] .

4 ـ التناص في حكم معرفة كنه الله و إدراك حقيقة ذاته:

رغم أننا لا نعرف حقيقة كنه اللّه ، إلا أننا نعلم أنه سبحانه وجود مطلق غير محدود ، و أنه لا يتطرق اليه أي حدّ أو قيد ، و أنه لا يخلو عنه مكان و لا زمان و لا أي شيء ، و أنه مع كلّ شيء و ليس معه شيء . و كلّ شيء منه ، و إليه مرجع كلّ شيء ، و هو أول الأولين و آخر الآخرين قال الإمام علي: (ع): **" حَدَّ الأشْيَاءَ عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا إبَانَةً لهُ مِنْ شَبَهِهَا، لاَ تُقَدِّرُهُ الأَوْهامُ بِالْحُدُودِ وَالحَرَكَاتِ وَلاَ بِالْجَوَارِحِ وَالأدَوَاتِ، لاَ يُقَالُ لَهُ:«مَتَى»؟ وَلاَ يُضْرَبُ لَهُ أَمَدٌ «بِحَتَّى»، الظَّاهِرُ لاَ يُقَالُ: «مِمَّ»؟ وَالْبَاطِنُ لاَ يُقَالُ: «فِيمَ»؟، لاَ شَبَحٌ فَيُتَقَصَّى، وَلاَ مَحْجُوبٌ فَيُحْوَى، لَمْ يَقْرُبْ مِنَ الأشْيَاءِ بِالْتِصَاق، وَلَمْ يَبْعُدْ عَنْهَا بِافْتِرَاق وَلاَ يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ شُخُوصُ لَحْظَة،وَلاَ كُرُورُلَفْظَة، وَلاَ ازْدِلاَفُ رَبْوَة."** [3]. و حيث أنه مطلق بلا حدّ فهو متقدم على كلّ شيء ، حتى على الزمان و المكان و العدد و الحد و المقدار و الماهية ، فان هذه الاشياء منتزعة من أفعاله سبحانه و صنعه ،ولا شك في أن تكامل الأساس النحوي والبناء البلاغي قائم ـ أصلاً ـ على المحور الفكري للنص، وهو محور المعاني والدلالات.خاصة إذا علمنا أن الإمام علي واضع علم النحو وعلم الفقه و التفسير كما سبق الإشارة إليه في مبحثه.

[1] ـــ م ن، ص: 133

[2] ـــ نهج البلاغة ،الإمام علي،شرح محمد عبده،خ91 ،ص:122

[3] ـــ نهج البلاغة، الإمام علي، شرح محمد عبده،الخطبة163 ، ص:220

وإذ يستكمل الخطاب شروطه المادية ـ اللغوية، وجماع علاقاته الداخلية، فإنه يستكمل الوحدة القائمة بين نصّية النص ـ بمعناها الأدبي ـ والفضاء الروحي للنص؛ أي أنّ النص يتوفر له البعدان الرمزيان للأرض والسماء في وحدتهما التامة.يقول تعالى في استظهار علامات عظمته، و الحث على التبصر و التفكر في مخلوقات الله و معجزاته التي لا تعد و لا تحصى،إذ يقول تعالى:في سورة الجاثية: ﴿**إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ، وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ، تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ**﴾[1] فالإنسان يشعر بهذه الحقيقة وهي وجود الله ويؤمن بها إيماناً داخلياً عميقاً، سواء استطاع أن يقيم دليلاً عقلياً برهانياً على صدق هذا الشعور أو لم يستطع.ولكن دليل الفطرة شاهد حق قد يسبق الأدلة النظرية وقد يكون أعمق منها في الشعور والصدق.قال الله تعالى: ﴿**فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فطرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْق اللَّهِ**﴾[2] و قال أيضا: ﴿ **لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا**﴾[3] فالله سبحانه وتعالى عليم بكل شيء، لم يسبق علمه جهل ،ولا يجري عليه نسيان ،ولا يخالف علمه الواقع، وعلمه محيط بما كان ،و ما يكون ،وما سيكون و ماسيكون لوكان لم يكن، فيستوي الماضي والحاضر والمستقبل، إن اهتمام الإمام (رضي الله عنه) بهذه الحكم النظرية العقائدية، في ما تضمنته من نشاطات فكرية تجلت في الحديث عن الله والعالم العلوي، والكون بما فيه من مخلوقات يغلب عليها التعقيد والغموض، إنما يدعو إلى ضرورة أن يتمتع الإنسان بعمق في التفكير وسعة في الاطلاع ،حتى تكون النتائج يقينية فلا يقع الإنسان في الخطأ أو الزلل. كما أنها تكشف عن طبيعته الفكرية وما للعقل من أهمية كبرى في صياغة تفكيره وإبداء وجهات نظره في الكون والحياة، وفي نفسه وكيفية إسعادها ،من خلال استناد الفكر إلى الخبرة الواسعة، والربط بينه وبين العمل.كما سنتطرق إليه في الحكم العملية. هذه السمات الفكرية التي أبرزها الإمام ــرضي الله عنه ــ إنما ترتكز في أساسها على الإسلام، الأمر الذي يجعل من هذا الكتاب، إحدى الذخائر الإسلامية الهامة التي لا يمكن الاستغناء عنها في البحث عن الوسائل والطرق المؤدية إلى حسن إعداد الإنسان للحياة

[1] ــ سورة الجاثية: الآية 3إلى6

[2] ــ سورة الروم: 30.

[3] ــ سورة الإسراء: 42–43

ومعرفة حقيقة نفسه كل هذه الخصائص تنم عن عمق في التفكير، وسعة في الاطلاع ودقة في الملاحظة، بها امتاز وتفوّق على سائر معاصريه، ومن أبرز مظاهر تفكيره ذاك التسلسل المنطقي والتماسك الفكري الذي نراه بادياً في (النهج) حيث أن كل فكرة هي نتيجة طبيعيةلماقبلهاوعلّةلمابعدها. خاصة" و أن الإمام علي له سبق في مضمار في مضمار علم الكلام واعتراف المعترفين له بالأستاذية الرشيدة لكل من لحق به من أصحاب الأراء و المقولات ".[1] ولقد كانت غايته من وراء ذلك ليس إبراز مقدرته الفكرية واللغوية والعلمية وإنما تشجيعاً لقومه على التفكير، وتحريرهم من رقدة الجهالة، وتنويرهم بالعبر والأحداث حتى يثوبوا إلى رشدهم ويعيشوا في رحاب العلم والمعرفة.

ب ـ تناص الحكم العملية مع موضوعات القرآن الكريم و الحديث الشريف:

و قد بيّن فيها الإمام علي علاقة الإنسان بربّه، و علاقة الإنسان بنفسه،و علاقة الإنسان بغيرهإذ يقول الإمام علي:عليه السلام:"العمل العمل، ثم النهاية النهاية، و الإستقامة الإستقامة،ثم الصبر الصبر، و الورع الورع،إن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم، و إن لكم علما فاهتدوا بعلمكم،و أن للإسلام غايته، فانتهوا إلى غايته،و اخرجوا إلى الله بما افترض عليكم من حقه،و بيّن لكم من وظائفه،أنا شاهد لكم ، و حجيج يوم القيامة عنكم."[2]و لكون الإنسان مجمع الأضداد، تصارعه العواطف والأهواء والغرائز، نتيجة للصراع بين قواه العقلية والعاطفية، فنرى أن هذا الإنسان يرتفع أحيانا إلى المستوى اللائق به بعقله فيكرم بما كرمه الله به وينحدر أحيانا إلى مستوى الحيوانية بغرائزه، فيشقى بما شقى نفسه بها، و العقل المتزن هو الذي يحفظ بين هاتين القوتين شخصية الإنسان ويصون كرامته وإنسانيته إذ يقول الإمام (عليه السلام): **"لقد علق بنياط هذا الإنسان بضعة هي أعجب ما فيه، وهو القلب، وذلك أن له مواد من الحكمة وأضداد من خلافها، فإن سنح له الرجاء أذله الطمع، وإن هاج به الطمع أهلكه الحرص، وإن ملكه اليأس قتله الأسف، وإن عرض له الغضب اشتد به الغيظ وإن أسعده الرضا نسي التحفظ وإن غاله الخوف شغله الحذر، وإن اتسع له الأمر استلبته الغرّة، وإن أصابته مصيبة فضحة الجزع، وإن أفاد مالاً أطغاه الغنى، وإن عضته الفاقة شغله البلاء، وإن**

[1] ـــ عبقرية الإمام علي،عباس محمود العقاد ،ص:127

[2] ـنهج البلاغة،الإمام علي، شرح محمد عبده،خ:176،ص:239-240

جهده الجوع قعدت به الضعة، وإن أفرط به الشبع كظته البطنة، فكل تقصير به مضر، وكل إفراط له مفسد" [1]- . و حتى يتمكن الإمام علي من تصحيح الإعوجاج و تقويم الأنفس ، فقد إستعان بما وهبه الله من علوم فصاحة و بيان و استدلال ومنهج وحكم؛ وظفها خدمة لتربية الناس الذين انحرفوا عن المنهج القويم .

1- مفهوم التربية في حكم الإمام علي:

ولعل أحسن تعريف للتربية و أقربه لما طرحه الإمام ، ما قاله الإمام الغزالي (450هـ-505هـ):"

ومعنى التربية، يشبه فعل الفلاح الذي يقلع الشوك، ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع ليحسن نباته ويكمل ريعه" [2]-.وهي قريبة من طريقة الإمام (رضي الله عنه)،إذ يراهاو كما تعلمها من المدرسة المحمدية ، أن يبتعد الإنسان عن كل ما من شأنه أن يلطخ كرامته و يضعف من إنسانيته و لا يتسنى له ذلك إلا بالتقوى.هذا المعنى الذي كان بثابة الدوحة التي القت بظلالها على نهج البلاغة. و ما يلاحظ في منهج الإمام علي في التربية و التعليم و الوعظ ، أنه كان يؤيد قوله بالحجة و الدليل و التعليل، كما كان يفعل الرسول (ﷺ)إذ كان منهجه (ﷺ)في التربية و التعليم أنه يؤيد قوله في التعليم بالدليل و التعليل على صورة القياس و التنظير، فيزداد قوله وضوحاو يصير حجة بعد حجة؛ ليقف السائل على حقيقة واضحة يطمئن لها قلبه و تنشرح به نفسه، و تقر بها عينه و يعظم بها تمسكه بالحق، و يرسخ الدليل في نفسه " [3] كما أثار الإمام قضية الشهوات و ما يترتب عليها من مآسي تضر بالمجتمع ،بل تهلكه في الدارين،يقول في ذلك الإمام،قال عليه السلام:**"انْتَفِعُوا بِبَيَانِ اللهِ، وَاتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ اللهِ، وَاقْبَلُوا نَصِيحَةَ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ أَعْذَرَ إِلَيْكُمْ بِالْجَلِيَّةِ، وَاتَّخَذَ عَلَيْكُمُ الْحُجَّةَ، وَبَيَّنَ لَكُمْ مَحَابَّهُ مِنَ الأَعْمَالِ، وَمَكَارِهَهُ مِنْهَا، لِتَتَّبِعُوا هذِهِ، وَتَجْتَنِبُوا هذِهِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ(ﷺ)كَانَ يَقُولُ: "إِنَّ الْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْمَكَارِمِ، وَإِنَّ النَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ.«وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةِ اللهِ شَيْءٌ إِلاَّ يَأْتي فِي كُرْه وَمَا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ شَيءٌ إِلاَّ يَأْتِي فِي شَهْوَة.فَرَحِمَ اللهُ رَجُلاً نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ، وَقَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ، فَإِنَّ هذِهِ النَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْء مَنْزِعاًوَإِنَّهَا لاَ تَزَالُ تَنْزِعُ إِلَى مَعْصِيَة فِي هَوىً..."**[4] أن الإنسان هو غاية الوجود، ومن أجله خلق الله ما خلق إذ بعد أن خلق تعالى الكون ورتبه أحسن ترتيب،

[1] ــ شرح نهج البلاغة، ابن حديد ، ج18، ص:271

[2] ــ رسالة أيها الولد،أبو حامد الغزالي(ت:555هــ) ،توفيق الصباغ، دط ، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، دت ، ص:37

[3] ــ محمد صلى الله عليه و سلم الإنسان الكامل، محمد علوي المالكي الحسيني، ط4، دار الشروق للنشر و التوزيع، جده 1408هــ1987م ، ص:279

[4] ــ نهج البلاغة، الإمام علي، شرح محمد عبده ، الخطبة176 ص:238

ونظمه أجمل تنظيم، وأتم مرافقه، على أكمل وجه، أخرج إليه الإنسان، وأسكنه فيه على أن يكون خليفته في أرضه، إذ قال تعالى:﴿**إذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة** ﴾[1] فقد خلق الله الإنسان ليحيا في كنفها ويعيش من خيراتها ويمضي في أقواله وأفعاله ونواياه، ومقاصده، وفق أحكام الله وإرادته مطيعاً مذعناًشاكراً، إلا أنه خالف أمر الله، وسلك بوحي من نفسه الأمارة بالسوء، فجذبته الدنيا إليها وحجبت عنه الرؤية السليمة ، فبات أسير أوهامه وشهواته. إن ضعف الإنسان أمام إغراء المادة والإيمان بأن الشيطان الذي أغواه في الجنة لن يتوانى عن إغوائه مرة أخرى وهو على الأرض، وبالتالي سوف لن يتمكن من ممارسة الخلافة كما أوجبها الله ما دام ضعيف الحجة، قليل الإيمان. هذه الأمور أوجبت أخذه بالتربية والتعليم حتى تستقيم نفسه ويقوى على مقاومة الضلالة والفساد. إلا أن هذه التربية، لا تستند فقط إلى مبادئ نظرية لا صلة بها بالواقع، بل تتخذ منها طريقاً ومنهجاً يعضده العلم والعمل والإيمان بهدف منفعة العباد.و إذا كان الله قد بيّن النفس البشرية التي خلقها و هو أعلم بها بثلاثة صفات بينها في القرآن ،فالنفس الأمارة بالسوء و النفس اللوامة ، و كلها تتمحور حول العقل الذي يسيطر عليها و يوجها إلى طريق الاعتدال و الإستقامة ولولا ذلك لبلغت حد الإفراط والتفريط وكلاهما رذيلة. و قد أشار الإمام إلى ذلك في قوله:"**العقل ملك والخصال رعيته فإذا ضعف عن القيام عليها وصل الخلل إليها**"[2] لهذا جاء التأكيد على ضرورة معرفة النفس لأنها تؤدي إلى معرفة الله، لأن (**من عرف نفسه فقد عرف ربه** ومن **عجز عن معرفة نفسه، فهو عن معرفة خالقه أعجز**"[3] .أما غرائزه فهي متعددة،* ومتلونة تختلف من شخص لآخر بحسب الفطرة التي أرادها الله سبحانه له، كما يذكر (رضي الله عنه) هذه الغرائزبأنها تتغيّر بتغير بيئة الإنسان وثقافته،فالإنسان إبن بيئته كما يقول علماء الإجتماع،لهذا لا يخفى أثر البيئة القوي في التنشئة والإعداد. فالإنسان يتأثر بالأحوال والظروف المحيطة به وعوائده ، فيكون لذلك شأنه في صياغة أفكاره وأخلاقه وعاداته سلباً أو إيجاباً بحسب ما يكتنفه من أمور تؤثر في مجرى حياته. ونظراً لتعدد البيئات واختلاف مقوماتهاوعناصرها الثقافية والاجتماعية والطبيعية ؛فإن لذلك أثره القوي في اختلاف أفراد النوع الإنساني، وتباين سماتهم العقلية والبدنية. يقول الإمام (عليه السلام): "**إنما فرق بينهم مبادئ**

[1] ــ سورةالبقرة : الأية 30

[2] ــ شرح نهج البلاغة،إبن أبي الحديد، ج20، ص:194

[3] ــ م ن ، ج20، ص292.

طينهم وذلك أنهم كانوا فلقة من سبخ الأرض وعذبها وحزن تربتها وسهلها فهم على حسب قرب أرضهم يتقاربونوعلى قدر اختلافهم يتفاوتون"[1] واستشهد في ذلك الإمام بقول الرسول الكريمﷺ: "**(كل مولود يولد على الفطرة، وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)**".[2] ولن يؤتي الفكر ثماره إلا إذا استند إلى التجربة والعمل. فالتجربة هي التي تصقله وتهذبه ، والعمل هو الذي يخرجه إلى حيز الواقع. ولقد أقام (رضي الله عنه) نظامه التربوي و الفكري على هذا الأساس. فربط بين العلم والعمل ودعى إلى استفادة الخبرة من رسالة الإسلام، ومن تدبر أحوال الماضين، واتباع آثارهم واختيار الصالح منها وترك ما لا فائدة منه. وهذا ما عبر عنه الإمام علي (عليه السلام) في وصيته لولده الحسين (رضي الله عنه): "**(أي بني! إني وإن لم أكن عمرت عمر من كان قبلي، فقد نظرت في أعمالهم وفكرت في أخبارهم وسرت في آثارهم حتى عدت كأحدهم، بل كأني بما انتهى إليّ من أمورهم، قد عمرت مع أولهم إلى آخرهم، فعرفت صفو ذلك من كدره ونفعه من ضرره، فاستخلصت لك من كل أمر تخيله ، و توخيت لك جميله و صرفت عتك مجهوله.**"[3]

2 - التناص الديني في حكم التقوى: و نجد هذا الباب ،هو أكثر الأبواب التي انشغل بها الإمام من سائر المواضيع الأخرى **(وتوخيت لك جميله وصرفت عنك مجهوله)**.[4] و ذلك لاعتبار أن التقوى وقاية و حماية للإنسان ، إن التقوى ليست قيوداً تمنع عن التحرر بل هي منبع الحريات الواقعية. يقول الإمام (عليه السلام): **(.. فإن تقوى الله مفتاح سداد، وذخيرة معاد، وعتق من كل ملكة، ونجاة من كل هلكة..)**[5]

إن نصوص الأمام - رضي الله عنه - لا تكاد تخلو من هذه العبارة،و هي كثيرة أيضا في القرآن و الحديث لما لها من أهمية عظيمة في سلوك الإنسان و تقربه إلى الله.

3- في الزهد:يقول ابن ابي الحديد المعتزلي في شرحه للنهج عن زهد الامام (ض) : "و أما الزهد في الدنيا فهو سيد الزهاد ، و بدل الابدال ، و إليه تشد الرّحال . ما شبع من طعام قط . و كان أخشن الناس مأكلا و لباسا ، و كان لا يأكل من اللحم الا قليلا ، و يقول : لا تجعلوا بطونكم مقابر

---

1 ــ م ن، ج13، ص18

2 ــ شرح نهج البلاغة ،ابن أبي الحديد ، ج11، ص38

* في الأسس الفرويديةيرتبون التوترات التي تتعرض لها النفس بشكل منظم :الهو،الأنا،الأنا الأعلى و صراعتها مع بعضها و يطلقون على الحاجات الغرائز و يعتبرون الكائن البشري مسيرا في معظم افعاله بهذه القوى المرتبطة بجوهر وجوده.."
مراجعة:مقدمة لعلم النفس الأدبي،خير الله عصار ،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر1982، ص:62

3 - شرح نهج البلاغة ،ابن أبي الحديد ، ج16،ص67

4 ــ م ن ، ج16، ص67.

5 ــ م ن ، ج19، ص284.

الحيوان . و كان مع ذلك أشد الناس قوة و أعظمهم أيدا . و هو الذي طلق الدنيا ثلاثا قال عمر بن عبد العزيز :" ما علمنا أن أحدا كان في هذه الامة بعد النبي (ص) أزهد من علي بن أبي طالب (ع)"[1] . و يستشهد الإمام علي بقصص الأنبياء ليلقي بظلالها على الموضوع فيسمو النص ليتلقاه القارئ بشيئ من القدسية ،إضافة إلى الحجة الدامغة لكل الناس و على مختلف أديانهم ومذاهبهم،حيث استحضر الإمام معظم الأنبياء و الرسل،فكانوا كلهم على سلوك واحد إذ يقول الإمام **في موسى(عليه السلام)** في أول خطبه في النهج:وَإِنْ شِئْتَ ثَنَّيْتُ بِمُوسى كَلِيمِ اللهِ((ﷺ) (إذْ يَقُولُ) :رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْر فَقِيرٌ، وَاللهِ، مَا سَأَلَهُ إلاَّ خُبْزاً يَأْكُلُهُ، لاِنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الاْرْضِ، وَلَقَدْكَانَتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِهِ، لِهُزَالِهِ وَتَشَذُّبِ لَحْمِه وفي **داوود(عليه السلام)**وَإِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتُ بِدَاوودَ صَاحِبِ الْمَزَامِيرِ، وقَارِىءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْخُوصِ بِيَدِهِ، وَيَقُولُ لِجُلَسَائِهِ: أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا !وَيَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا . **]عيسى(عليه السلام[**(وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ(عليه السلام)، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَوَيَلْبَسُ الْخَشِنَ، وَكَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ، وَسِرَاجُهُ بَاللَّيْلِ الْقَمَرَ، وَظِلاَلُهُ في الشِّتَاءِ مَشَارِقَ الاْرْضِ وَمَغَارِبَهَا"[2]

في الرسول ((ﷺ)):".ولَقَدْ كَانَ(ﷺ) يَأْكُلُ عَلَى الاْرْضِ، وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ، وَيَخْصِفُ بَيَدِهِ نَعْلَهُ، وَيَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ، وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَ، وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ، وَيَكُونُ السِّتْرُ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ التَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ: «يَا فُلاَنَةُ ـ لاِحْدَى أَزْوَاجِهِ ـ غَيِّبِيهِ عَنِّي، فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وَزَخَارِفَهَا" [3] نعم ، كانوا الأنبياء على هذه الأخلاق و على هذا الزهد وقد أخذ منهم الإمام و سار على خطاهم ، ولكنه كان إذا سمع برجل يضيق على نفسه كان ينكر عليه ذلك ،فقد شكا إليه العلاء بن زياد الحارثي الهمداني أخاه عاصم بن زياد فقال له وماله؟ قال**:** لبس العباءة، وتخلى عن الدنيا! قال: عليّ به. فلما جاء قال له:**(يا عُديّ نفسه! لقد استهام بك الخبيث! أما رحمت أهلك وولدك؟ أترى أحل الله لك الطيبات وهو يكره أن تأخذها؟ أنت أهون على الله من ذلك!فقال: يا أمير المؤمنين، هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك؟!فقال (عليه السلام): (ويحك! إني لست كأنت، إن الله فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم ضعفةالناس"**[4] ويصف القرآن الكريم أنصار رسول الله (ﷺ) في مدينته الطيبة فيقول: **﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ**

[1] ـــ مقدمة نهج البلاغة، ج1 ، شرح ابن أبي الحديد ، ص6
[2] ـــ نهج البلاغة،الإمام علي، شرح محمد عبده،خ160 ص.213 ـــ214
[3] ـــ م ن ،خ،160، ص.216
[4] ـــ م ن ، الخطبة 209، ص: 302

كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1] وبما أن فلسفة الزهد مبنية على أساس الإيثار

و كذلك كان الرسول (ﷺ)الذي اقتدى منه الإمام علي رضي الله عنه و سار على منهجه . يقول عباس محمود العقاد في ذلك:" عيشته في بيته بين زوجاته و أبنائه فمعيشة الزهد و الكفاف..إنه كان ينفق له أن يطحن لنفسه، و أن يأكل الخبز اليابس الذي يكسره على ركبته،و أن يلبس الرداء الذي يرعد فيه، و أن أحدا من رعاياه لم يمت عن نصيب أقل من النصيب الذي مات عنه، و هو خليفة المسلمين..و كان الخليفة يوم كانت الخلافة تناقض ملك الدنيا..فكان بيته نقيض القصر الذي تعرض الدنيا المملوكة بين أركانه و زواياه.."[2] فديننا دين وسطية وهو المبدأ التربوي الهام الذي قرره الإمام (رضي الله عنه) منذ أمد بعيد ، و استمده من الشريعة الإسلامية، إنما يقضي باستغلال نقاوة الفكر الإنساني لزرعه بالمعلومات الصحيحة النيرة. قبل أن تهجم عليه الأخلاق الذميمة والآراء الفاسدة الأمر الذي يجعل من الصعب على التربية أن تعيد تشكيله من جديد، وهذا يتوافق مع أحدث المناهج التربوية .

4 - التناص في حكم العلم و التعلم:

الإسلام يؤمن بالعلم وبقدرته الفائقة على الخلق والإبداع. ولقد رفع إلله في كتابه العزيز، من شأن العلماء، فقال عزّ من قال في سورة المجادلة: **﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُواالْعِلْمَ دَرَجاتٍ﴾**[3]وميز بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون فقال سبحانه: **﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾**[4].و قد عمل الإمام جاهدا في توصيل العلم و الحكم و توعية الناس ، و التمسك بما أمر الله و رسوله و تجنب ما نهى عنهما،مستخلصا ذلك من القرآن، فهو كلام الله، وموضع علمه ومحط رسالته، فيه علم الأولين والآخرين، فهو الدواء الشافي من الأمراض والعلل، والمرشد الأمين إلى الهداية والاستقامة.فقد قالﷺ:عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال(**مثل ما بعثني الله به من الهدى و العلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ و العشب الكثير، و كانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الل بها الناس فشربوا و سقوا و زرعوا، و أصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان تمسك ماء و لا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله و نفعه ما بعثني الله تعالى**

[1] ـــ سورة الحشر: الأية:9
[2] ـــ عبقرية الإمام علي،عباس محمود العقاد، ص140
[3] ـــ سورة المجادلة : الأية: 11
[4] ـــ سورةالزمر: الأية 9

به، فعلم و علّم ،و مثل من لم يرفع بذلك رأسا و لم يقبل هدى الله الذي أرسلت به.)[1] لذلك فقد دعا الإمام علي (عليه السلام) إلى تعلمه والتفقه فيه والعمل به ، و هي مذكورة في كثير من حكمه، والعلم هو الملكة التي يفتخر بها العالم على أهل الجهل. كما يقول الإمام علي:[2]

ما الفخر إلا لأهل العلم إنّهم ××× على الهدى لمن استهدى أدلّاء

وقدر كلّ امرئ ما كـان يحسنه ××× والجاهلـون لأهـل العلم أعداء

فـــفز بعلم تعش حيّاً بـه أبـــداً ××× الناس مـوتى وأهل العلم أحياء

من أجل ذلك كانت دعوته إلى ضرورة الاهتمام بالعلم، والعمل على أخذه من أي مصدر كان، لأن العلم لا حدود له ولا يعترف بالتعصب والقبلية لذا وجب على الإنسان أن ينشده من الأعداء والأصدقاء على السواء .

5- التناص في القضاء على الخرافات البالية:

اتبع كثير من الناس في الجاهلية العربية،أو عند الأمم الأخرى خرافات التنجيم،و عملوا بها في توجيه أو التأثيرفي المجتمعات أوفي التعامل مع الأحداث،ومازالت هذه الأثار تسري حتى بعد أن اهتدوا بالإسلام ،لازال آثاره باديا في ضعاف النفوس، وقد عمل الإمام على محاربته بالدليل القرآني و بالتجارب لواقعية.إذيقول الإمام في **في اتباع علم النجوم:**

"ومن كلام له (عليه السلام)بعض أصحابه لمّا عزم على المسير إلى الخوارج، فقال له: يا أميرالمؤمنين إن سرت في هذا الوقت، خشيتُ ألاَّ تظفر بمرادك، من طريق علم النجوم، **فقال(عليه السلام أَتَزْعَمُ أَنَّكَ تَهْدِي إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا صُرِفَ عَنْهُ السُّوءُ؟ وَتُخَوِّفُ مِنَ السَّاعَةِ الَّتي مَنْ سَارَ فِيهَا حَاقَ بِهِ الضُّرُّ؟فَمَنْ صَدَّقَكَ بِهذَا فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْآنَ، وَاسْتَغْنَى عَنِ الاِسْتِعَانَةِ بِاللهِ عزّوجلّ فِي نَيْلِ الْمَحْبُوبِ وَدَفْعِ الْمَكْرُوهِ وَتَبْتَغِي في قَوْلِكَ لِلْعَامِلِ بِأَمْرِكَ أَنْ يُولِيَكَ الْحَمْدَ دُونَ رَبِّهِ، لاِنَّكَ ـ بِزَعْمِكَ ـ أَنْتَ هَدَيْتَهُ إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي نَالَ فِيهَا النَّفْعَ، وَأَمِنَ الضُّرَّ!ثم أقبل(عليه السلام) على الناس فقال:أَيُّهَا النَّاسُ، إِيَّاكُمْ وَتَعَلُّمَ النُّجُومِ، إلاَّ مَا يُهْتَدَى بِهِ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْر، فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَى الْكَهَانَةِ، [و]المُنَجِّمُ كَالْكَاهِنِ، وَالْكَاهِنُ كَالسَّاحِرِ وَالسَّاحِرُ كَالْكَافِرِ! وَالْكَافِرُ فِي النَّارِ! سِيرُوا عَلَى اسْمِ اللهِ"!**[3].

6ـ التناص في حكم المعاملة:

[1] ـــ مختصر صحيح البخاري، التجرد الصحيح لأحاديث الجامع الصحيح ،الحسين بن المبارك الزبيدي ،ص28

[2] ـــ ديوان الإمام علي بن أبي طالب ، ص35

[3] ـــ نهج البلاغة،الإمام علي ، شرح محمد عبده، الخطبة:79ص99

إن الإمام علي لم يغفل صغيرة ولا كبيرة ، فالتربية عنده تشمل جميع الجوانب وخاصة ما يتعلق بالمعاملة ،فقد قال الرسول صلى الله عليه و سلم عن أبي شريح رضي الله عنه قال:"قال رسول الله (ﷺ) **(ترى المؤمنين في تراحمهم و توادهم و تعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر و الحمّى)** "[1] و يقول الإمام علي رضي الله عنه**(فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت**(الذل و الهوان) **وأنزل علينا النصر)"**[2] و الإمام وعظ في كثير من أمور المسلمين ، التي تأخذ بهم إلى جادة الصواب وتثبت عقيدتهم و تقوي إيمانهم ، منها الفرائض:(كالصلاة، و الصيام ، والزكاة و الحج. و منها ما يتعلق بالمعاملة، كالصدق وحسن معاملة الجار و حقوق المسلم على المسلم، وبين المسلمين مع غير المسلمين)، .وقد جمع الإمام علي أهم ما يحتاجه الإنسان في الإستقامة و الصلاح لما ينفعه و ما ينفع ما حوله.، كما يقول عليه السلام:"**لا مال أعود من العقل ، ولا وحدة أوحش من العجب، ولا عقل كالتدبير، ولا كرم كالتقوى، و لا قرين كحسن الخلق، ولا ميراث كالأدب ، ولا قائد كالتوفيق، ولا تجارة كالعمل الصالح، ولا زرع كالثواب، ولا ورع كالعند الشبهة، ولا زهد كالزهد في الحرام ولا علم كالتفكر،و لا عبادة كأداء الفرائض، و لا إيمان كالحياء و الصبر، و لا حسب كالتواضع، و لا شرف كالعلمولا عز كالحلم، و لا مظاهرة أوثق من المشاورة**"[3]. إن الإمام علي علي متشبع بالثقافة الإسلامية و منه استلهم معانيه رضي الله ،و هذا مايلاحظ في جميع مواضيعه رضي الله عنه،بل لم يترك لا صغيرة و لا كبيرة تنفع المسلم ،إلا وقد أطلق فيها حكما و مواعظ ، لازالت نرددها بعد أكثر من أربعة عشر قرنا، و هذا دلالة على توافقها مع حياة المسلم بل مع حياة البشرية كلها و من الأمور التي لها أهمية كبيرة في حياة المسلم .

7ـ **التناص في حفظ اللسان:** فالكلمة هي التي تشعل الحرب و هي أيضا التي ترسي السلم و على الإنسان أن يحترس مما يقول،فالكلمة تحتسب لنا أو علينا، إذ يقول الإمام: **"وَلْيَخْتَزِنَ الرَّجُلُ لِسَانَهُ، فَإِنَّ هذَا اللِّسَانَ جَمُوحٌ بِصَاحِبِهِ،وَاللهِ مَا أَرَى عَبْداً يَتَّقِي تَقْوَى تَنْفَعُهُ حَتَّى يَخْتَزِنَ لِسَانَهُ، وَإِنَّ لِسَانَ الْمُؤْمِنِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ، وَإِنَّ قَلْبَ الْمُنَافِقِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ: لاِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بَكَلاَم تَدَبَّرَهُ فِي نَفْسِهِ، فَإِنْ كَانَ خَيْراً أَبْدَاهُ، وَإِنْ كَانَ شَرّاً وَارَاهُ، وَإِنَّ الْمُنَافِقَ يَتَكَلَّمُ بِمَا أَتَى عَلَى لِسَانِهِ لاَ يَدْرِي مَاذَا لَهُ وَمَاذَا عَلَيْهِ، وَلَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ(ﷺ):"لاَ يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْد حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلاَ يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ؛ فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى اللهَ سُبْحَانَهُ وَهُوَ نَقِيُّ الرَّاحَةِ مِنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ، سَلِيمُ اللِّسَانِ**

[1] ــ مختصر صحيح البخاري، التجرد الصحيح لأحاديث الجامع الصحيح ، الزبيدي، باب الأدب ، ص530 .
[2] ــ شرح نهج البلاغة ابن أبي حديد ، ج4، ص33
[3] ـــنهج البلاغ، الإمام علي، شرح محمد عبده، ،(ح115)ص:448

مِنْ أعْرَاضِهِمْ،فَلْيَفْعَلْ"[1] . ولا شك من أن لهذا الثبات والتصميم في إزالة كل العوائق دوراً هاماً في تحقيق النصر النهائي بهدم صروح الحضارة البالية والتشييد لبناء حضارة خالدة، تسير وفق منهج رباني فهو خلق البشر و هو أدرى بما ينفعهم في الدنيا و الآخرة من غير تشدد ولا تفريط ،و الأخذ بأوسط الأمورمن **قال** عليه السلام:" **إن للقلوب اقبالا و ادبارا ، فإذا اقبلت فاحملوها على النوافل، و إذا أدبرت فاقتصروا بها على الفرائض**"[2]

8- **تناص الحكم العملية عند الإمام وعند خصومه**: ومن وصية له للحسن والحسين(عليهم السلام)لما ضربه ابن ملجم لعنه الله :" **أوصِيكُمَا بِتَقْوَى اللهِ، وَأَنْ لاَ تَبْغِيَا الدُّنْيَا وَإِنْ بَغَتْكُمَا،وَلاَ تَأْسَفَا عَلَى شَيْء مِنْهَا زُوِيَ، عَنْكُمَا، وَقُولاَ بِالْحَقِّ، وَاعْمَلاَ لِلاْجْر، وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْماً، وَلِلْمَظْلُومِ عَوْناً. أوصِيكُمَا، وَجَمِيعَ وَلَدِي وَأَهْلِي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابي، بِتَقْوَى اللهِ، وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ، وَصَلاَحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمَا ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ**[وَآلِهِ وَسَلَّمَ ــ **يَقُولُ**: "**صَلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلاَةِ الصِّيَامِ**") **اللهَ اللهَ فِي الأَيْتَامِ، فَلاَ تُغِبُّوا أَفْوَاهَهُمْ، وَلاَ يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ.وَاللهَ اللهَ فِي جِيرَانِكُمْ، فَإِنَّهُمْ وَصِيَّةُ نَبِيِّكُمْ، مَا زَالَ يُوصِي بِهِمْ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُمْ.وَاللهَ اللهَ فِي الْقُرْآنِ لاَ يَسْبِقْكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ.وَاللهَ اللهَ فِي الصَّلاَةِ، فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ.وَاللهَ اللهَ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ، لاَ تُخْلُوهُ مَا بَقِيتُمْ، فَإِنَّهُ إِنْ تُرِكَ لَمْ تُنَاظَرُوا.وَاللهَ اللهَ فِي الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ.وَعَلَيْكُمْ بِالتَّوَاصُلِ وَالتَّبَاذُلِ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّدَابُرَ وَالتَّقَاطُعَ.لاَ تَتْرُكُوا الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَيُوَلَّى عَلَيْكُمْ أَشْرَارُكُمْ، ثُمَّ تَدْعُونَ فَلاَ يُسْتَجَابُ لَكُمْ.**) ثمّ قال:**يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لاَ أُلْفِيَنَّكُمْ، تَخُوضُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ،خَوْضاً، تَقُولُونَ: قُتِلَ أَمِيرُالْمُؤْمِنِينَ.أَلاَ لاَ تَقْتُلُنَّ بِي إِلاَّ قَاتِلِي.انْظُرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ مِنْ ضَرْبَتِهِ هذِهِ، فَاضْرِبُوهُ ضَرْبَةً بِضَرْبَة، وَلاَ يُمَثَّلُ بِالرَّجُلِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ(صلى الله عليه وآله) يَقُولُ**: "**إِيَّاكُمْ وَالْمُثْلَةَ، وَلَوْ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ**."[3] تظهر وصية الإمام على التطور الكبير الذي عرفه هذا الفن في صدر الإسلام ، فالإتجاه الإسلامي شكل لها الأساس الذي قامت عليه عند الإمام علي ، فقد إتجه في وصيته إلى رعيته و أبنائه وعشيرته بني عبد المطلب أن يتقوا الله في كل أمورهم وأن يحافظوا على الإيتام، الذي يحرص على أن لا نغفل على إطعامهم، و الجار الذي وصى عليه الرسول (ﷺ)عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:(**من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان**

[1] ــ م ن ، الخطبة176، ص393
[2] ــ م ن،ح312
[3] ــ نهج البلاغة، الإمام علي،شرح محمد عبده، ص:387ــ388

يؤمن بالله و اليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت)[1]،وكما حثهم على التمسك بتعاليم القرآن الكريم و العمل به، و قد قال تعالى في سورة البقرة: ﴿**ألم،ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين،الذين يؤمنون بالغيب و يقيمون الصلاة و مما رزقناهم ينفقون و الذين يؤمنون بما أنزل إليك و ما أنزل من قبلك و بالآخرة هم يوقنون،أولئك على هدى من ربهم و أولئك هم المفلحون**﴾[2] كما أوصى بالصلاة ثم أوصى رضي الله عنه ببيت الله الذي هو قبلة المسلمين ، ثم بتغيير المنكرو إعلاء كلمة الله بالمال و النفس و الألسن ،كما حثنا الله على ذلك في كتابه الكريم في عدة آيات و رسوله (ﷺ)في أحاديث كثيرة، ليذكر الإمام أهله بصلة الرحم ،و تجنب التقاطع و التدابر ، أما في وصية معاوية لإبنه يزيد ـ عندما إشتد به المرض بدمشق في جمادي الثانية قال فيها: **"يا بني إني قد كفيتك الشد و الترحال و وطأت لك الأمور و ذللت لك الأعداء و أخضعت رقاب العرب و جمعت لك ما لم يجمعه أحد ، فانظر أهل الحجاز فإنهم أصلك و أكرم قدم عليك منهم و تعاهد من غاب و انظر أهل العراق فإن سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملا فافعل فإن عزل عامل أسهل من أن يشهر عليك مائة ألف سيف، و انظر أهل الشام فليكونوا بطانتك و غيبتك فإن رابك من عدوك شيئا فانتصر بهم فإذا أصبتهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم فإنهم إن أقاموا بغير بلادهم تغيرت أخلاقهم. و إني لست أخاف أن ينازعك في هذا الأمر أربعة من قريش الحسين بن علي و عبد الله بن عمر، و عبد الله بن الزبير، و عبد الرحمن بن أبي بكر. فأما ابن عمر فإنه رجل قد و قدته العبادة فإذا لم يبق أحد غيره بايعك، و أما الحسين بن علي فهو رجل خفيف و لن يتركه أهل العراق حتى يخرجوه فإن خرج و ظفرت به فاصفح عنه فإن له رحما ماسة و حقا عظيما و قرابة من محمد (صلى الله عليه و سلم) و أما ابن أبي بكر فإن رأى أصحابه صنعوا شيئا صنع مثله ليس له همة إلا في النساء و اللهو،و أما الذي يجثم لك جثوم الأسد و يراوغك مراوغة الثعلب فذاك ابن الزبير فإن هو فعلها فظفرت به فقطعه إربا إربا،وأحقن دماء قومك ما استطعت"**[3] فأول ميزة نلاحظها في هذه الوصية فقرها من الحكم العملية الإسلامية التي حثتنا الله بالإلتزام بها ، فقد إحتوت وصيته على الخصائص الجاهلية وهي واضحة فيها، فالأساس الذي تقوم عليه الوصية اقليمي شخصي.فاهتمامات الخليفة تتجه إلى أهل الحجاز و أهل العراق و أهل الشام ،حيث يصف الخليفة طريقة خاصة من المعاملة لكل منهم .

و إلى جانب هذه الأقاليم يحذر ابنه من رجال يمكن أن ينافسوه في الخلافة. هم عبد الله بن عمر

[1] ــ مختصر صحيح البخاري، التجرد الصحيح لأحاديث الجامع الصحيح ، الزبيدي،ص531
[2] ــ سورة البقرة:الآية من1إلى 5
[3] ــ محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (العرب قبل الإسلام ،البعثة النبوية،الخلافة الراشدة) الشيخ محمد الخضري بك ،دط، راجعه محمد الإسكندراني دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان :1426هــ2006م ،ص:302

و الحسين بن علي و عبد الله بن الزبير و تزيد "رواية أخرى للوصية محمد بن أبي بكر" [1] ويحدد لإبنه الطريقة التي يراها مثلى للتعامل مع كل من هؤلاء حسب ما يعرفه معاوية عن شخصيتهم. فتوجه وصية الخليفة معاوية ،تغمرها الروح القبلية الجاهلية،و التعصب العرقي و التهافت على الأمور الدنيوية التي لا علاقة لها بالدين ولم يستنصص بأي دلالة إسلامية ،و بمقارنة بسيطة بين توجه وصية الإمام لإبنيه(الحسن و الحسين)الذي تشبع بالمرجعية الإسلامية و توجه وصية معاوية لإبنه (يزيد) الذي يكون قد تشبع بمرجعيات الجاهلية و الأفكار الوافدة ليلقي بظلالها على أبنه في مابعد للتتناغم هذه السلوكات ــ على ما أرى ــ بنغمات الثقافة البهلوية* الفارسية فيما يتصل بأخلاق الطبقة الحاكمة ،يقول عبد الحكيم حسّان 'أما التأثير البهلوي فإنه يتجلى واضحا فيما يتصل بأخلاق الطبقة الحاكمة . إذ لم يعرف عن العرب لا في جاهليتهم و لا في إسلامهم التمسك بقيم خاصة بطبقة من طبقات المجتمع دون سائر طبقاته . فالإسلام يساوي بين الناس جميعا في المسؤولية الخلقية.و إنما عرف مثل هذا النظام الأخلاقي الخاص في الحياة الإسلامية منذ منتصف القرن الأول للهجرة حين بدأ التأثير البهلوي على الثقافة العربية الإسلامية "[2] ، و قد بين لنا ذلك كتاب التاج إذ يقول :"إن قواعد السلوك التي كانت متبعة في البلاط الساساني وجدت طريقها في وقت مبكر جدا إلى البلاط الأموي"[3] و لعل احساس الأمويين بعدم أحقيتهم للخلافة على أساس ديني كون لديهم عقدة نقص هو الذي دفعهم إلى الإفراط في القسوة ضد أي معارضة قائمة على أساس ديني، شكل هذا الضعف عندهم ،البحث عن عناصر قوة أخرى فالتجأوا إلى القبليةالجاهلية ،و نحن نَردُ هذه المقارنة بين مضموني و صيتين قيلت لشخصين عاشا في زمن واحد ، بثقافتين متناقضتين و متصارعتين و ذلك لمعرفة الشخصية الأموية و أتباعها و المجتمع الذي كان يستهدفه الإمام بحكمه

و يظهر ذلك في السيرة و السياسة كما أشار إليه طه حسين:" فقد كان علي مؤمناً بالخلافة و يرى أن من الحق عليه أن يقيم العدل بأوسع معانيه بين الناس ، أما معاوية فإنه لا يجد في ذلك بأساً و لا

---

[1] ــ الأدب المقارن و التراث الإسلامي، عبد الحكيم حسّان ،ص:133

*البهلوية:هي مجموعة من قواعد السلوك (الإتيكيت)نطق الأمير و حركاته و نظراته و إشاراته،و تصرفاته،و طريقته في الركوب،و تناول الطعام،و الشراب و جلوسه إلى رجال حاشيته،أو ظهوره لعامة الجند لا بد أن يكون وفق مجموعة من قواعد السلوك المقررة و الإصرار على التمسك بهذه المجموعة المعقدة. ." مقدمة لعلم النفس الأدبي ، خير الله عصار ، ص:23

[2] ــ الأدب المقارن و التراث الإسلامي، عبد الحكيم حسّان ص:112

[3] -م ن ، ص :113

جناحاً ، فكان الطامعون يجدون عنده ما يريدون ، و كان الزاهدون يجدون عند علي ما يحبون"[1]..فكانت العبرة بالنتائج فأين هؤلاء الأبناء من هؤلاء ، فحفظ الجيد يبدع الجيد و حفظ الرديء بلا شك يولد الرديئ ،و يقول تعالى: ﴿..**فأمّا الزبد فيذهب جفاء وأمّا ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال**﴾[2] و كان هدفي من هذه الموازنة هي الوصول إلى الفهم الحقيقي لخصوم الإمام علي للتتضح لنا رسالة الإمام علي، و المرسل إليه. فرسالة الإمام تستجيب لتجربته الحياتية،و مدى اقتران مدلولاته بالنص القرآني و الحديثي، و مثل هذا التوظيف يتجاوز في كثير من الأحيان الإقتباس الحرفي من آيات القرآن ، و يتخذ الإمتصاص طريقة له لتوليد دلالات النص الحاضر، فاستعانته بالنص **السابق***إضافة إلى خصائص الإمام المميز، و التي سبق الإشارة إليها،جعل من النص الحاضر نصّا ذا قيمة عالية في المعنى و المبنى.

9- تناص الحكم العملية في النص الوصفي: **إن** النص الوصفي يتصل اتصالاً دقيقاً بعملية انعكاس الأشياء نفسها في الذهن، إلاّ أنه عند الإمام علي يجعل من عملية الانعكاس، إعادة خلق صوري للموصوف فيصبح الموصوف في الصورة البلاغية و البيانية يشبه الحقيقة الملموسة للشيء الموصوف ويتجاوزه بالجمالية الممنوحة إليه من داخل كلمات النص."إن الفن نتاج لانفعال عميق عند الفنان،إنه تعبير عما يجري في الجزء الإنفعالي من النفس. و السمات الأساسية للفن الأصيل تختلف عن السمات الأساسية للعلم ،إن الفنان ذاتي، فردي و خاص.و أن كل عمل فني سواء كان لوحة او تمثالا أو قطعة أدبية هو تعبير من شخص أو فرد في مكان ما، في وقت ما..إنه يعبّر عن الواقع كما يبدو للفنان متأثرا بانفعالاته المختلفة"[3] إنّ أمير المؤمنين علياً بن أبي طالب كان يستنطق الصفات، واهباً إياها المقدرة على أن تستعرض نفسها، بشفّافية أكثر. إنّ ذكاء الإمام عليّ بن أبي طالب النادر، كان يستعين بذاكرة قوية وقدرة هائلة على اختزان صور الأحداث والطبيعة، وأخبار البشر و سيرةالأنبياء،و التاريخ وأوصاف الأشياء، بما وهبه الله من دقة ملاحظة تجعله يحيط بسمات الشيء بالأخرى،فتأتي الرؤية شاملة و المشهد متكاملا، فكل جزء مكانه و في

---

[1] ــ الفتنة الكبرى ــ علي و بنوه ــ طه حسين ،،ط13، دار المعارف ــ الإسكندرية ــ مصر ،د ت، ص59

[2] ــ سورة الرعد ، الأية: 17

*فضلنا مصطلح (السابق) عن مصطلح (الغائب) على اعتبار أن النص القرآني ماغاب على المسلم فكيف به مع الإمام علي أو بقية الخلفاء رضوان الله عليهم.

[3] ــ مقدمة لعلم النفس الأدبي ، خير الله عصار ، ص:23

موضعه. إذ كان وصفُه يتغلغل إلى عمق الظاهرة ،. وبما أن أبلغ وصف هو ذلك الذي ينقل الصور البليغة للأشياء ويعكسها بأجمل تعبير، وأقوى إيحاء وأدق وصف وأجلى تعبير، فإنّ سحر البيان الذي أوتيَهُ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، كان يجعل من عملية الإنعكاس الوصفي قِطعاً فريدة من النصوص الوصفية التي تفخر بها العربية قال (ع) في صفة المؤمن :(**المؤمن بشره في وجهه ، و حزنه في قلبه . أوسع شيء صدرا و أذلّ شيء نفسا . يكره الرّفعة و يشنأ السّمعة . طويل غمّه . بعيد همّه ، كثير صمته ، مشغول وقته . شكور صبور . مغمور بفكرته ضنين بخلّته . سهل الخليقة ، ليّن العريكة . نفسه أصلب من الصّلد ، و هو أذلّ من العبد**.(**أي أن نفس المؤمن أصلب من الحجر في فعل الحق . و ان كان في تواضعه أذل من العبد**)[1] وحديثه عن الطبيعة بمظاهرها الحية ،بما يتخللها من قواعد ونواميس حياتية،وما يحكمها من إرادة خفية دقيقة التنظيم والصنع، وكلامه عن السَّحاب والزرع والحيوانات المختلفة المتباينة، كالخفاش والطاووس والنملة،و الجبال وتحليله الأوضاع

الاجتماعية والغرائز الإنسانية، يعتبر في ذروة أنموذج التفكير العلمي المبدع المبني على دقة الملاحظة، والإدراك الواعي،فالإمام علي رضي الله عنه ، ينقل لنا المنظر الواقعي و يضيف إليه عناصر خاصة من ذاته ، هذه الذاتية مرتبطة بتعاليم الإسلام و أخلاق الرسول صلى الله عليه و سلم. إذ يقول رضي الله عنه في صفة الدنيا **"مَا أَصِفُ مِنْ دَار أَوَّلُهَا عَنَاءٌ !وَآخِرُهَا فَنَاءٌ! فِي حَلاَلِهَا حِسَابٌ، وَفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ .مَنِ اسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ، وَمَنِ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ وَمَنْ سَاعَاهَافَاتَتْهُ، وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ، وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَّرَتْهُ، وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ"**[2] **.**والغاية أسمى و أعظم من تصوير المشهد لذاته ، فالغرض من الوصف مثلا: من وصف النملة ، أخذ العبرة و الإتعاظ رغم صغرها إلا أنها مضرب للمثل في الجدّ و الكدّ ، وعلى ذلك فليأخذ الإنسان حكمته في الحصول على رزقه بعرق جبينه.يقول الدارسون أن"الشعوب تصنع الثقافات كما أن الثقافات تصنع الشعوب.." [3] فيمكن أن نقول أن الإمام استطاع وحده أن يصنع ثقافة ، و أن هذه الثقافة صنعت كثيرا من الشعوب و ارتجال حكم الإمام ، آية في الإتقان والروعة . ومن الثابت أن جريان خطب علي بن أبي طالب و حكمه على نحوه الباهر ، في طولها ، وقصرها و في

[1] ـــ نهج البلاغة ،الإمام علي،شرح محمد عبده: ح 352 ، ص:484

[2] ـــ نهج البلاغة،الإمام علي،شرح محمد عبده ،خ 82 ص:101

[3] ـــ مقدمة لعلم النفس الأدبي، خير الله عصار ،ص:25

كل مواضيعه، وأسلوبه، هو دليل على الفعالية الخارقة لعقل مبدع ، موهوب ، هو السيد المؤكد في عالم العقول.كما سنتطرق إلى ذلك في الأسلوب.

10- تناص الحكم العملية مع مضامين القصص القرآنية:ففي القصص القرآنية يقوم الإمام علي باقتباس خاصيَّة قرآنية، أو حادثة، أو قصة، على معنى أنّ الخطاب الوعظي لا يتمثَّل مفردة فقط، أو تركيباً ما، أو آية بعينها، وإنما يتمثَّل قصة أو حادثة قرآنية، أو معجزة إلهية، ذات شأن هام في الإسلام ،يلح الإمام من خلالها على استدعاء مضمون القصة بما تحمله من معجزات ،و كرامات خاصة منها : أخذ العبرة من هذا المصير حتى لا يطغى الإنسان و لا يتجبر، كما يحذر الطغاة و المعتدين الذين يتمادون في ظلمهم ، مذكرا أيّاهم بما مضى من زمن الأولين،أو يبين لهم أصل الإنسان وكيف كرّمه الله على بقية المخلوقات، فليأخذ العبرة و ليتعظ بما سلف،و يعتمد الإمام علي في ذلك على الاقتباس الَضمني أو الإقتباس الصريح من مضمون القصص في القرآن الكريم، و مستلهما من نموذجه و منهجه في التوجيه و الوعظ و التربية، فالخطاب القصصي يشكل منبعا سحريا جذابا و مؤثرا لدى القارئ وهذا ما تجلَّى في خطبته رضي الله عنه منها: في صفة خلق آدم(عليه السلام) قال الإمام علي(ع):(**ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الأَرْضِ وَسَهْلِهَا، وَعَذْبِهَا وَسَبَخِهَا تُرْبَةً سَنَّهَا بالمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ، وَلاَطَهَا، بِالبَلَّةِ، حَتَّى لَزَبَتْ،فَجَبَلَ مِنْها صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاء وَوُصُول، وَأَعْضَاء وَفُصُول: أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ، وَأَصْلَدَهَا، لِوَقْت مَعْدُود وَأَجَل مَعْلُوم، ثُمَّ نَفَخَ فِيها مِنْ رُوحِهِ فَمَثُلَتْ إِنْساناً ذَا أَذْهَان يُجِيلُهَا، وَفِكَر يَتَصَرَّفُ بِهَا، وَجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا....**"[1] قال الإمام علي:]**وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ(عليهما السلام) عَلَى فِرْعَوْنَ، وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ، وَبِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ، فَشَرَطَا لَهُ - إنْ أَسْلَمَ - بَقَاءَ مُلْكِهِ، وَدَوامَ عِزِّهِ، فَقَالَ: أَلاَ تَعْجبُونَ مِنْ هذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ، وَبَقَاءَ الْمُلْكِ، وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ، فَهَلاَّ أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَب؟ إعْظَاماً لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ، وَاحْتِقَاراً لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ! وَلَوْ أَرَادَ اللهُ سُبْحَانَهُ بأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الْذِّهْبَانِ وَمَعَادِنَ الْعِقْيَانِ، وَمَغَارِسَ الْجِنَانِ، وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طَيْرَ السَّماءِ وَوُحُوشَ الأَرَضِينَ لَفَعَلَ، وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلاَءُ،وَبَطَلَ الْجَزَاءُ، وَاضْمَحَلَّتِ الأَنْبَاءُ**"[2] لقد انتشرت القصص في المساجد بدءا من صدر الإسلام،فقد روي"أن أول من قصّ في مسجد رسول الله ﷺ ،(**تميم الدّاري**)،بعد أن أذن له الخليفة عمر في آخر ولايته، و يبدو أن القصص انتشرت بسرعة لميول الناس إليها، وأكثر القصّاص من الكذب ،فطردهم علي بن أبي

---

[1] ــ نهج البلاغة،الإمام علي،شرح محمد عبده ،خ1 ، ص21

[2] ــ م ن ، ص ن

طالب من المساجد."[1] واستثنى الحسن البصري لتحريه في قوله،عكس ماكانوا عليه الأمويين الذين شجعوا القصاص،و مما يروى"أن معاوية أمر رجلا يقص في المسجد بعد الصبح و بعد المغرب،يدعو له ولأهل الشام" [2] و يبدو أن مثل هذه القصص قد تسبب في دخول الكثير من الأساطيروالخرافات إلى الأمة الأسلامية نقلا عن الأمم الأخرى فكثرت الإسرائليات و النصرانيات،ومن هؤلاء القصاص:"وهب بن منبه من أصل فارسي من أهل الكتاب و كعب الأحبار يهودي من اليمن ،أسلم في عهد عمر بن الخطاب فتسربت منهم الكثير من أخبار اليهود"[3] فكان الإمام علي يعمل على تصحيح العقيدة مما تخلفه هذه الشوائب و الأساطير في نفوس المسلمين . ومن خطبة له عليه السلام ،ومن الناس من يسمّي هذه الخطبة القاصعة* وهي تتضمن ذم إبليس،عَلى استكباره، وتركه السجود لآدم(عليه السلام) وأنه أول من أظهر العصب وتبع الحمية، وتحذير الناس من سلوك طريقته.**"الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَبِسَ الْعِزَّ وَالْكِبْرِيَاءَ، وَاخْتَارَهُمَا لنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ، وَجَعَلَهُمَا حِمىً وَحَرَماً على غَيْرِهِ، وَاصْطَفَاهُمَا لِجَلاَلِهِ. و جعل اللعنة على من نازعه فيهما من عباده،ثم اختبر بذلك ملائكته المقربين ليميّز المتواضعين مِنْهم مِنَ المستكبرين"**[4] والغاية التي يود الإمام علي بلوغها في هذه القصص التي استمد معانيها من قصص القرآن الكريم ،هي تحقيق المعانقة للإسلام ،و الإستدلال عن عقيدة التوحيد ،و أخذ العبرة،و ربط المتلقي بأهداف الرّسالة السماوية خاصة و أنها شحنت القصة بعدة وحدات سيميائية ،ساهمت في تثبيت العقيدة ،و تقوية الإيمان، وتطهير الثقافة الإسلامية،من الثقافات الدخيلة التي لا تمت صلة بالإسلام ، نخلص أخيراً من دراسة التناص - عندالإمام - مع القرآن الكريم إلى النتيجة التالية:إنَّ الإمام علي سار في تناصّه مع المعطيات القرآنية وفق خط خاص بما يتناسب وتجربته وإبداعه، ممَّا أدَّى إلى تنوّع أساليبه في الاستحضارإذ لم يقتصر استحضاره على الإشارة القرآنية، أو الإيماءة أو اللفظة، أو الآية، أو التركيب، وإنما تعدَّى ذلك كلَّه إلى استحضار القصص القرآنية وهي جانب ثريّ يمدُّ حكمه و مواعظه بنفس ملحمي أو دراميّ، ينمي فاعلية الحركة والتداخل فيهما علىالمستوى اللفظي والدلاليّ معاً.و يدعم ذلك بالحجة و الدليل و الإقناع.

---

[1] ــ يراجع: شعر الصحابة ــ دراسة فنية موضوعية ــ أ.د.سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث و الدراسات ــ عنابة، الجزائر: 1428هــ2007 ، ص:76

[2] ــ فجر الإسلام ، أحمد أمين،ص:158

[3] ــ م ن ، ص:77ــ78

* القاصعة: من قصع فلان فلاناً: أي حقّره، لانه(عليه السلام) حقر فيها حال المتكبرين

[4] ــ نهج البلاغة ،الإمام علي،شرح محمد عبده، الخطبة192ص: 269

II- تناص مضامين الحكم مع التراث:

1- مع التراث الشعري:

إن النص النثري للإمام عليّ بن أبي طالب ـــ رضي الله عنه ـــ اكتسب فوائد عظمى من الثقافة القرآنية و الأحاديث النبوية ، في المضمون ـــ كما سبق الإشارة إليه ـــ إلا أن الإمام علي كان أيضايستشهد بالشعر؛لأنه كان شاعراً بطبيعته. وفي ذلك جاء في تاريخ الخلفاء للسيوطي أن أبا بكر كان يقول الشعر، و كان عمر يقول الشعر، وكان عثمان يقول الشعر و كان علي أشعر الثلاثة."[1] و إن تأملنا نهج البلاغة نجد القليل من الإقتباسات الشعرية، فهي لم تتجاوزثلاثة عشر مقطوعة، توزعت ما بين البيت و البيتين و الثلاثة فيما كان مجمل الأبيات ثمانية عشر بيتا في نهج البلاغة ، المكون من مائتين و أربعين خطبة و ثمانين كتابا و أربعمائة و ثلاثة و سبعون من حكم الجمل القصار ،ومن أمثلة استشهاده بالشعر ما جاء في قوله بعد خديعة التحكيم: فقال: (ع) يستنكر عصيان أصحابه في أمر التحكيم :" **وقد كنتُ أمرتكم في هذه الحكومة أمري، ونخلْتُ لكم مخزون رأيي، لو كان يُطاع لقصيرٍ أمر، فأبيتم علَيّ إباء المخالفين الجفاة والمنابذين العُصاة، حتّى ارتاب الناصح** بنُصحه، وضنَّ الزَّنْدُ بقدحه، فكنتُ أنا وإياكم كما قال أخو هوازن***:**

أمرتكمُ أمري بُمنعَرَج اللّوى ××× فلم تستبينوا النصحَ إلاّ ضُحى الغدِ [2]

وجاء في خطبته و في معرض حديثه (ع) عن الكوفة و فتنتها ، و قد بلغه استيلاء أصحاب معاوية على البلاد استشهاده وتمثله بقول الشاعر :

. **لَعمرُ أبيك الخير يا عمرُو إنّني ××× على وَضَرٍ**(غسالة السقاء) **من ذا الإناء قليل**[3]

و قال (ع) في توبيخ الخارجين عليه : فكانوا كما قال الأول :

" أدمت لعمري شربك المحض صابحا

و أكلك بالزّبد المقشّرة البجرا"[4]

[1] ـــ تاريخ الخلفاء: السيوطي ، ص:133

[2] ـــنهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد:مج1،ج2،خ 35 ، ص204

[3] ـــنهج البلاغة،الإمام علي، شرح محمد عبده: الخطبة 25 ص53

*أخو هوازن هو دريد بن الصمة ،م ن ،ص ن

[4] ـــ نهج البلاغة،الإمام علي، شرح محمد عبده: الخطبة 3

....

عليّا ، و حطنا حولك الجرد و السّمرا

و قال (ع) عن الأصحاب المخلصين الذين يلبّون النداء اذا دقّ النفير" [1]

هنالك لو دعــــــوتَ أتــاكَ منهم ××× فــــوارسُ مثلُ أرمــــيةِ الحميمِ

وختم خطبته عند مسيره للقتال في البصرة بقوله: «والله ما تنقم منا قريش إلاّ أنّ الله اختارنا عليهم، فأدخلناهم في حيِّزنا، فكانوا كما قال الأول[2]:

أدمتَ لعمري شُربكَ المحضَ صابحا ××× وأكلكَ بالزُبْدِ المــــقشَّرَةَ البُـجرا

ومن استشهاداته الشعرية في ترجيح الصبر" [3]

فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى، فَصَبَرتُ وَفي الْعَيْنِ قَذىً، وَفي الحَلْقِ شَجاً، أرى تُرَاثي نَهْباً حَتَّى مَضَى الأْوَّلُ لِسَبِيلِهِ، فَأَدْلَى بِهَا إِلَى فلان بَعْدَهُ.

تمثله بقول الأعشى الكبير(أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل) في معرض كلام الامام علي (ع) عن الخلافة في الخطبة الشقشقيّة قال:

شتـــَّــــانَ مَا يومي على كُورِها ××× ويـــومُ حيــّانَ أخي جــَــــــابر*

و معنى البيت :أن فرقا بعيدا بين يومه في سفره و هو على كور ناقته، و بين يوم حيان في رفهيته فإن الأول كثير العناء شديد الشّقاء، و الثاني وافر النعيم وافي الراحة.و هذا يدل على أن الإمام علي (ض)، كثير الإطلاع على التجارب و الأحداث التي وقعت في العصر الجاهلي، ليعيد استذكارها كل ما تطلب السّياق ذلك،لما تحمله من دلالات و إشارات ،تلقي بظلالها على الحدث فيذكر المرسل إليه بالتجربة التي تتشابه مع مع الحدث الحالي.

[1] ــ م ن : الخطبة 25،ص: 54
[2] ــم ن: الخطبة 33، ص:65
[3] ــ نهج البلاغة ،الإمام علي، شرح محمد عبده، : الخطبة3 الشقشقيةص29

وتمثله بقول امرئ القيس[1]:

ودع عنك نهباً صِيح في حُجرات ××× (وهاتِ حديثاً ما حديث الرواحلِ)[2]

وقوله:

لبّثْ قليلاً يلحقُ الهيجا حَمَلْ ××× (لا بأسَ بالموتِ إذا الموتُ نزلْ)

كذلك قوله في نفس الخطبة: قال أخو بني سليم:

فإن تسأليني كيف أنتَ فإنني ××× صبورٌ على ريب الزمان صليبُ

يـــعزٌ علَيَّ أن تُرى بي كآبةٌ ××× فيشـــمتُ عادٍ أو يُســـاءُ حبيبُ

ومن كتاب له إلى عثمان بن حُنيف الأنصاري[3]:

وحسبُكَ داءً أن تبيتَ ببطنةٍ ××× وحــولك أكبادٌ تحـــنّ إلى القِــدِّ

ومن هنا نستطيع القول أن الإمام علي يدخل أحيانا في اتصال مع الذاكرة الأدبية و الشعرية فيستمد منها الشواهد المناسبة لموضوعه،بل أحيانا يستخدم الإمام التناص الإشاري،كما نراها في بعض حكمه،خاصة و أن الحكمة ــ كما سبق الإشارة إليها ــ تعتمد على ثقافة واسعة و رجاحة عقل،وسعة اطلاع،و بعد النظر، و الإستلهام من التجارب السابقة.

يقول الإمام علي:" **تكلموا تعرفوا،فإن المرء مخبوء تحت لسانه**".[4]

و مثل هذه الحكمة قد تداول معانيها كثير من الشعراء ، نذكر منهم زهير بن أبي سلمى[5]

و كائن ترى من صامت لك معجــب ××× زيادته أو نقصه في التـــــكلم

لسان الفتى نصف و نصف فـــــؤاده ××× فلم يبق إلا صورة اللحم و الدم

[1] ــ نهج البلاغة،الإمام علي، شرح محمد عبده،خ162،ص:219

[2] ــ ديوان أمرئ القيس بن حجر الكندي،لأبي الحجاج يوسف بن سليمان(الأعلم الشنتمري) دط، صححه،الشيخ بن أبي شنب،وزارة الثقافة الجزائر،،2007 ص:217

[3] ــ المرجع السابق ص:680

* أخو حيان

[4] ــ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج 19 ، الحكمة 398 ، ص:340

[5] ــ شرح المعلقات العشر و أخبار شعرائها،أحمد الأمين الشنقيطي، ط1،تحقيق: محمد فاضلي،دار الأبحاث:2007ص:82

و قال عليه السلام عند وقوفه على قبر الرسول صلى الله عليه و و آله ساعة دفن الرسول صلى الله عليهو آله :"**إن الصبر لجميل إلا عنك، و إن الجزع لقبح إلا عليك ، و إن المصاب بك لجليل، و إنه بعدك لقليل**"[1]

تقول في ذلك **الخنساء** في قصيدة لها تحت عنوان البكاء الحسن: [2]

دفعت بك الجليل و أنت حيّ ××× فمن ذا ينفع الخطب الجليلا

إذا قبح البكاء على قتـــيل ××× رأيت بكاءك الحسن الجميلا

يمكن لدارس نصوص الإمام أن يعاين هذا الحظورللنص الشعري القديم في نصه الجديد،سواء أكان هذا الحضور قائما على التداخل الدلالي بتوليد معاني الشعراءالسابقين ، أو من خلال التناص الصريح، فالإمام منفتح على النصوص الخارجية،خاصة و أنه شاعر،يحفظ الكثيرمن الشعر المعاصر له أو القديم الجاهلي، فيتفاعل معه،ليلقي بظلاله على أساليب الإمام و حكمه و مواعظه وإن كانت الميزة التناصصية عند الإمام في التراث الشعري قليلة في نصوصه ــ غالبا ــ ما اعتمد عليها في الإستشهاد.فيتداخل معها الإمام و ينحرف بها إلى دلالات جديدة تدعم توجه الإمام الديني.كقول الإمام من كتاب له عليه السلام إلى معاوية "..فإن يكن ذلك كذلك فليست الجناية عليك فيكون العذر إليك: ــ و تلك شكاة ظاهر عنك عارها ــ[3] فالشطرالثاني لأبي ذؤيب إختار من معاني البيت الذي يخدم فكرته و موضوعه و يساير مبادءه،و الغي الشطر الأول الذي لا يتماشى مع مبادءه رضي الله عنه و هو: (و عيّرها الواشون أنّي أحبّها).

2ــ التنناص مع التراث النثري:

نستشف أن التداخل النصي، ظاهرة فنية جلية ،يعمل على الأخذ من النص السالف الغائب فيضفي عليه اشراقة و توهّج ، خاصة و أن حكيما كالإمام علي مطالب بأن يحيا عصره و يطلع على عصر غيره، فيطعم عالم الحكم و المواعظ بشتى الروافد الثقافية ، بشرط أن تكون عند الإمام مسايرة للشريعةالإسلامية و لا تتناقض معها ،و نجده عند الإمام في قوله:

"**من أبطأ به عمله، لم يسرع به نسبه.**"[4]

[1] ــ شرح نهج البلاغة،الحكمة 298،ص195

[2] ــ ديوان الخنساء ، دط ،دار بيروت للطباعة و النشر1404هــ1983م،ص:119

[3] ـ نهج البلاغة ،الإمام علي ،شرح محمد عبده،ص357

[4] ــنهج البلاغة ،الإمام علي شرح محمد عبده،الحكمة 405،ص:493

كان يقال":أجهل الناس من افتخر بالعظام البالية ، و تبجح بالقرون الماضية، و اتكل على الأيام الخالية "[1] فالتناص هنا ورد في تلاقح و تفاعل تجارب السابقين مع تجارب الإمام علي،أو هو تفاعل بين نص قديم (النص الغائب) و (النص الجديد الماثل)،فيتمدد النص الماثل في إشارات و دلالات النص القديم و يضيف إليه ليمنحه حياة جديدة تتماشى مع البيئة الجديدة، ومن ذلك ما قاله الإمام علي **(الناس أعداء ما جهلوا):** [2]

يقول ابن أبي الحديد في شرحه لهذه الحكمة: يقول المثل" من جهل شيئا عاداه.و قيل لأفلاطون :لمَ يبغض الجاهل العالِمَ، و لا يبغض العالم الجاهل؟ فقال:لأن الجاهل يستشعر النقص في نفسه ويظن أن العالم يحتقره، و يزدريه فيبغضه، و العالِمُ لا نقص عنده و لا يظن أن الجاهل يحتقره، فليس عنده سبب لبغض الجاهل" .[3] فحكم النص القديم و الماثل في هذه النماذج قائم على أساس الحضور و الغياب في تداخل دلالي و إشاري ،فتجارب الحياة سلسلة مرتبطة ببعضها ، و متشابكة و متداخلة، تكون الحكم فيها قواعد صالحة للعمل بها في كل زمان مكان.كما نجدها في قول الإمام:" **الدهر يومان: يوم لك، و يوم عليك، فإذا كان لك فلا تبطر، و إذا كان عليك فاصبر"**[4] قديما قيل هذا المعنى: **الدهر يومان:" يوم بلء و يوم رخاء. و الدهر ضربان:حَبْرة و عبْرة. و الدهر و قتان: وقت سرور، و وقت ثبور. و قال أبو سفيان يوم أحد:يوم بيوم بدْر، و الدنيا دُوَل"**[5] و نرى في حكم الإمام لؤلؤا أو عقدا ، توارثته الأجيال عبر التاريخ نظرا للقيمة الفنية و الأدبية . و مسايرة حكم الإمام لواقع حياة الأمة إلى أن صارت قانونا عاما صالحا للعمل به في حياتنا اليومية والعملية،ناصحا و واعظا حريصا على فلاح المسلمين و سعادتهم ، و على صيانة كرامتهم و شرفهم إذ يقول الإمام علي:

"ردّوا الحجر من حيث جاء، فإن الشر لا يدفعه إلا الشر" [6]

و هذه الحكمة تساير النخوة العربية و الأنفة ، و عدم الرضى بالإهانة ، أو الظلم

يقول المثل العربي:إن الحديد بالحديد يفلح و يقول الشاعر عمرو بن كلثوم في معلقته [7]:

ألا لا يجهلن أحد علينا ××× فنجهل فوق جهل الجاهلينا

[1] ــ شرح نهج البلاغة، ابن أبي حديد، ص: 331
[2] ــ م ن ، ج20 ح 444
[3] ــ م ن ،ص ن
[4] ــ شرح نهج البلاغة، ابن أبي حديد ،ج19،ح406
[5] ــ م ن ،ص ن
[6] ــ م ن ،ح 320ص:221
[7] ــ شرح المعلقات العشر و أخبار شعرائها،أحمد الأمين الشنقيطي ،ص:123

فالتراث الشعري وأمثاله و حكمه كثيرة في مثل هذه المواضيع ، فقد ترقرق التناص و تجلى عبر هذا التراث فألقى بظلاله ،على حكم الإمام علي ، بعد أن مزجها ببنائه الفكري و الروحي ،فتحلت في أبهى قيمها و صورها. و إن كانت هذه الظلال ،قليلة بالمقارنة مع ظلال النثر فالشعر يتخلل خطب الإمام عليّ بن أبي طالب ورسائله وأحاديثه،و من ثمة حكمه و مواعظه، لكنّ عظمة نثره ظلت آيةً من آيات الأدب والحكمة والمعرفة، تفيض كنوزها بالتلقي، فتزدادُ ثراء وتألقاً.خاصة و أنهامتظللة بدوحةالقرآن الكريم والحديث الشريف.

3ـ**التناص على طريقة شعر النقائض**:و النقائض هي انتقال نص شعري من شاعر إلى شاعرآخرأو من فهم و رؤية معينة إلى بيئة مخالفة..فيصير النص الواحد نصا مشتركا بين الشاعرين اللذين يمتلكانه عن طريق عملية التحويل و الترجمة و النقد.."[1] و قد كانت بين جرير و الفرزدق و الكميت أشعارا متبادلة، كل منهم يرى نفسه نقيضا للآخر، فيذكّر بمحاسنه ،و يبيّن مساوئ غيره فسميت أشعارهم بشعر النقائض، و بين الإمام و معاوية شيئ من هذا القبيل ،و إن كان يختلف من حيث السياق ، فالإمام علي مصِرّ على التمسك بمبادئه و عزل معاوية ،و معاوية يحاول بشتّى الطرق البقاء في السلطة ،فكانت بينهما هذه الرسائل المتبادلة ،وهذا نموذج منه ،يبين فيه الإمام توجهه في طريقة الحكم التي تختلف كليا عن طموحات معاوية، ويذكره الإمام بأن لا تشابه معه لا في النسب ولا في التوجه الديني ولا السياسي،و لا مهادنة في أمر من أمور الدين و الحكم الراشد.ومن كتاب له (عليه السلام)إلى معاوية، جواباً عن كتاب منه:"**وَأَمَّا طَلَبُكَ إِلَيَّ الشَّامَ، فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لاِ ُعْطِيَكَ الْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ أَمْسِ.وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّ الْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتِ الْعَرَبَ إِلاَّ حُشَاشَاتِ أَنْفُس بَقِيَتْ، فَمَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ فَإِلَى [الْجَنَّةِ،مَنْ أَكَلَهُ الْبَاطِلُ فَإِلَى] النّارِ.وَأَمَّا اسْتِوَاؤُنَا فِي الْحَرْبِ والرِّجَالِ، فَلَسْتَ بِأَمْضَى عَلَى الشَّكِّ مِنِّي عَلَى الْيَقِينِ، وَلَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى الاْخِرَةِ.**

وَأَمَّا قَوْلُكَ: **إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَاف**، فَكَذلِكَ نَحْنُ، وَلكِنْ **لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهَاشِمَ، وَلاَ حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَلاَ أَبُوسُفْيَانَ كَأَبِي طَالِب، وَلاَ المُهَاجِرُ كَالطَّلِيق، وَلاَ الصَّرِيحُ**(صحيح النسب في ذوي الحسب.) **كَاللَّصِيقِ**(من ينتمي إليهم وهو أجنبي عنهم)، **وَلاَ الْـمُحِقُّ كَالْمُبطِلِ، وَلاَ الْمُؤْمِنُ كَالمُدْغِلِ**(المفسد)، **وَلَبِئْسَ الْخَلَفُ خَلَفٌ يَتْبَعُ سَلَفاً هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ.**

[1] ـــيراجع: الظاهرة الشعرية العربية الحضور و الغياب ،'حسين خمري، اتحاد الكتاب العرب دمشق: 2001،ص208

وَفِي أَيْدِينَا بعْدُ فَضْلُ النُّبُوَّةِ الَّتِي أَذْلَلْنَا بِهَا الْعَزِيزَ، وَنَعَشْنَا(رَفَعْنا) بِهَا الذَّلِيلَ.وَلَمَّا أَدْخَلَ اللهُ الْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجاً وَأَسْلَمَتْ لَهُ هذِهِ الاْمَّةُ طَوْعاً وَكَرْهاً، كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ: إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا رَهْبَةً، عَلَى حِينَ فَازَ أَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ، وَذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ الاْوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ.فَلاَ تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيباً، وَلاَ عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلاً، وَالسَّلاَم."[1]

﮸﮹

[1] ـــ نهج البلاغة، الإمام علي ، شرح محمد عبده،ص345

ـ تناص أسلوب حكم نهج البلاغة مع القرآن و الحديث:

I ـ التناص مع أسلوب القرآن الكريم:

أوَّل الظواهر التناصّيّة التي رصدناها في نهج البلاغة كلّه، بعد تناص المواضيع الذي سبق الإشارة إليه، تدفقات نصوص الحكم و المواعظ على المفردات و التراكيب القرآنية والأحاديث النبوية من اقتباس ظاهر،أومضمر،كامل أو جزئي. و قد استخدمها الإمام علي في الحكم العقائدية و العملية التي ـ كما سبق دراستها في المبحث السابق ـ للإستدلال و البرهنة على صدق الفكرة و التوجّه ، و سنجدها ـ في هذا المبحث قد وظفها في الأسلوب ،لغايات و فوائد جمّة . فكانت أوّل هذه التناصات ظاهرة الاقتباس لآيات القرآن الكريم بأنواعه :الصريح و الضمني، التام والجزئي،مع الآيات القرآنية قد يتجاوز الأربعمائة آية قرآنية من مجموع مائتين و أربعين خطبة و سبعين آية كريمة.في كتاب نهج البلاغة (شرح محمد عبده) نذكر منها مايلي:

1ـ ظواهر التناص الصريح و الضمني في أسلوب الحكم مع القرآن الكريم:

/شرح نهج البلاغة محمد عبده	الآيـــة	نوع الإقتباس	السورة /الآية
ـ خ: 1ص22	فقال سبحانه :اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إلاّ إبْلِيسَ .	صريح	الإسراء:61
خ:1ص22	قال :إنّكَ مِنَ المُنْظَرِينَ إلَى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلُوم .	//	الحجر:38
خ 1، ص26	فقال سبحانه: وَ لِلّهِ عَلَى النّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إلَيْهِ سَبِيلاً ، وَ مَنْ كَفَرَ فَإنَّ اللّهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ .	صريح	آل عمران:97
خ2 ص32	تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأرْضِ وَ لاَ فَسَاداً ، وَ العَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ .	// //	القصص/83
خ16ص:42	وَ مَا يَعْقِلُهَا إلاّ العَالِمُونَ .	ضمني	العنكبوت 43
خ18ص46	مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ فِيْهِ تِبْيَانٌ لِكُلِّ شَيْءٍ	صريح	الأنعام/38
خ:18ص46	ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا	//	النساء:82
خ:28ص59	قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار	//	إبراهيم :30
خ:91:ص125	تا الله إن كنا لفي ضلال مبين*إذ نسويكم برب العالمين	//	الشعراء: 97،98
خ91:ص128	أولى أجنحة	ضمني	فاطر: 85
خ91:ص128	بل عباد تكرمون ، لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعلمون	ضمني	الأنبياء26،27
148	إن في ذلك لآيات و إن كنا لمبتلين	صريح	المؤمنون :30

475	كل نفس بما كسبت رهينة	ضمني	المدثر:38	
475	خسر الدنيا و الآخرة ذلك هو الخسران المبين	ضمني	الحج:11	
492	فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون	صريح	الأعراف 99	
492	إنه لا يائس من روح الله إلا القوم الكافرون	صريح	يوسف 87	
500	لكيلا تأسوا على ما فاتكم و لا تفرحوا بما ءاتاكم	صريح	الحديد 23	
504	و لا تنسوا الفضل بينكم	صريح	البقرة238	

2- إقتباس الألفاظ و المفردات :

تتجلَّى في هذه الحكم فاعلية الإمتصاص الفني لبعض التراكيب القرآنية، وظَّفها الإمام علي بصياغة جديدة، ممَّا أكسبها نوعاً من الخصوصية والتميّز، فالتناصّ ـ هنا ـ يعتمد التضمين المباشر أي (التضمين اللفظيّ) أو(الوظيفيّ)، لبعض التراكيب والمفردات القرآنية، بشكل يثير في نفس المتلقي قدرة إيحائية خاصة، تمكِّنه أَن يستجلي فنيات الحكم و المواعظ ، ومدى تأثرها بالنصّ القرآني ومدى استقطابه ـ رضي الله عنه ـ لبعض اللمحات والومضات القرآنية،نلاحظ اعتماد الدفقة الخطابية على المفردات القرآنية كأداة لإنتاج الدلالة. .

نجد الإمام علي يستحضر في مواضع كثيرة الدوال القرآنية و الأحاديث الشريفة فيوزعها و ينشرها في خطابه، فيسمو نصه التعبيري،و يحقق مبتغاه من التأثير في المتلقين،ومن ثمة توجيههم إلى ما يرضي الله، ومنه سنحاول رصد تجليات العلاقة بين التجربة الخطابية و محفوظ الإمام ،ووجهته في تشكيل بنية النص و التأثير الذي يمارس عليه من حيث التناص مع ظاهر اللفظ ، سواء عن طريق التمظهر اللفظي أو إستيحاء ظلال الآيات القرآنية و الأحاديث ، وجعلها معادلا سيميائيا للوعظ و الإرشاد و التوجيه ، فغدت تتفاعل مع أحداثها و مستجداتها ،أما الظواهر التناصّيّة مع القرآن الكريم فيمكن اعتبارها نوعاً من التمثُّل الإيجابي للنصّ القرآني في أحكام الإمام و مواعظه ، نتيجة لاتساعها وعمق دلالتها، وقدسيتها في نفس المتلقي، هذه النصوص التي يقوم فيها الإمام علي باستحضار عدد لا يستهان به من المفردات القرآنية ،وخاصة في نصوصه ذات المنحى النصحي و الوعظي، على اعتبار أن الإمام معلّم،و قبل ذلك فهو تلميذ رسوله عليه الصلاة و السلام، و أن المرسلين في مقام المعلمين،يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر،و نجد

منها هذه المفردات التي وردت في وصية له لإبنيه الحسن و الحسين لما ضربه ابن ملجم ـ لعنه الله ـ قال الإمام علي(ع):" **أوصيكما بتقوى الله ، و أن لا تبغيا الدّنيا و إن بغتكما . و لا تأسفا على شيء منها زوي عنكما . و قولا للحقّ و اعملا للأجر ، و كونا للظّالم خصما و للمظلوم عونا . أوصيكما و جميع ولدي و أهلي و من بلغه كتابي ، بتقوى الله ، و نظم أمركم ، و صلاح ذات بينكم ، فإنّي سمعت جدّكما صلّى الله عليه و آله و سلّم يقول « صلاح ذات البين أفضل من عامّة الصّلاة و الصّيام » . الله الله في الأيتام ، فلا تغبّوا أفواههم ، و لا يضيعوا بحضرتكم . و الله الله في جيرانكم ، فإنّهم وصيّة نبيّكم . ما زال يوصي بهم ، حتّى ظننّا أنّه سيورّثهم . و الله الله في القرآن ، لا يسبقكم بالعمل به غيركم . و الله الله في الصّلاة فإنّها عمود دينكم . و الله الله في بيت ربّكم ، لا تخلّوه ما بقيتم ، فإنّه إن ترك لم تناظروا (أي لا ينظر اليكم بالكرامة ، لا من الله و لا من الناس) . و الله الله في الجهاد بأموالكم و أنفسكم و ألسنتكم في سبيل الله . و عليكم بالتّواصل و التّباذل . و إيّاكم و التّدابر و التّقاطع** ."[1]

وتتبلور الدلالة التناصِّيَّة على أشدَّها في هذه الوصية، نتيجة لاعتماده على المفردات والتراكيب من ناحية، واستدعائه لسلسلة من الآيات القرآنية، ذات الأبعاد الإنسانية المتعدِّدة، من ناحية ثانية. وهنا تكتنز الدفقة الوعظية بمجموعة تناصات، وإشارات دلالية، يتم فيها حضور الخطاب القرآني حضوراً جماعياً، لشحن العبارة بكم هائل من القداسة والإيحاء،كما نوضحه في ما يلي:

:

الصلاة و الصيام، القرآن، بيت ربكم،الجهاد.

وهكذا يمكن القول: أن الكلمة القرآنية، ذات إشعاعات لا تختفي ، كلها تصب في وجهة واحدة. أما المفردات التي جاءت على الصيغة.الفعلية:" **لا تتركوا الأمر** بالمعروف و النّهي عن المنكر **فيولّى** عليكم شراركم ، ثمّ تدعون فلا يستجاب لكم . « **إيّاكم و المثلة** و لو بالكلب العقور.. و غالبا ماتترد لغاية التوجيه و التنبيه و التحذير.

3 ـ تناص التراكيب:

[1] ـ نهج البلاغة ،الإمام علي، محمد عبده، كتاب 288ص387

أما المحور الثاني من محاور التناص مع القرآن الكريم، فيتعامل مع التراكيب لا المفردات كقوله: **(الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر- الجهاد بأموالكم و أنفسكم و ألسنتكم في سبيل اللّه ـ فإنّها عمود دينكم ـ عليكم بالتّواصل ـ الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر ، فيولّى عليكم شراركم ، ثمّ تدعون فلا يستجاب لكم ـ إيّاكم و المثلة و لو بالكلب العقور)** فبعض التراكيب القرآنية تدخل إلى نصّ الإمام، وتأخذ نمطاً من التعبيروقدراً من الإيحاء، يحافظ الإمام على توجهها الأصلي من خلال تركيبها الدلاليّ الجديدلأن الأصل في إرادها هو الوعظ و التوجيه بمبادئ الدين الإسلامي.

4 ـ التناص مع الأسلوب الخطابي القرآني: يتميز الأسلوب الخطابي الوعظي عند الإمام في محاكاته لأسلوب القرآن و الحديث إذ أن القيمة الأساسية للنص في خطب الإمام علي بن أبي طالب ورسائله ماثلة في حضور الإبداع النصي في نشاطه الفكري والكلامي ،وتلك ميزة نادرة يتفرد بها علي بن أبي طالب بصورة ملموسة، إذ يقول ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه على نهج البلاغة في حق أمير المؤمنين ـ رضي الله عنه ـ:" و قد عرفت أن أشرف العلوم هو العلم الإلهي؛ لأنّ شرف العلم مجتمعة و ذاك النسب العريق ، و ما صاحبها من نفح إلهي ، وإلهام قدسي،و من مزايا الشجاعة الأدبية و تلك الفطنه الخارقة و ذاك العلم النوراني، كل هذه العوامل و غيرها مكنت الإمام علي من وجوه البيان و"ملّكته أعنة الكلام ، و ألهمته أسمى المعاني و أكرمها و هيأت له أشرف المواقف و أعزها، فجرت على لسانه الخطب الرائعة ، و الرسائل الجامعة و الوصايا النافعة ، فالكلمة يرسلها عفو الخاطر فتغدو حكمة ، و الحديث يلقيه بلا تعمل و لا إعنات فيصبح مثلا، في أداء محكم ، و معنى واضح ، و لفظ عذب سائغ"[2]. ومن وصيّته (عليه السلام)عند انصرافه من صفّين : "..**الذَّامِ لِلدُّنْيَا، السَّاكِنِ مَسَاكِنَ الْمَوْتَى، الظَّاعِنِ عَنْهَا غَداً، إِلَى الْمَوْلُودِ الْمُؤَمِّلِ مَا لاَ يُدْرَكُ، السَّالِكِ**

5

سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ، غَرَضِ الأَسْقَامِ،رَهِينَةِ،الأَيَّامِ، وَرَمِيَّةِ، الْمَصَائِبِ، وَعَبْدِ الدُّنْيَا، وَتَاجِرِ الْغُرُورِ، وَغَرِيمِ الْمَنَايَا، وَأَسِيرِ الْمَوْتِ، وَحَلِيفِ الْهُمُومِ،قَرِينِ الأَحْزَانِ، وَنُصْبِ الآفَاتِ وَصَرِيعِ،الشَّهَوَاتِ، وَخَلِيفَةِ الأَمْوَاتِ.أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ فِيمَا تَبَيَّنْتُ مِنْ إِدْبَارِ الدُّنْيَا عَنِّي، وَجُمُوحِ الدَّهْرِعَلَيَّ، وَإِقْبَالِ الآخِرَةِ إِلَيَّ مَا يَزَعُنِي عَنْ ذِكْرِ مَنْ سِوَايَ.. "[1]

فالنطق السهل لدى علي كان من عناصر شخصيته وكذلك البيان القوي، والحجة الدامغة، ثم إن الله يسّر له العدة، و العتاد الكامل ، لما تقتضيه الخطابة من مقومات ، و من أهمها صدقه الذي لا حدود له وهو ضرورة في كل خطبة ناجحة. فقد ميزه الله بالفطرة السليمة، والذوق الرفيع و الحكمة السديدة،الخالدة ثم بذخيرة من العلم انفرد بها عن أقرانه ، وعبقرية في الارتجال لم يعرف مثيلا لها بعد النبي ﷺ، فكانت هذه الخطب و الوصايا و الرسائل الممزوجة بالحكم و الوعظ تنبع من شخصية الإمام و سياقه، فيه من الألم و الآلام ما يصعب لأي كان مداراتها ولكنه الإمام بما يحمله من الألم الممزوج بالحنان العميق، وبطهارة القلب وسلامةالوجدان وشرف الغاية،سمح له أن يشكل كل ذلك ليفيض بيانا و بلاغة ، ما عرف العرب مثيلا لها بعد النبي ﷺ الذي يقول ﷺعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ ، قال**(سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، و شاب نشأ بعبادة الله، و رجل قلبه معلّق في المساجد، و رجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه و تفرقا عليه، و رجل دعته امرأة ذات منصب و جمال فقال:إني أخاف الله، و رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله، و رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه)[2]كان للإمام في كل هذه الصفات الحظ الأوفر.**

5 ـــ التناص مع مسايرة الأسلوب للمضمون:

360

194:

46

نِفَاقٌ، وَمَاؤُكُمْ زُعَاقٌ.المُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مُرْتَهَنٌ بِذَنْبِهِوَالشَّاخِصُ عَنْكُمْ مُتَدَارَكٌ بِرَحْمَة مِنْ وَغَرِقَ مَنْ في ضِمْنِها[3].

6 ـ **كثافة الإستدعاء:قال (ع):"..** الْفُسْحَةِ قَبْلَ الضِّيقِ، فَاسْعَوْا فِي فَكَاكِ رِقَابِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُغْلَقَ رَهَائِنُهَا، أَسْهِرُوا عُيُونَكُمْ، وَأَضْمِرُوا بُطُونَكُمْ، وَاسْتَعْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ، **وَأَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ**، وَخُذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ تَجُودُوا بِهَا عَلَى أَنْفُسَكُمْ، وَلاَ تَبْخَلُوا بِهَا عَنْهَا، فَقَدْ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ :**﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ**

2
3
39

وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾، وَقَالَ تَعَالَى :"﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ**﴾، فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذُلٍّ، وَ**لَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ مِنْ** قُلٍّ **اسْتَنْصَرَكُمْ وَلَهُ جُنُودُ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحُكِيمُ**و**اسْتَقْرَضَكُمْ وَلَهُ خَزَائِنُ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**، وَإِنَّمَا أَرَادَ **أَنْ يَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً** فَبَادِرُوا بِأَعْمَالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ جِيرَانِ اللهِ فِي دَارِهِ، رَافَقَ بِهِمْ رُسُلَهُ، وَأَزَارَهُمْ مَلاَئِكَتَهُ، وَأَكرَمَ أَسْمَاعَهُمْ أَنْ تَسْمَعَ حَسِيسَ نَار أَبَداً، وَصَانَ أَجْسَادَهَمْ أَنْ تَلْقَى لُغُوباً وَنَصَباً ﴿**ذلِكَ فُضْلُ اللهِ يُؤتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُوالْفَضْلِ الْعَظِيمِ** ﴾أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ، **وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**!.. "[1] من خلال استحضار الإمام للصيغة القرآنية كما هي دون تغيير ، مثل (**يَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**) :(**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ**)(**ذلِكَ فُضْلُ اللهِ يُؤتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ**) إضافة للإقتباس الصريح ،هناك إقتباس ضمني و توظيف دلالي ،كقوله رضي الله عنه:"**أيها الناس ! إنا أصبحنا في دهر عنود، و زمن كنود ..**"[2] **إقتباس من الصيغة القرآنية : ﴿و إنه لحب الخير لشديد﴾**[3] هنا نلاحظ كثافة الاستدعاء ، وهذا يدلّ على مرجعية الإمام إذ جعل من النصّ القرآني مرجعاً أساسياً لنصوصه، استمدَّ من قيمه وروحانيته الشيء الكثير، مما دفعه لمزيد من التمثل والتأثر بمعانيه في تراكيبه ومفرداته وصوره، وبهذا أغنى نصوصه بمعين لا ينضب من الألفاظ و التراكيب القرآنية

7 ـ الأسلوب التقابلي بين الكلمات و العبارات:

يلاحظ في أسلوب الإمام استخدامه للتقابل بين الكلمات، والتراسل بين التراكيب في قالب تقابليّ تكامليّ و قد ورد التقابل في القرآن الكريم في أروع أشكاله و أعظم بيانه ، كما وظفه الرسول ﷺ لغرض الشرح و التفسير،أو كما هو في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿فأما **من أعطى و اتقى ،و صدق بالحسنى ،فسنيسره لليسرى**، و أمّا **من بخل و استغنى، و كذب بالحسنى،فسنيسره للعسرى**﴾[4] فالتقابل واضح في هذه الآية و هو في أسمى أشكاله، أما في قول الإمام فقد ورد في كتابه إلى عبدالله بن عباس بعد مقتل محمّد بن أبي بكرإذ قال: «فعند الله نحتسبه ولداً ناصحاً، وعاملاً كادحاً،وسيفاً قاطعاً، وركناً دافعاً. وقد كنت حثثت الناس على لحاقه، وأمرتهم بغيائه قبل الوَقْعه، ودعوتهم **سراً**

[1] ـ نهج البلاغة ،الإمام علي،شرح ،محمد عبده ، الخطبة183،ص253
[2] ـ نهج البلاغة،شرح محمد عبده،خ32، ص62
[3] ـ سورة العاديات ،الآية:8
[4] ـ سورة الليل:5-10

وجهراً، وعوداً وبدءاً، فمنهم الآتي كارهاً ومنهم المعتلّ كاذباً، ومنهم القاعد خاذلاً». وقوله في رسالة إلى عمرو بن العاص قبل التحكيم: «أما بعد، فإن الدنيا مشغلة عن غيرها، ولن يصيب صاحبُها منها شيئاً إلاّ فتحت له حِرصاً يَزيده فيها رغبة، ولن يستغني صاحبها بما **نال** عمّا **لم يبلُغْ**، ومن وراء ذلك **فراقُ** ما **جمع**. والسعيد من وُعِظ بغيره، فلا تُحبط ـ أبا عبدالله ـ أجرك، ولا تُجارِ معاوية في باطله، والسلام». وقوله في خطبة له بعد أن بلغه مقتل محمّد بن أبي بكر: "اسمعوا قولي، وأطيعوا أمري، فوالله لئن **أطعتموني لا تَغوون**، وإن **صيتموني لا ترشدون**.... ، وإني **من ضلالتهم التي هم فيها والهدى الذي نحن عليه** لَعلى ثقة وبيّنة ويقين وبصيرة. فانفروا **خفافاً وثقالاً**). فالتقابل قائم على التركيب بين القائد و الحكيم، الذي يخاطب العقل و المنطق،و من التقابل الذي نجذ في هذا لنموذج" ودعوتهم سراً وجهراً، وعوداً وبدءاً، فمنهم الآتي كارهاً، ومنهم المعتلّ كاذباً، ومنهم القاعد خاذلاً." لئن **أطعتموني لا تَغوون**، وإن **عصيتموني لا ترشدون** ،وإني من ضلالتهم التي هم فيها والهدى الذي نحن عليه، **خفافاً وثقالاً**.و قال أيضا اللإمام:فإن الغاية **أمامكم**، و إن **وراءكم** الساعة تحدوكم،تخففوا تلحقوا،فإنماينتظر **بأولكم،آخركم"**[1]

8 ـ **في الحوار:** فقد شكا إليه العلاء بن زياد الحارثي الهمداني أخاه عاصم بن زياد، فقال له: وماله؟ قال: لبس العباءة، وتخلى عن الدنيا! قال: عليّ به. فلما جاء قال له:(**يا عُديّ نفسه! لقد استهام بك الخبيث! أما رحمت أهلك وولدك؟ أترى أحل الله لك الطيبات وهو يكره أن تأخذها؟ أنت أهون على الله من ذلك)!فقال: "يا أمير المؤمنين! هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك؟!فقال (عليه السلام): (ويحك! إني لست كأنت، إن الله فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم عصاني فقد أبى"**.[3]

301

302:

568:

128 :

الحــرف	عـــدد مـــرات اســتعماله فاصلة	النسبة المئوية لاستعماله فاصلة
النـون	3182	% 50,93
الميـم	775	%12,40
الـراء	690	%11,04
الـدال	286	%4,62
الألف المقصورة	245	%3,92
الـباء	239	%3,82
اللام	212	%3.39
الهاء	173	%2,76
الياء	87	%1,39
القاف	66	%1,05

[1] نهج البلاغة، الإمام علي،شرح محمد عبده،مراجعة و تدقيق،أحمد إبراهيم زهوة،ص:158

ـ الفواصل الأقل استخداما في القرآن الكريم:[1]

هذه الفواصل الأقل إستخداما في القرآن الكريم ، هي أقل إستخداما في نهج البلاغة أيضا و الأقل إيقاعا،في حكمه، فحفظ الإمام للقرآن الكريم ،و للشعر التراثي و لكونه شاعرا، و لكون اللغة العربية تتميز ببعض المخارج ذات وقع و جرس موسيقي اعتادت عليه الأذن الموسيقية عند العرب،و تستانس بها عند سماعه كل ذلك كان له بالغ التأثير ، في أسجاع و فواصل الإمام.

ألــــف المد	42	%0 ,67
التاء	42	%0,67
العين	33	%0 ,52
الفاء	22	%0.53
الجيم	20	%0.32
الطاء	19	%0 ,30
الزاي	18	% 0.28
الهمزة	17	%0 ,27
الظاء	17	%0 ,27
السين	14	%0 ,22
الصاد	12	%0 ,19
الكاف	9	%0 ,14
الواو	6	%0 ,096
الثاء	6	%O ,096
الحاء	5	%0 ,080
الضاد	4	%0 ,064
الشين	3	%0 ,048
الذال	2	%0 ,032
الغين	1	%0 ,016

2 ــ التناص مع الفواصل القرآنية في تحديد المواضيع:

من هذا المنطلق شكَّلت الكلمة القرآنيّة في الخطاب بؤرة دلالية، استقطبت الإيقاع والبناء في آن لهذا كان تمثّل القرآن في هذا النصّ جلياً أمام القارئ خاصة إذا علمنا أن القرآن يعتمد التصوير أساساً من أسس التعبير فيه ، وبعد تدبر لآيات القرآن وجدت أن الفاصلة عنصر أساسي من عناصر التصوير باللوحة القرآنية ، حيث أن اللوحة القرآنية بتعريفها الذي قدمت تتبع كل آياتها تقريباً فاصلة واحدة أو فواصل متقاربة الإيقاع،حتى إذا تمت اللوحة وبدأت لوحة جديدة أو موضوعا جديدا من موضوعات السورة تغيرت الفاصلة، وهي بذلك تدخل عنصراً أساسياً من عناصر تكوين اللوحة القرآنية.وهذه اللوحات تعتمد الدلالة واللفظ بما يحمله من أصوات وإيقاع عناصر مكونة للوحة ، ويتضح هذا كثيراً في السور المكية القصار على وجه الخصوص . و على سبيل المثال سورة الطارق "[1] . يقول تعالى﴿ و السماء و **الطارق**،و ما أدراك **ما الطارق**،النجم الثاقب،إن كل نفس لما عليها حافظ،فلينظر الإنسان مم **خلق** ،خلق من ماء **دافق**،يخرج من بين الصلب و الترائب،إنه على رجعه **لقادر**،يوم تبلى **السرائر**،فما له من قوة و **لا ناصر**،و السماء ذات **الرجع**،و الأرض ذات **الصدع**،إنه لقول **فصل**،و ما هو **بالهزل**،إنهم يكيدون **كيدا**،و أكيد **كيدا**،فمهل الكافرين أمهلهم **رويدا**. ﴾ و من كلام له رضي الله عنه:في الخطبة الأولى في نهجه :" الحَمْدُ للهِ الَّذَي لاَ يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ **القَائِلُونَ** وَلاِ يُحْصِي نَعْمَاءَهُ العَادُّونَ، ولاَ يُؤَدِّي حَقَّهُ **الُمجْتَهِدُونَ**، الَّذِي لاَ يُدْرِكُهُ بُعْدُ **الهِمَمِ**، وَلاَ يَنَالُهُ غَوْصُ **الفِطَنِ**، الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ **مَحْدُودٌ**، وَلاَ نَعْتٌ **مَوْجُودٌ**، وَلا وَقْتٌ **مَعْدُودٌ**، وَلا أَجَلٌ **مَمْدُودٌ** فَطَرَ الخَلائِقَ **بِقُدْرَتِهِ**، وَنَشَرَ الرِّيَاحَ **بِرَحْمَتِهِ**، وَوَتَّدَ بِالصُّخُورِ مَيَدَانَ **أَرْضِهِ**.أَوَّلُ الدِّينِ **مَعْرِفَتُهُ**،وَكَمَالُ **مَعْرِفَتِهِ** التَّصْديقُ **بِهِ**، وَكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ **تَوْحِيدُهُ**، وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ **الْإِخْلاصُ لَهُ** وَكَمَالُ **الْإِخْلاصِ لَهُ** نَفْيُ الصِّفَاتِ **عَنْهُ**، لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَة أَنَّها غَيْرُ المَوْصُوفِ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوف أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ، فَمَنْ وَصَفَ اللهَ سُبْحَانَهُ **فَقَدْ قَرَنَهُ**، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ **ثَنَّاهُ**،وَمَنْ ثَنَّاهُ فَقَد **جَزَّأَهُ**، وَمَنْ جَزَّأَهُ **فَقَدْ جَهِلَهُ**، [وَمَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ،]وَمَنْ أشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ **حَدَّهُ**، وَمَنْ حَدَّهُ

(17)

فَقَدْ **عَدَّهُ**، وَمَنْ قَالَ» :فِيمَ» فَقَدْ **ضَمَّنَهُ**، وَمَنْ قَالَ: «عَلاَمَ؟» فَقَدْ أَخْلَى **مِنْهُ**.كائِنٌ لاَ عَنْ حَدَث، مَوْجُودٌ لاَ عَنْ عَدَم، مَعَ كُلِّ **شَيْء لاَ بِمُقَارَنَة**، وَغَيْرُ كُلِّ شيء لا **".** [1]

__III- التناص مع أسلوب الحديث:__ التناص المتعدد كثير مع الحديث النبوي ، أما التناص الصريح في الحديث فقد أحصينا:سبع و عشرين حديثا صريحا في نهج البلاغة شرح محمد عبده ،منه مايلي.

العدد	نهج البلاغة ،شرح محمد عبده		نوع التناص
1	الخطبة: 86ص:115	) .	
2	الخطبة: 87 ص:118	.	
3	الخطبة :154ص206	) .	
4	الخطبة: 156 ص:209	.	
5	الخطبة: 156ص:210	.	
6	الخطبة: 160ص:216	.	
8	الخطبة: 176ص:240	" .	
9	الخطبة: 165	.	
11	الخطبة: 176 ص239	.	
12	الخطبة: 174	.	
14	الخطبة:192ص:282	» .	
23	الحكمة:17ص:432	.	

18

24	خ:86ص:118			
25	الحكمة:46 ص:438	.		
26	الحكمة:58ص:438	.		
27	الحكمة80 :ص441	.		

1 ـ مظاهر التناص في أسلوب الحكم مع الأحاديث الشريفة: لقد تأثر كثير من الأدباء بالحديث النبوي فراحوا يقتفون آثاره، و ينحون نحوه، مقتبسين بدائعه،و حلله و لآلئه،و قبل هؤلاء الأدباء كلهم كان الإمام علي أولهم في الإقتداء، و الحذو، و الإقتباس، لما وجد فيه من النموذج المثالي و الصياغة البديعة، و المعنى السديد ،و الفكرة الصائبة، خاصة و أن أسلوبه ﷺ يأتي في الدرجة الثانية بعد القرآن الكريم من حيث سمو البلاغة، و روعة التركيب ، لهذا كانت طريقة التعبير عند الإمام قريبة من الحديث النبوي ، فلا تكلف فيها و لا تصنّع، إنماهي السليقة و الموهبة الرفيعة التي وهبها الله له إضافة إلى ما أوتي من ملكة صوغ الصور البليغة ، والعبارات البديعة، و من المميزات العامة التي استلهمها الإمام من أسلوب الرسول ﷺمن وسائل التبليغ والتقرير،إضافة إلى الوسائل التعبيرية الأخرى.

1 ـالتناص مع قصر الفقرات وتوازنها :كثيراً ما تجيء الجُمل في نهج البلاغة متوازنة، بأن يتساوى عدد كلماتها أو تتماثل أوزان نهاياتها، وهذا ضرب آخر من موسيقى التعبير، ويحبّب إلى السمع ويقرّبُه إلى الذوق ،يمتاز أسلوب الإمام بقصر العبارات والجمل المتقاطعة الموزونة المسجعة و هي أبعد ما يكون عن الصنعة، وأقرب ما يكون من الطبع الزاخر.فأسلوب علي تتوفر فيه صراحة المعنى وبلاغة الأداء وسلامة الذوق، تتفجر كلمات علي من ينابيع ثقافته النقية، التي لم تختلط بشوائب مجتمعه.و في هذا النموذج كيف تجري حكمه و تتسلسل في أسلوب غاية في الإتقان بصيغه الخبرية و الإنشائية. و تاملنا لهذا الأسلوب نستخلص أن الإمام قد اقتفى آثاره من القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف،لما لهما من القدرة الفائقة في الإيجاز وتوازن العبارات إضافة إلى التشبيه،و التمثيل و المحاورة ،خاصة القرآن الكريم لما فيه من بيان ،و أجمل قول، وأبلغ كلام، فقد هذب الطباع و صقل الذوق الأدبي لدى العرب، وقبل ذا و ذاك ،فالقرآن المصدر الأول للتشريع و هو الذي كتب الخلود للغة العربية و الإسلام، أما الحديث فهو يمتاز بفصاحة اللهجة

،وبلاغة الحجة ، و صدق القول،و إيجاز العبارة ،و الصدور عن غير تصنّع و تكلف، وفيه مراعاة مقتضى الحال،لذا تأتي درجته في موازين البيان تالية لدرجة القرآن الكريم،و تالية له في التشريع.و سنوضح ذلك بصيغتيه الخبرية الإنشائية.

ـ الصيغة الخبرية: كقوله عليه السلام: ومن وصيّته (عليه السلام)للحسن بن علي(عليه السلام)، كتبها إليه بـ "حاضرين عند انصرافه من صفّين "**مِنَ الْوَالِدِ الْفَانِ، الْمُقِرِّ لِلزَّمَانِ، الْمُدْبِرِ الْعُمُرِ، الْمُسْتَسْلِمِ لِلدَّهْرِ الذَّامِّ لِلدُّنْيَا، السَّاكِنِ مَسَاكِنَ الْمَوْتَى، الظَّاعِنِ عَنْهَا غَداً، إِلَى الْمَوْلُودِ الْمُؤَمِّلِ مَا لاَ يُدْرَكُ، السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ غَرَضِ الاْسْقَامِ،رَهِينَةِ الاْيَّامِ، وَرَمِيَّةِ الْمَصَائِبِ، وَعَبْدِ الدُّنْيَا، وَتَاجِرِ الْغُرُورِ، وَغَرِيمِ الْمَنَايَا، وَأَسِيرِ الْمَوْتِ، وَحَلِيفِ الْهُمُومِ،قَرِينِ الاْحْزَانِ، وَنُصْبِ الاْفَاتِ، وَصَرِيعِ الشَّهَوَاتِ، وَخَلِيفَةِ الاْمْوَاتِ".** [1]

ـ االصيغ الإنشائية:قال (ع) و قد سمع رجلا يذم الدنيا:"**أيها الذام للدنيا المغتر بغرورها، المخدوع بأبطيلها،أتغترّ بالدنيا ثم تذمها؟أنت التجرم عليها أم هي المتجرمة عليك؟ متى استهوتك أم متى غرّتك؟ أبمصارع آبائك من البِلى ؟ أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى؟كم عللت بكفيك؟و كم مرّضْت بيديك ؟تبتغي لهما الشفاء.**"[2] في الإقتداء بعترة النبي: فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ؟ و أَنَّى تُؤْفَكُونَ !وَالاْعْلاَمُ الاعلام (الدلائل على الحق من معجزات ونحوها.) قَائِمَةٌ، وَالاْيَاتُ وَاضِحَةٌ، وَالْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ، فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ؟ بَلْ كَيْفَ تَعْمَهُونَ وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ؟ وَهُمْ أَزِمَّةُ الْحَقِّ، وَأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ! فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ، وَرِدُوهُمْ وُرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ.أَيُّهَا النَّاسُ، خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ(ﷺ): «إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّت، وَيَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَلَيْس بِبَال»، فَلاَ تَقُولُوا بِمَا لاَتَعْرِفُونَ."[3] أهم ملاحظة يمكن استخلاصها في هذه النماذج خاصة ما يتعلق بالخطاب أو الوصايا كثرة الصيغ الإنشائية خاصة إذا تعلق الأمر بالوعظ ـ **فمن الاستفهام:**أَنَّى تُؤْفَكُونَ؟ فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ؟ بَلْ كَيْفَ تَعْمَهُونَ وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ؟ **ـ ومن الترجّي**:: الأمر:فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ، وَرِدُوهُمْ وُرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ **النهي** :فَلاَ تَقُولُوا بِمَا لاَتَعْرِفُونَ.**ـ ومن النداء**.أَيُّهَا النَّاسُ، خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ(ﷺ):و الأساليب الإنشائية أقوى من الصِّيغ الخبرية تجديداً لنشاط السامعين، وأشد تنبيهاً وأكثر إيقاظاً، وأدعى إلى مطالبتهم بالمشاركة في القول وفي الحكم. وهي في الوقت نفسه أدق في تصوير مشاعر الخطيب وأفكاره، لأن أفكاره ومشاعره المتنوعة في حاجة إلى أساليب متغايرة تفصح عنها.ثمّ إن مغايرة

360
[2] ـ نهج البلاغة،الإمام علي، شرح محمد عبده، ح:133ص:450
118:

الأساليب و تنوعها من الخبري و الإنشائي، تستتبع مغايرة في نبرات الصوت وفي الوقفة والإشارة وطريقة الإلقاء، وهذا كله عون على الوضوح من ناحية، وعلى التأثير في السامعين من ناحيةأخرى ،و هذه الأساليب الإنشائية تكثر في الخطاب الوعظي عند الإمام علي ـ كرم الله وجهه ـ إضافة إلى ميزة أسلوب الإمام في وعظه أنه يدعم أوامره و نواهيه باستحضارآيات قرآنية وآحاديث شريفة، فتلقي بظلالها على الخطاب وفق مستويات تناصية مختلفة، منها التناص الصريح في قوله(**إنَّ الْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْمَكَارِمِ وَإنَّ النَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ**) أو التناص الضمني في قوله: (**فَاعْتَصِمُوا بِتَقْوَى اللهِ**،).

2 ـ **أسلوب التوضيح و الإقناع:** فمن منهج الرسول ﷺ في الوعظ و التعليم أنه" كان يؤيد قوله في التعليم بالدليل و التعليل أو التمثيل فيصير قوله حجة بعد حجة،فيقف السائل على حقيقة واضحة يطمئن لها قلبه و تنشرح بها نفسه"[1]و في حديث للرسول ﷺ عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:"**مثل مابعثني الله به من الهدى و العلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقيّة قبلت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا و سقوا و زرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء و لا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقُهَ في دين الله و نفعه ما بعثني الله تعالى به، فعَلم و علّم، و مثل من لم يرفع بذلك رأسا و لم يقبل هدى الله الذي أُرسلت به**" [2] و قد استمد الإمام علي منهجيته و أسلوبه في التمثيل و الإستدلال إذ يقول (عليه السلام):" **مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ: لَيِّنٌ مَسُّهَا، و السّمّ الناقه في جوفها،يهوي إليها الغِرّ الجاهل،و يَحذرُها ذو اللب العاقل**)[3] النوذمج السابق ما يؤكد ذلك ففي بداية الوصية، يعتمد رضي الله عنه على تقديم النصائح (**أوصيكما بتقوى الله ، و أن لا تبغيا الدّنيا و إن بغتكما . و لا تأسفا على شيء منها زوي عنكما . و قولا للحقّ و اعملا للأجر ، و كونا للظّالم خصما و للمظلوم عونا . أوصيكما و جميع ولدي و أهلي و من بلغه كتابي ، بتقوى الله ، و نظم أمركم ، و صلاح ذات بينكم**) ليقدم الإمام بعده الحجة و الدليل كقول((**فإنّي سمعت جدّكما ﷺ يقول « صلاح ذات البين أفضل من عامّة الصّلاة و الصّيام »**) أَمَّاالتمثيل فيظهر في قوله رضي الله عنه:(**مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ: لَيِّنٌ مَسُّهَا، و السّمّ الناقه في جوفها،يهوي إليها الغِرّ الجاهل،و يَحذرُها ذو اللب العاقل**).

289:

28:

448:

و من خطب الرسول ﷺ بعد الهجرة،و هو فيها يتطابق مع آي القرآن الكريم التي كانت تنزل عليه إذ نراه تارة واعظا،وتارة مشرّعا، وقد يجمع بين الطرفين من الوعظ و التشريع في نسيج بلاغي هو في قمة الروعة البيانية بعد القرآن الكريم ،إذ يقول ﷺ في أول خطبة جمعة له بالمدينة المنورة :**"الحمد لله أحمد ه و أستعيته و أستهد به و أومن به و لا أكفره و أعادي من يكفره، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أن محمدا عبده و رسوله،أرسله بالهدى و الموعظة على فترة من الرسل و قلة من العلم و ضلالة من الناس و انقطاع من الزمان و دنوّ من الساعة و قرب من الأجل .**

من يطع الله فقد رشد ، و من يعصهما فقد غوى و فرط و ضلّ ضلالا بعيدا. و أوصيكم بتقوى الله ، فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن أن يحظه على الآخرة و أن يأمره بتقوى الله، فأحذروا ما حذركم الله من نفسه، و لا فضل من ذلك نصيحة، ولا فضل من ذلك ذ كرا ، وأن تقوى الله لمن عمل به على وجل و مخافة من ربه،عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة ....فاتقوا الله في عاجل عاجل أمركم و آجله في السر و العلانية(ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته و يُعظّم له أجرا و من يتق الله فقد فاز فوزا عظيما ، وأن تقوى الله يوقّي عقوبته و يوقىّ سخطه ..." [1] و مثل هذه الخطب النيّرة كثير ،ففيها تتضح خصائص أسلوب الخطابة عند الرسول ﷺفي دقة حسن منطق الرسول،فلا سجع و لا غريب اللفظ ، و قد وصف الجاحظ بلاغته في خطاباته أدقّ وصف، فقال :"إنه جانب أصحاب التقعيب(التعقيب هوالتكلم بأقصى قعر الفم) و استعمل المبسوط موضع البسط و المقصور موضع القصر ، وهجر الغريب الوحشي و رغب عن الهجين السوقي،فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة،لم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمةوشيد بالتأييد، و يسر بالتوفيق، و هو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة،و غشاه بالقبول و جمع له بين المهابة و الحلاوة، و بين حسن الإفهام و قلة عدد الكلام،مع استغنائه عن إعادته و قلة حاجة السامع إلى معاودته. و لم تسقط له كلمة،و لا زلت له قدم،و لا بارت له حجة،و لم يقم له خصم و لا أفحمه خطيب،بل يبذ الخطب الطوال بالكلم القصار، ولا يلتمس إسكات الخصم،إلا بما يعرفه الخصم،و لا يحتج إلا بالصدق،و لا يطلب الفلج،(الفوز) إلا بالحق،...و لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا و لا أقصد لفظا و لا أعدل وزنا، و لا أجمل مذهبا و لا أكرم مطلبا ، و لا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا، و لا أفصح معنى، و لا أبين في فحوى،من كلامه ﷺ فمن هذه الخطب النيّرة التي تتلألأ كالنجوم في سماء الصحابة، يهتدون بها في المعاني ، و يترصعون بها في

[1] ـ تاريخ الأدب العربي، شوقي ،ضيف،ص:116

الأسلوب خاصة الإمام علي الذي تربّى في المدرسة المحمدية فسرى في نفسه بيان القرآن الكريم بترغيبه و ترهيبه ، بتحذيره و تبشيره ، و بمواعظ و بيان الرسول و تشريعاته " .[1]

IV- تناص أسلوب الحكم مع التراث:

1- التناص مع التراث الشعري:

إن النص النثري للإمام عليّ بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ اكتسب فوائد عظمى من الثقافة القرآنية و الأحاديث النبوية ، في المضمون و الأسلوب ــ كما سبق الإشارة إليه ــ إلا أن الإمام علي كان أيضاشاعرا بطبيعته و يستشهد بالشعر. و "هو أشعرمن عمر وعثمان و أبي بكر ــ رضي الله عنهم ــ ."[2] و هذا دليل على أن الإمام ــ بلاشك ــ قد تناصت أذنه مع موسيقى الشعر أيضا،و الذي أجاد قوله،و ديوانه الشعري شاهد على ذلك ولكون الشعر و موسيقاه ، و قوافيه كانت معروفة في العصر الجاهلي ،و صدر الإسلام، فإنّ تأملنا لنهج البلاغة نجد أن الإمام علي كان تناصصه مع الشعر و أن كان قليلا، إذ لم تتجاوزثلاثة عشر مقطوعة و في مجملها ثمانية عشر بيتا في نهج البلاغة كله،و غالبا ما يقطتع من البيت شطره الذي يخدم أسلوبه و مضمونه خاصة ،إذ يرى الإمام أن القرآن و الحديث النبوي السند القوي و النور الذي ما بعده إشراق ،ومن أمثلة ما جاء من الشعرفي قوله: ".. فإن كان الذنب إليه إرشادي و هدايتي له، فربَّ ملوم لا ذنب له:

××× و قد يَستفيد الظّنّة المتنصّح"[3]

.

فقد إستشهد بشطر واحد من البيت ما يخدم دلالات النص و استغنى عن شطره الأول :

"و كم سقت من آثاركم من نصيح××× و قد يَستفيد الظّنّة المتنصّح "[4]

وقوله عليه السلام:"و ذكرت أنه ليس لي و لأصحابي إلا السيف، فلقد أضحَكتَ بَعدَ استبارِ ، متى ألفيت بني عبد المطلب عن الأعداء ناكلين، و بالسيوف مًخوّفين :

لبث قليلا يَلحقُ الهيجا حَمَلْ ×××..

نجد الإمام علي قد اسشهد بشاعر جاهلي و هو ابن بدر رجل من قشير أغير على إبله في الجاهلية فاستنقذها و قال: **لبث قليلا يَلحقُ الهيجا حَمَلْ ×××لا بأس بالموت إذا الموت نزل**

---

1 - م ن ،ص:121

2 ــ تاريخ الخلفاء: السيوطي ، ص:133

3- نهج البلاغة، الإمام علي، شرح محمد عبده،خ:269ص:356

4 - م ن ،خ ن ،ص ن

و من هنا نستخلص أن الإمام علي نظرا لقوة الذاكرة التي و هبها الله له ، و سرعة البداهة فهو يستحظر الشواهد الشعرية أيضا فيحورها بما تتلاءم و مباده الإسلامية ،و فيضفيها إلى أسلوبه بعد أن ترصع بمختلف الآيات و الأحاديث ، لكن له ميزة في استحظار هذه الشواهد الشعرية و توظيفها حسب المتلقي(المرسل إليه) و السياق الذي جاءت فيه ، إذ نجدها خاصة في الرسائل الموجهة لخصومه، بما فيها معاوية ،إذ نلاحظ في رسالة واحدة وظف ثلاثة أبيات شعرية من مجموع ثلاثة عشر توظيفا في نهج البلاغة كله.

2- التناص مع التراث النثري:أما في أسلوب التراث النثري من الخطب و الوصايا و الحكم و الأمثال و التي كانت معروفة أيضا في العصر الجاهلي ، و إن كانت أقل شأنا من الشعرفإننا نجد الإمام علي قد تناصص مع بعض أساليب التراث الجاهلي خاصة في الجمل القصار،فالإمام منفتح على النصوص الخارجية، فالتداخل النصي، ظاهرة فنية جلية ،يعمل على الأخذ من النص السالف الغائب، فيضفي عليه اشراقة و توهّج ، خاصة و أن حكيما كالإمام علي مطالب بأن يحيا عصره،و يطّلع على عصر غيره، فيطعم عالم الحكم و المواعظ بشتى الروافد الثقافية بشرط مسايرتها للشريعةالإسلامية ،وللحكم أهمية كبرى من الناحية البلاغية، و الحضارية و التربوية و الجمالية،اضافة أنها تضاعف قِواها في تحريك النّفوس لها،و تدعوا القلوب إليها،فإن كان حجاجا كان برهانه أعظم،و أوضح، و سلطانه أقهر، و بيانه أبهر من كل أسلوب إذ قال تعالى:﴿و تلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾[1]إضافة لما للحكم من وظيفة تربوية ، فهي خلاصة تجارب إنسانية، تساهم في تهذيب الأجيال ، و تقويم الأخلاق ، و الإمام علي له من هذه التجارب،الشيئ الكثير ، بما استوعبه من المدرسة المحمدية ، و بما حفظه من أشعار سابقيه و بما استخلصه من أحداثه و أحداث سابقيه و قصصهم - كما سبق الإشارة إليه - فيرد في تلاقح و تفاعل التجارب السابقة مع تجارب الإمام علي،أو هو تفاعل بين نص قديم (النص الغائب) و (النص الجديد الماثل)،فيتمدد النص الماثل في إشارات و دلالات النص القديم و يضيف إليه ليمنحه حياة جديدة الحضور و الغياب في تداخل دلالي و إشاري ،و جمالي و أسلوبي. و قد عرفت الحكم و الأمثال قبل الإسلام عند كثير من الأمم، و حتى عند العرب فالبيت الشعري أو حتى عجزه،هو بمثابة مثل أو حكمة عندهم لاعتماده على وحدة البيت ، و قصره و تآلفه،و

[1] سورة الحشر، الآية:21

إضفاء النغم الموسيقي عليه المستمد من تآلف الألفاظ و الحروف ، و من السجع المرسل العفوي، و تلك أصول معروفة في الجاهلية حتى يتسنى حفظ ما قيل،و قد كانت حكم الإمام علي في الجمل القصار تتقارب ، مع هذه الخصائص،و هي من القرآن أقرب وأكثر.و من أمثلة ذلك قوله عليه السلام:"**لو رأى العبد الأجل و مصيره،لأبغض الأمل و غروره**"[1] فتوازن الفقرات وتناغم فواصلها واضح في حكمه"**الداعي بلا عمل كالرامي بلا و تر**"[2]"**رب قول أنفذ من صول**"[3] و قوله:"**المنية و لا الدنية، و التقلل و لا التوسل، ومن لم يعط قاعدا، لم يعط قائما**"[4] فالخصائص الفنية بارزة في حكم الجمل القصار عند الإمام،بما هو معروف في ما قبل الأسلام ، كحكم لقمان،أو أقوال الحكماء في الجاهلية.أو كغيرها عند الأمم الأخرى كالفرس، خاصة و أن اللغات الشرقية بما فيها اللغة العربية تساعد على إنشاء مثل هذه الصيغ كما سبق الإشارة إليه في مبحث الحكم.الإيجاز و حسن الإختصار،فمن طبيعة العربي أنه يكره الشرح و التفصيل، و يكتفي بالإشارة،و يحذف كل ما هو واضح من سياق الكلام دون ذكره.

<u>مخطط بياني يبين النص السابق (الغائب) و النص الماثل في نص الحكم و المواعظ لنهج البلاغة:</u>

[1] نهج البلاغة،الإمام علي،شرح محمد عبده،الحكمة355ص:484

[2] م ن ،ح357ص464

[3] - م ن ،ح415،ص:494

[4] - م ن ، ح417،ص:494

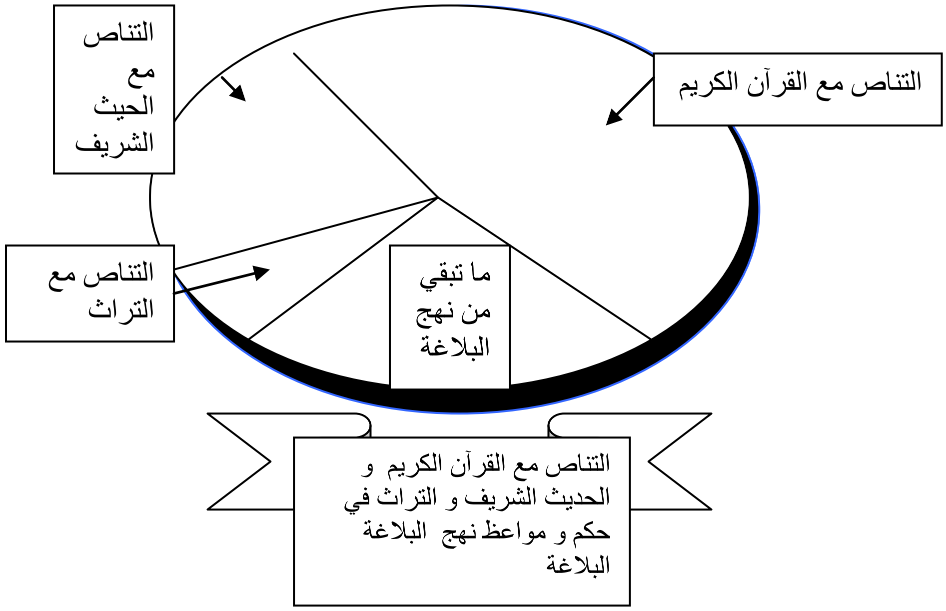
التناص مع الحيث الشريف
التناص مع القرآن الكريم
التناص مع التراث
ما تبقي من نهج البلاغة
التناص مع القرآن الكريم و الحديث الشريف و التراث في حكم و مواعظ نهج البلاغة البلاغة

:

و انسجام في معناه و مبناه،و هو ممتع لما يتيحه للبصر و السمع أو الشم أو اللمس من لذة ، و قد تكون المتعة في حاسة واحدة أو أكثر،يقول تعالى : ﴿ و **الأنعام خلقها لكم فيها دفء و منافع ومنها تأكلون،و لكم فيها جمال حين تريحون و حين تسرحون**﴾"[1] ، فالتناص يمتلك جماليات كثيرة و متعددة يسعى إلى تحريكها في المجال الأدبي و اللغوي، وتكتنزنصوص اللغة العربية من هذه الجماليات ما لا يعد ولا يحصى،وذلك لاحتوائها على أساليب متنوعة ،يسمح لها بالتعبير عن المشاعر والحاجات والمقاصد،و خاصة أنها لمست من التطورالكثير،حتى انتهت إلى احتواء القدرة على الإبداع و ضُرب بها المثل في البيان و في أشكاله الجمالية ،هذه اللغة التي تمتلك من الثروة اللغوية و الثقافية و التاريخية

و الدينية، ما يجعلها تمتلك من وسائل استحضار النصوص الغائبة في النصوص الماثلة الكم الهائل والتي وجدنا لها بعض الحضور في نصوص نهج البلاغة ،وفي هذا الشأن قال أبو العباس: "من كلام العرب الاختصار المفهم، والإطناب المفخم، وقد يقع الإيماء إلى شيء فيغني ذوي الألباب عن كشفه." [2] فالكلمة في العربية ذات ظلال وإيحاءات كثيرة؛ إذ تعبر عن الحقائق كيفما كانت وفي أي اتجاه اتجهت، فكيفما قلبتها لبَّت لك ما تبتغي، و نحن لو تأملنا في هذا المثال للأمام علي: **(أوا ليس لكم لكم في آثار أولكم مزدجر، و في آبائكم الماضين تبصرة و معتبر إن كنتم تغفلون؟ ! ..)**"[3].إن تأملنا لهذه الحكم تبصرنا أن الإمام يذكرنا بأن الكثير من الأحداث تتشابه و تتكرر، وهو بهذا ـ رضي الله عنه ـ يريد أن نستخلص العبرة من السلف، و أن نتذكر الماضي،والإستفادةمنه.

2ـ **جمالية الإقتباس :** للإقتباس أهمية مشهودة في السمو بأساليب المقتبسين، و رفعة فنون قولهم، لأن المقتبس من القرآن الكريم الذي هو أعلى رتبة في البلاغة، و الأخذ بحديث النبي الكريم ـ و هو أفصح العرب ـ ، يزيد قدر ثمار قريحته ،و يزينها بأجمل العبارات و أبلغ الصياغات إضافة لما له من تأثير قوي على القارئ؛ فتشكل نصية القرآن الإعجازية- بكلياتها العلمية والغيبية والأدبية- حضوراً دلالياً في الوعي الفلسفي والديني والنقدي، ولعل ما يميز حضورها هذا ،هو

6

17

145:

نوعية الأسئلة التي تثيرها بوصفها مرجعية أدبية وفنية خالدة ،الأمر الذي يجعلها خاضعة دوماً لجدلية المقاربة والمدارسة. وبذلك يظل حضوراً سرمدياً ؛ يتردد صداه في دواخلنا ليس بدافع ديني أو أخلاقي فقط ، وإنما بوصفه النص المعجز، الذي صنع من الذهنية العربية أمة تحمله إلى الإنسانية قاطبة. لذلك كان من الطبيعي أن يعنى المهتمون به، محاولين فهمه وتفسيره ومعرفة خباياه، واستكشاف مقدراته الجمالية الإعجازية. وبمقتضى ذلك، أصبح محوراً لأهداف التفكير والتأليف في الأمة ،وينبوعاً للكثير من جداول ثقافتها ،إنه الكتاب المجسد للظاهرة الجمالية والفنية على حد سواء.فالعودة إلى هذه المرجعية المقدسة وتقديمها على أساس أنها باعثة ،تنهض على وتيرة استدعائية وإلى فضاءات أرحب، تعامله بوصفه خطاباً مفتوحاً على التوالد، ينبغي استدعاؤه بما هو متصور ذهني محكوم بضوابط إيمانية وأخلاقية ،بدءاً بالهزّة الأدبية الإعجازية، التي أحدثها هذا المتن الذي كان تحولاً في حياة العرب الأدبية. وطالما قرأنا أخباراً عن تأثر سلاطين البلاغة وأرباب البيان بالنص القرآني. ولعل أعلام العصور الأولى يكونون قد استشعروا هذا الطرح ،حيث روي عن ابن مسعود أنه قال:" من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن"[1] فالإقتباسات التي و قعت حول هذا المعطى الجمالي المجسد في المتن القرآني، والتي كان وراءها أدباء و شعراء اشتهروا باقتباساتهم له ،كانت في معظمها لم تتجاوز حدود الاستحضارات البلاغية من بيان وبديع ، و توظيفها في أساليبهم ، إلا أن الإمام علي قد استفاد من القرآن الكريم ليس في التأثرالبلاغي و الأسلوبي فحسب ، بل تجاوز ذلك ولأول مرة بعد الرسول ﷺ،في استحضار معجزات القرآن و الإستدلال بحكمه ، واستنباط مدلولاته من خلال التأمل العميق لمعانيه ،كما أن معايشته للرسول ـ ﷺـ ألهمته منهجية في التربية و التعليم و الوعظ، فتمكن من إضفاء جماليات المعنى إلى جماليات المبنى،فظهرت نصوصه غاية في الجمال و الإبداع،و غاية في الإستدلال العقلي ،تمكّن من خلال ذلك بالرد على معظم الفرق الضالة من الأمم السالفة آنذاك

و إقناعهم بالمنهج الربّاني الصّادق ،كما بيّن لهم مفاسد أفكارهم من غير الدخول في متاهات فلسفية كالتي عرفها العصر العباسي أو ما بعده.و قد قال الإمام علي:"في القرآن نبأ ما قبلكم و خبر ما بعدكم، و حكم مابينكم"[2]

3 ـ جماليات التضمين: و جمال التضمين مرتبط بالنص و طبيعته، شعرا كان أو نثرا،و خاصة

2001 –

220

الجانب النفسي. إنه ذلك القبول الذي يشعر به المتلقي ،و هو يعايش نصوص الإمام علي ،و حكمه و مواعظه، من خلال التضمين، فالعقل يجد متعة في الإقتناع،و الرضى بما منحه من الحجة و البرهان خاصة إذا كان هذا الإستدلال من أعظم كتاب مقدس وهو القرآن الكريم، و ما يحمله من أثر في نفوس المسلمين،ليأتي الجانب الفني المتمثل في أسلوب الإمام علي، و لغته التي استمد معظمها من أساليب القرآن، و الحديث الشريف ـ كما سبق الإشارة إليه ـ . يقول الدكتور منير سلطان"الجانب الفني لا يختلف عن الجانب النفسي للتضمين، و هما معا يجسدان الجمال،الذي هو من أهداف العمل الفني،لا يختلف أحدهما عن الآخر"[1] فالتوصيل و التواصل أمر حيوي ، وبذلك يتم التواصل بين المبدع و قارئه.فيتم الرضى وتتم المتعة.بين الطرفين ، ومن كلام له (عليه السلام)**:** للسائل لما سأله**:"** أكان مسيرنا إلى الشام بقضاء من الله وقدر؟ بعد كلام طويل هذا مختاره**:"طوَيْحَكَ! لَعَلَّكَ ظَنَنْتُ قَضَاءً لاَزِماً، وَقَدَراً حَاتِما !وَلَوْ كَانَ ذلِكَ كَذلِكَ لَبَطَلَ الثَّوَابُ والْعِقَابُ، وَسَقَطَ الْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ.إنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ عِبَادَهُ تَخْيِيراً، وَنَهَاهُمْ تَحْذِيراً، وَكَلَّفَ يَسِيراً، وَلَمْ يُكَلِّفْ عَسِيراً، وَأَعْطَى عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيراً، وَلَمْ يُعْصَ مَغْلُوباً، وَلَمْ يُطَعْ مُكْرِهاً، وَلَمْ يُرْسِلِ الاْنْبِيَاءَ لَعِباً، وَلَمْ يُنْزِلِ الكُتُبَ لِلْعِبَادِ عَبَثاً، وَلاَ خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالاْرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً، ﴿ذلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾**" [2]

إن تأملنا للحكمة السابقة ، نجد متعة الإقناع واضحة في تضمين الإمام علي المتمثل في الأسلوب الفني من الإيقاع و الجرس الموسيقي ،إلى قصر العبارات إلى سلاسة اللغة، و انسيابها إلى الأساليب الخبرية و الإنشائية إلى الحوار و مخاطبة العقل، والإستدلال بالحجة في تضمين الإمام لألفاظ القرآن الكريم و لآياته. كقوله: ﴿ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار﴾"[3]كل ذلك يعطي هذا القبول ثم المتعة التي يشعر بها المتلقي في جانبيه النفسي و الفني.

4 ـ الإحالة: وهي أن يحيلنا الشاعر أو الأديب على تاريخ ، أو ثقافة أو حضارة ما، باستخدام الإشارة أو التلميح أو التصريح. وهي مستخدمة في التراث العربي منذ القدم ، فقد عمد إليها الجاهليون في بناء قصائدهم ،كما أشارإلى ذلك إبن رشيق حيث قال: "و من عادة القدماء أن يضربوا الأمثال في المراثي بالملوك الأعزة والأمم السابقة"[4] ، و قد فسر وأضاف إليه حازم

190

440

27:

150

القرطاجني من خلال تقسيم الإحالة إلى "إحالة تذكر و إحالة محاكاة أو مفاصلة أو إضافة."[1]
يقول رولان بارث: "إننا لنعرف الآن أن النص ليس سطرا من الكلمات ينتج عنه معنى أحادي أو ينتج عنه معنى لاهوتي ((رسالة)) جاءت من قبل الله ، ولكن فضاء لأبعاد متعددة ، تتزاوج فيها كتابات مختلفة و تتنازع، دون أن يكون أي منها أصليا ؛فالنص نسيج لأقوال ناتجة عن ألف بؤرة من بؤرالثقافة "[2] ، و قد وضح محمد مفتاح شروط الإحالة التاريخية في قوله:"الإعتماد على المشهور لاستخلاص العبر من السلف، و لتجنب الوقوع في المهالك ،و فيما وقعوا فيه من أخطاء و الإبتعاد عن الأضرار."[3] و نجد في نهج البلاغة نماذج كثيرة للإمام علي ـ رضي الله عنه ـ في الإحالة التاريخية منها في أول قصة له في نهج البلاغة (في خلق آدم) و قد سبق الإشارة إليه فتذكير الإمام علي للنبي أدم ،يحيل المتلقي إلى مدلولات معينة ك :الأب الأول ، و أصل الإنسان ،و خلقه من طين ،و تفضيل الله للإنسان عن بقية مخلوقاته و الأمر بالسجود له، وعن عصيان الشيطان لربه..فالإمام يحيلنا إلى قصة آدم و ما فيها من جماليات و إن كانت هذه الإحالة جمالية من جماليات التناص ، فإن من جماليات الإحالة هي ما تتوفر عليه من الإيجاز، و أثر ذلك على المتلقي. قال الإمام علي في وصية إلى ابنه الحسن و الحسين:" **أي بني! إني وإن لم أكن عمرت عمر من كان قبلي، فقد نظرت في أعمالهم وفكرت في أخبارهم وسرت في آثارهم، حتى عدت كأحدهم، بل كأني بما انتهى إليّ من أمورهم، قد عمرت مع أولهم إلى آخرهم، فعرفت صفو ذلك من كدره ونفعه من ضرره فاستخلصت لك من كل أمر نخيله وتوخيت لك جميله وصرفت عنك مجهوله"**.[4] و كان المثل يقول من عرف تاريخ أمة ،أضاف إلى عمره عمرا.

5 ـ الإيجاز: وإذا خاطب أرباب البيان جعل الكلام مبنياً على الإشارة والإيحاء والحذف. وهي تقنية فنية تميزت بها الخطابية العربية، وقد يصبح الحذف أو الاختصار أو الإيجاز دالاً على مفهوم البلاغة عند العرب.إذ يمكن اعتبار الإيجاز من أهم جماليات التناص ،بما يقدمه من خدمات تقربنا من حضارات بكاملها، فهو كما يقول محمد مفتاح:"يوجب الشاعر استقصاء أجزاء الخبر" [5] كقول الإمام علي في استذكار زهد عيسى(عليه السلام):"**وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ(عليه السلام) فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ، وَيَلْبَسُ الْخَشِنَ، وَكَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ، وَسِرَاجُهُ بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ، وَظِلاَلُهُ فِي الشِّتَاءِ مَشَارِقَ**

221
215:
128
.67
128

الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، وَفَاكِهَتُهُ وَرَيْحَانُهُ مَا تُنْبِتُ الأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ، وَلاَ وَلَدٌ يَحْزُنُهُ، وَلاَ مَالٌ يَلْفِتُهُ، وَلاَ طَمَعٌ يُذِلُّهُ، دَابَّتُهُ رِجْلاَهُ، وَخَادِمُهُ يَدَاهُ !"[1] و الإمام علي قد استلهم من قصص الأنبياء ك: آدم و موسى و عيسى و محمد عليهم السلام الوعظ و الإرشاد، و اتباع السلف الصالح وذكّرنا بفرعون و ما آل إليه ،بسبب مناكره و تكّبره، و الإمام بذلك يحيلنا إلى أسماء لم تتوقف الألسن عن ترديدها، و لا الذاكرة الفردية و الجماعية من تخزينها ، والإمام بذكر هذه الشخصيات فهو يحيل المتلقي إلى استرجاع ما مارسه في ذهنه من أحداث سلبية أو ايجابية، لأخذ العبرة بذكره بإيجاز، لتتم عملية الإسترجاع الكلي فالإحالة و الإيجاز لهما دور كبير في جمالية التناص وبلاغته ،وهذا الإيجاز له أهمية منها ما يتمثل في خلود النص. "فالنص يبقى دائما نصا،إنما الذي يتغير أو يموت هي قراءتنا ،لا سيما إذا كانت قراءتنا سلبية،و اللعبة في نظرنا بين الباث أو المبدع و المتلقي، أو القارئ ليست أكثر من لعبة زمنية صِرفة".[2]

6 - إشعاعية المرجع: إنه البحث في تداخل النصوص و تفاعلها و تحاورها ، فبعد دراستنا لنهج البلاغة، استخلصنا أن مرجعية الإمام علي في نصوصه ، استمد ظلالها من القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف و الواقع التاريخي و السياسي و الإجتماعي، إضافة إلى التراث الشعري، و إن كان تفاعله أكثر مع القرآن الكريم ،و في محاور عدة: (المعاني و المواضيع الأسلوب، الإستدلال والألفاظ و التراكيب، الإيقاع و الفواصل..) ، فقد جعل منها الإمام المنهل الذي لا يرتد عن الإرتواء منه، و الينبوع الذي لا ينضب. فهيمنت معانيه و أساليبه و ألقت بظلالها على أحكامه و مواعظه - رضي الله عنه -.أما الحديث النبوي فهو لا يختلف كثيرا عن القرآن الكريم في استلهام الإمام علي لمعانيه ، وأن الإستدلال به في صحة توجيهاته، و مواعظه و حكمه خاصة في منهجية التربية ،فقد ارتوى الإمام من مائه الزلال ، سواء في الإقتباس الصريح أو التناص الضمني،أم في أسلوب الإقناع والتمثيل.فأضفى هذا على نصوصه جماليات البيان والبلاغةوسموالمعاني وتأثيرها في المتلقي.

7- إحياء الذكرى: يعتبر النص المطعم بالتناص نص مفتوح، تصب فيه نصوص غائبة ، وذلك لما يستحضره من ذاكرته أمام القارئ، كقصص الأنبياء و أمم غابرة، فمن جمالياته إحياء الذاكرة على مجال واسع،"إن المعجم الذي يعتمد عليه المؤلف ليس موروثا مشاعا و حسب ، و إنما هو

214

124:

أيضا مخزون هائل من الإقتطافات و الإشارات التي تنبع من الثقافة و تؤسس بدورها هذه الثقافة"[1] وعليه فالكاتب أو الشاعر يجدد الذكرى و يحييها بكل ما تحمله من زخم و إرث حضاري، فلا مجال للحديث عن الكتابة من درجة الصفر،في كل هذه الحالات. و الإمام علي مارس على نصوصه ذاكرته بكل ما تحمله من زخم و إرث، إن لم نقل أن الإمام علي هو ذاكرة الأمة في جميع مجالاتها، إذ يقول.**في** موسى(عليه السلام):**وَإِنْ شِئْتَ ثَنَّيْتُ بِمُوسى كَلِيمِ اللهِ(صلى الله عليه وآله) إذْ يَقُولُ: رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْر فَقِيرٌ(، وَاللهِ، مَا سَأَلَهُ إِلاَّ خُبْزاً يَأْكُلُهُ، لاِنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الاْرْضِ، وَلَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِهِ، لِهُزَالِهِ وَتَشَذُّبِ لَحْمِه ".**[2]

وفي داوود(عليه السلام:**"وَإِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتُ بِدَاوودَ صَاحِبِ الْمَزَامِيرِ، وقَارِىءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْخُوصِ بِيَدِهِ، وَيَقُولُ لِجُلَسَائِهِ: أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا !وَيَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا_و في] عيسى(عليه السلام[(وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ(عليه السلام)، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ، وَيَلْبَسُ الْخَشِنَ، وَكَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ، وَسِرَاجُهُ بَاللَّيْلِ الْقَمَرَ وَظِلاَلُهُ في الشِّتَاءِ مَشَارِقَ الاْرْضِ وَمَغَارِبَهَا و في الرسول الاعظم(صلى الله عليه وآله:.وَلَقَدْ كَانَ(صلى الله عليه وآله) يَأْكُلُ عَلَى الاْرْضِ، وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ، وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ، وَيَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ، وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَ، وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ، وَيَكُونُ السِّتْرُ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ التَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ: «يَا فُلاَنَةُ ـ لاِحْدَى أَزْوَاجِهِ ـ غَيِّبِيهِ عَنِّي، فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وَزَخَارِفَهَا"**[3]

8- إثارة الذاكرة الشعرية: النص الجديد المكثف بالتناصات المتنوعة، له وقع خاص على المتلقي وذاكرته،فيحيي الذاكرة على مجال واسع،و بكل ما تحمله من زخم و إرث حضاري،ممتد عبر السنين،فيرتحل معها المتلقي المثقف و القارئ الذكي بعد استيعابها ،و نحن مع نهج البلاغة ،نتلقى مشاهد عديدةو متنوعة،عكستها أحداث تلك المرحلة ، بأحزانها و آلامها،بأفراحها و آمالها،بل هي كما يتلقاها محمد عبده:"بل كنت كلما انتقلت من موضع إلى موضع أحس بتغيّر المشاهد، و تحول المعاهد فتارة كنت أجدني في عالم يغمره من المعاني أرواح عالية، في حلل العبارات الزاهية تطوف على النفوس الزاكية، و تدنو من القلوب الصافية،توحي إليها رشادها،و تقوم منها مرادها...و أحيانا تتكشف لي الجمل عن وجوه باسرة(عابسة)، و أنياب كاشرة، و أرواح في أشباح النمور، و مخالب النسور..و أحيانا كنت أشهد أن عقلا نورانيا، لا يشبه خلقا جسدانيا، فصل عن

242:

214

214

الموكب الإلهي واتصل بالروح الإنساني، فخلعه من غاشيات الطبيعة، و سما به إلى الملكوت الأعلى."[1]

6:

I- المستوى النظري:

1 **- أهمية العلم في تطوير البلاغة العربية:** إن التطور العلمي المذهل لمختلف العلوم، و الفنون و تكاملها (اللسنيات ، الشكلية ،البنيوية، الشعرية، التفكيكية ..) لهذا العصر، ساهم مساهمة فعالة في تطويرمفهوم هذا المصطلح، الذي ساير أحدث ما وصلت إليه تكنولوجيا الإعلام عكس ما كان عليه النقد العربي القديم ، الذي انشغل بالجزئيات في حدود بعض الجمل الأدبية على أكثر تقدير وارتكازه على الوصفية التي حنطته. و لا يمكن لعلم البلاغة أن تتطور إلا بـ((العلم))الذي أخذ مكانها.ذلك هو سر التطور النقد الغربي،فالعلم لا يندثر إلا إذا حلّ محله علم آخر.

2- **أهميته التناص و وظائفه:** بعد توظيف التناص في نصوص حكم الإمام علي، تبيّن لي أن للتناص وظائف عدة ، لا تقتصر على حدود ما يحدثه من مسحة جمالية فحسب ،بل يتعدى إلى مساهمته في تشكيل النص إنشائيا و دلاليا يساهم في إيقاظ التداعيات في أذهان المتلقين و القراء فيصبح المتلقي أو القارئ مشاركا فعالا مع المبدع ، هذا الأخير الذي يصحبه معه في الإطلاع على الثقافات المتعددة ، ما كان المتلقي ليطلع عليها لولا هذا الحضورالإيجابي للتناص في نصوصه.

3 **- حتمية المثاقفة و التثاقف :**

ضرورة وجود (المثاقفة و التثاقف) بين التراث النقدي العربي و التراث النقدي الغربي للوصول إلى جوهر و لب النظرية التناصية ، حتى تعم الفائدة النقدية و الأدبية على حد سواء ،ففكرة تداخل النصوص لا تعني أن الكاتب أصبح غير مبدع أو مسلوب الإرادة، فهذا أبعد صور الحقيقة على مفهوم النظرية أو حالة الابداع و ما رأيناه مع الإمام علي (ض) خير مثال فسرالإبداع يكمن في طاقة الكلمة و حسن توظيف هذه الكلمة ، التي تستمد وجودها من المخزون اللغوي الهائل من الإشارات و الإقتباسات ، والتناصص ومن مصادر لا تحصى من الثقافات التي تعيش في داخل المبدع ،والذي حمله معها على مر السنين ، وتعاقب الحضارات،واستخدامها ببراعة المزج و التأليف .فتكوّن النص المبدع و جمال الكلمة في آن.

4 **- أهمية التناص في كل أبداع:**يعد التناص بمثابة الهواء لكل مبدع ،فأي نص فهو يخضع لخلفية معرفية ، و مرجعية ثقافية، و بقدر وجود الحفظ الجيد و الروافد السامية بقدر ما يكون الإبداع الراقي و الأدب الرفيع، فلا مجال لأدب من درجة الصفر.

II- **المستوى التطبيقي:**

1 - **في تطبيق الآلية التناصية**:

تطبيق الآلية التناصية على نصوص التراث ، كانت جد ايجابية ،و مجدية للغاية ،تحقق نفس الأهداف التي تتحقق في تطبيقها على النصوص المعاصرة. ومن هنا يمكن لنا تصحيح نظرة الكثير من الدارسين الذين يعتقدون أن هذه الآليات لا تليق إلا بنصوص معاصرة لها، وأنها غير مجدية لنصوص التراث.

2 - **وضوح التأثر بالقرآن الكريم:**

فلا جدال بأن القرآن الكريم هو الدستور الإسلامي الأوحد للأمة، و صوتها الأعلى و الذي لا يعلى عليه، منها **استمد الإمام علي نهجه و تحدد وجهه**،فقد استمد منه قصص الماضي و خبر الآتي و استدلى على وحدانية الله، و منه أخذ منهجه في التربية و الوعظ ،و هذا الذي ترك بالغ الأثر في وجدان كل مسلم ،و به حرك عقولهم و أنار دربهم.و وضع نهج البلاغة في أرقى المراتب

3 - **وضوح التأثر بالحديث النبوي الشريف**: كان للإمام بالغ التأثر بالحديث النبوي في معانيه و مبانيه وفي منهجه التربوي،و التعليمي، منه استمدى الحكم و المواعظ و الإستدلال و الإقناع

4 - **الدين(القرآن و الحديث)** :**المصدران الرئيسيان لحكمه و مواعظه رضي الله عنه** ، ينعكس على التجربة و على واقعه التاريخي و الإجتماعي فيبلورها، و يعطيها معناها، ذلك لأن عليا مؤمنا إيمانا مطلقا بالتقيد بالدين فهو مصدره و مرجعه ،فيقيس إليه الأفعال و الأقوال و الأفكار.فالصلة دائمة بين أحكامه و أمثاله وبين مرجعيته الدينية التي لا تنقطع.

تتجلى في **حكمه مثاليته، من تقيد بمبادئ الدين، و البعد عن المداراة**، والإلحاح على الصدق والتقوىفهو لا يخشى في الحق لومة لائم،و منه تكونت شخصيته،واكتملت ثقافته.

5 - **فوائد الحكم عند الإمام**: فإذا كان من المفيد أن تكون للإنسان آراؤه و أحكامه في الأشياء و الأحداث و الناس، **فالأجود عند الإمام هو أن يساعد الناس على تكوين آرائهم و صياغة أحكامهم. و كان له كل ذلك.**

- وإذا كان من المفيد إن كان الإنسان معلما،أن تكون له أفكاره العظيمة، **فالأجود عند الإمام هو أن يساعد الأخرين على توليد أفكارهم و على اكتشاف العظيم في ذاتهم و في ما حولهم و من حولهم.**

ـ و إذا كان من المفيد أن تهب الناس مما تملكه،فالأجود عند الإمام هو أن تعلمهم طريقة لكسب ما يفتقرون إليه إنها الحكمة"و هذا ما وجدناه عند الإمام ، و وجدناه في حكمه و أحكامه فقد كان رضي الله عنه ، في هذه الحكم التي ذكرناها، **الجيد و الأجود،المفيد و الأفيد في كل حكمه و وعظه.**

6 ـ **مستويات لغة النص عند الإمام**:

احتوت لغة الحكم و المواعظ في نصوص الإمام علي على خمسة طبقات،وهي:

أ ـ أسلوب الإمام علي **بخصوصياته**:

ب ـ أسلوب القرآن بإعجازه.

ج ـ أسلوب الحديث بإجازه و وضوحه.

د ـ أسلوب الشعر بشفافيته.

هـ ـ أسلوب الحكم و المواعظ بنواهيه و رجائه و أوامره .

7 ـ **أسلوب الامام علي بخصوصيته:**

ب ـ تخيّر المفردات يختار الإمام علي مفرداته حيث تنسجم من الناحية الصوتية، فتجيء خفيفة على اللسان لذيذة الوقع في الآذان، موافقة لحركات النفس، مطابقة للعاطفة التي أزجتها أو للفكرة التي استدعتها، فهو موجز على وضوح، قوي جياش، تام الانسجام لما بين ألفاظه ومعانيه وأغراضه من ائتلاف، حلو الرنة في الأذن و موسيقي الوقع. فالإمام عايش حياته مع اللغة،إلى أن تحولت الكلمات لديه إلى كائنات حية،مخزنة في ذاكرة الإمام ،تأتي في ومضة كلما استدعاها، فتتزاحم عليه عبارات و آيات قرانية و أحاديث و أشعارا و قصص، و أحكام فيختار منها الإمام ما يختار في تشكل أسلوبه ، بفضل ما حباه الله من ملكات و قدرات تجسدت في ذاكرة قوية ، و نباهة الفكر و سرعة الإدراك و حضور البديهة ،و خصوبة الخيال الإبداعي..كل ذلك مكنه من القدرة على إنشاء و تركيب صور ذات دلالات و وظائف جديدة فالإمام إذن لم ينطلق من العدم بل استند إلى معطيات موجودة في واقعه و روافده المشار إليها سابقا ، ذلك لأن المبدع ينتقي عناصر إبداعه من هذه المعطيات ليضعها في قوالب جديدة يكتشفها أو يبتكرها بتدخل الذكاء و مساعدة المخيلة و الترسبات الثقافية.

8 ـ **أسلوب الامام علي و نهج البلاغة:**

أسلوب الإمام علي لا يختلف في شيئ عن أسلوبه العام.و أن حكمه و مواعظه لا تحيد عن مبادئه وسيرته و أخلاقه،التي استمدها من مدرسة القرآن الكريم ،و مواقفه تنطبق مع ما تعلمه من الرسول ﷺ،بالإضافة إلى أن أقواله تتطابق و الأحداث التاريخية الواقعة في عهده.دليل على أن نهج البلاغة هو للإمام علي رضي الله عنه.و لا سبيل للتشكيك في نسبه .

هذه خاتمة أهم النتائج المتوصل إليها في رحلتي الشاقة و الشيّقة مع هذا الموضوع، و في هذه المحطة العلمية،التي ـ و بلا شك ـ تحتاج إلى محطات أخرى ،نظرا لثراء الموضوع وتنوعه.أتمنى أن تكون هذه النتائج بداية لعمل أوسع،و بحث أدق ، و أن أكون قد و فقت في الدفع بالموضوع إلى فتح أفق أخرى من آفاق البحث العلمي للباحثين في هذا الإتجاه ،و في مثل هذه المواضيع بتوظيف الآلات النقدية الحديثة،في نصوص التراث." **فمن إجتهد و أصاب فله أجران ومن إجتهد و أخطأ فله أجر واحد"**

ـ القرآن الكريم:

)

.

2007

)

(

)

1980

)

2007:

1983.

(

2005

(

2006

(

(

2007

2007

1989

(

(

:

(

1985

(

(

(

(

(

.

(

2007

(

1993

(

2007

2005

2004

(

(

(

2001

(

(

1987

1996

(

.

(

(

1984

2003

1979

1982

(

(

1958

(

1989

2005

:

2004 :

2007

1997

2001 :

6. ـ القاموس المحيط للفيروز أبادي ،المطبعة الأميرية،القاهرة،1981

:

(

.1995

(

1997

1992

1995

1994

(

2003

(

1997

1985

(

1997

2005

.1997

(

2002

المراجع الأجنبية:

1- dictionnaire hachette encyédique édition 2002 spademLadagp paris

2-dictionnaire encycopédique , édition phitippe auzou,paris2005,

3le petit LAROUSSE illustrré(2006)paris

4-ferdinad de saussure enag1990 , cours de linguistique generale ,ouvrage présenté par dalila morsly -

5-émil benveniste problemes de linguistique générale,1éd.galimard,1966-

:

35

:

.

.

.

:

2000/1999:

2005

ملخص المذكرة:

1- باللغة العربية

2- باللغة الفرنسية

3- باللغة الإنجليزية

الملخص:

هذه المذكرة الموسومة بـ:(جماليات التناص في حكم الإمام علي ـ دراسة تطبيقية في نهج البلاغة ـ) هدفها البحث عن عناصر الإبداع واكتشاف الأسرار الكامنه وراء تربع حكم نهج البلاغة ـ بعد القرآن والحديث النبوي ـ على الفصاحة و البيان لكل هذه القرون .و لكون الإمام علي فتح عينيه على الإسلام ، و تربى في في كفالة الرسول ﷺ واستنشق الهواء النوراني من المدرسة المحمدية، ستكون لهذه المدرسة بالغ التأثير،في أسلوبه و معانيه ، و في رفعته و سموه.إضافة إلى ما لقاه بعد وفاة الرسول (ﷺ)من أحداث ، ومنه أرى أن الموضوع جدير بالتناول، لما فيه من تنوع في المفاهيم و ثراء في التوظيف، على المستويين الفضائيين: النظري والتطبيقي.

ومن هنا كانت محاولتي منصبة في هذا البحث عن تتبع التشكيلة التناصية ،على المستوى الشكلي و الدلالي، و استكشاف القيمة الجمالية تبعا لمستوى تعامل النص الحاضر (حكم الإمام علي في نهج البلاغة) ،مع النص السابق (الغائب) القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والتراث، وهذا يتطلب دراية ومعرفة عميقة بحقيقة هذه النصوص المتعالية (النصوص السابقة)،على مستوى المعنى و المبنى ، من ثمّة ما كان هذا الهدف ليتحق لولا، وجود المدارس النقدية الحديثة و خاصة آلية التناص التي تساعد و تساهم في هذا الإكتشاف،مدعمة في ذلك بمجموعة من المناهج الحديثة

و على أهم أعلامها منها: (جوليا كريستيفا)، (جيرار جينيت)،(رونال بارث)،(عبد القاهر الجرجاني)، (محمد مفتاح)، (عبد المالك مرتاض)..، لنخلص بعد ابراز تجليات هذا التوظيف في حكم الإمام في نهج البلاغة بشقيها العقائدية و العملية،إلى أهم النتائج المتوصل إليها في المجال النظري و التطبيقي وإبراز عناصر الإبداع في لغة الإمام علي، ومستويات هذه اللغة ،كان لكل هذه العناصر و الروفد بالغ الأهمية في سموأسلوب ولغة الإمام قلبا و قالبا.

Résumé

Notre recherche intitulée « Esthétique intertextuelle » dans les maximes de l'Imam « ALI »,fondant son ouvrage illustre « Chemin de la Rhétorique »-a fait l'objet d'une étude pratique dévoilant les facteurs de la créativité sublimant l'écriture à un rangprestigieux la situant après le Saint Coran et la Tradition Prophétique.

Une telle entreprise de dévoilement n'est rendue possible que par l'apport théorique des Ecoles de Néo-Critique,notamment la technique intertextuelle formalisée par d'éminents critiques et théoriciens,en l'occurrence « Roland BARTHES », « Julia KRISTEVA », « Gérard GENETTE », « Ibn KHALDOUN », « Ibn RACHIQ », Abdelkader EL-JORJANI", "Mohamed MEFTAH"…

Notre approche analytique est,à fortiori,multiple quêtant à l'émergence des contiguïtés intertextuelles-tant sémantique que discursive-,manifestées dans l'œuvre illustre de l'Imam,lui,qui s'est abreuvé aux sources magnanimes du prophète-QSSSL-mécène exemplaire de la piété,la rectitude et de l'éloquence !

En somme,nous aboutissons au constat que « Chemin de la Rhétorique » est,en proportions congrues,une ambition foncièrement concrétisée par une expression simulant le sacré et le prophétique !

Summary

Our research entitled " Intertextual Esthetics" on the idioms "Holy Sayings" which is based in the book "Path of Rhetorics". This theme had been submitted to a pratical and meticulous study.This latter,had permitted to reveal the most important factors "headlines" of creativity which promate writing in turn positively.

The best illustration of what had previously been said is the Holly Coran and the prophetic texts.

This enterprise hadn't been possible without the effective contributions of the different Schools so called neo-criticism theories must particularly the role played by theories of intertextuality.The impact of these theories had been crucial. Among the must notable leaders of the new criticism,we would cite the following : "Roland BARTHES", "Julia KRISTEVA", "Gérard GENETTE", "Ibn KHALDOUN", "Ibn RACHIQ", "Abdelkader EL-JORJANI", "Mohamed MEFTAH", " Abdelmalek E L URTAD",who had been of a valuable help in our research. Our analytic approach of multiple aspects had allowed an emergence of common understanding "semantics" and stylics.The prestigious discible of prophetic sayings of Mohamed"peace be upon him" had enormously served as an authentic teaching mode.The messenger Mohamed PBUH had eternally been a source of inspiration in terms of spirituality and eloquence for ALI,his gender!

المقدمة.. أ،ب،ج،د،ه
المدخل: **مفهوم التناص في الدراسات النقدية** :
I- مفهوم النص و التناص في الدراسات النقدية الغربية:
1- مفهوم النص : ص:4
2- مصطلح التناص في رؤى النقاد الغربيين:........................ ص:6
II - مفهوم النص و التناص في الدراسات النقدية العربية:
1-المفهوم اللغوي للنص و التناص في التراث العربي:................ ص:14
2- التناص في النقد العربي القديم:................................. ص:15
3-إبن خلدون و نظرية الحفظ:... ص:23
4- النقاد العرب المعاصرون و النقد الحداثي:.......................... ص:25
5- النقاد العرب المعاصرون و التناص:................................ ص:27
III- التناص وظائفه و مفاهيمه:
1-مظاهر التناص:.. ص:32
2-مستويات التناص:.. ص:34
3- أنواع التناص:.. ص:35
4-تناسل النصوص:.. ص:36
5- الخطوات الإجرائية لكشف التناص:.................................. ص:36
6- المفاهيم التناصية:... ص:38
7- أشكال التناص:.. ص:39
8 - أنواع التناص:... ص:40
الفصل الأول: **الإمام علي و روافده الثقافية و أثاره في نهج البلاغة:**
-المبحث الأول: في روافد للإمام علي (ض):
I- روافد الإمام علي(ض) في عهد الرسول(ص):........................ ص:46
1-شرف الأصل:.. ص:46
2-صفات الإمام و أخلاقه:.. ص:47
3-الروافد الدينية للإمام:.. ص:48
4-روافده من مصادر الأدب الإسلامي:................................... ص:49
5-روافده من الحديث الشريف:.. ص:54
6- إلتزام الإمام علي بالمنهج المحمدي:................................... ص:55
7- علوم الإمام علي :... ص:57
8-شهادة الإمام في فضائله و علومه:...................................... ص:58

9- شهادة الرسول(ص) في فضائل الإمام:.....ص:60
II - الإمام علي بعد وفاة الرسول (ص):
1- الإختلاف الذي وقع بعد الرسول (ص):.....ص:62
2- الإمام علي و الخلفاء الثلاث:.....ص:62
3- ظروف انتخاب الإمام علي:.....ص:64
III - في خلافة الإمام علي
1- أول أعماله:.....ص:66
2- واقعة الجمل و معركة صفين.....ص:66
3- الإمام علي و الأفكار الوافدة في عصره:.....ص:66
4- مقتل الإمام علي (ض):.....ص:70
5- شهادة المتلقي في شخصية الإمام علي:.....ص:71
6- ماقيل في رثائه من الأشعار:.....ص:72
- المبحث الثاني: في وصف و مضمون نهج البلاغة:
1- مصادر نهج البلاغة و جامعه:.....ص:74
2- صحة نسب نهج البلاغة:.....ص:75
3- مضمون نهج البلاغة و ترتيبه:.....ص:76
4- شراح نهج البلاغة:.....ص:77
5- القيمة الفنية و الأدبية لنهج البلاغة:.....ص:79
6- المتلقي و نهج البلاغة: :.....ص:82
7- بعض المخطوطات لكتاب نهج البلاغة:.....ص:84
- المبحث الثالث: في حكم و مواعظ نهج البلاغة:
I- تعريف الحكمة و مثيلاتها لغة و اصطلاحا :
1- الحكمة.....ص:90
2- الموعظة:.....ص:90
3- الفرق بين الحكمة و الموعظة:.....ص:90
4- الفرق بين الحكمة و المثل:.....ص:91
5- الخطبة و الوصية:.....ص:92
II- الأمثال و الحكم في الشرق
1- تميّز الحكم و المواعظ الشرقية:.....ص:93
2- تميز الحكم و المواعظ العربية:.....ص:94
3- تميز الخطب و الوصايا و الحكم الإسلامية.....ص:95
4- تطابق مواضيع الحكم مع أوضاع عصر الإمام:.....ص:97

5- أنواع الحكم في نهج البلاغة:.....ص:98
6- مواضيع الحكم في نهج البلاغة:.....ص:99
الفصل الثاني: التناص مع مضامين القرآن و الحديث و التراث:
المبحث الأول: تجليات التناص في مضامين حكم نهج البلاغة:
ا- التناص القرآني و الحديثي في مضامين الحكم العقائدية:.....ص:103
أ- الحكم العقائدية في نهج البلاغة: ص:105
1- التناص في حكم معرفة الله:.....ص:106
2- التناص في حكم الذات الإلهية:..... .. ص:107
3- التناص في حكم معرفة كنه الله:..... ..ص:115
ب - التناص في مضامين الحكم العملية.....ص:116
1- مفهوم التربية في حكم الإمام علي:.....ص:117
2- التناص في مضامين حكم التقوى:.....ص:120
3- التناص في مضامين حكم الزهد:.....ص:120
4-التناص في مضامين حكم العلم و التعلم:.....ص:122
5- التناص في القضاء على الخرافات:.....ص:123
6- التناص في حكم المعاملة:.....ص:123
7- التناص في حكم حفظ اللسان ص:124
8- تناص الحكم العملية عندالإمام و عند خصومه:.....ص124
9- تناص الحكم العملية في النص الوصفي:.....ص:128
10- تناص الحكم العملية في مضامين القصص القرآنية:.....ص:129
ا-التناص التراثي في مضامين الحكم العملية:
1- التناص مع التراث الشعري:.....ص:131
2 -التناص مع التراث النثري:.....ص:135
3 - التناص على طريقة شعر النقائض:.....ص:136
المبحث الثاني: - تناص الأسلوب مع القرآن و الحديث..
ا- التناص مع الأسلوب القرآني:.....ص:138
1-ظواهر التناص الصريح و الضمني في أسلوب حكم نهج البلاغة:.....ص:138
2- إقتباس الألفاظ و المفردات:.....ص:139
3- تناص التراكيب:.....ص:141
4- التناص مع الأسلوب الخطابي:.....ص:141
5- التناص مع مسايرة الأسلوب القرآني لمضمونه::.....ص:142
6- كثافة الإستدعاء للألفاظ القرآنية:.....ص143
7- الأسلوب التقابلي بين الكلمات و العبارات:.....ص:144
II - التناص مع فواصل القرآن الكريم:
1- في الإيقاع:.....ص146.

2- في تحديد المواضيع:.....ص:149
III - التناص مع أسلوب الحديث:.....ص:150
1- مظاهر ه في أسلوب الحكم:.....ص:151
2- في قصر الفقرات و توازنها:.....ص:51
في أسلوب التوضيح و الإقناع:.....ص:153
IV- تناص أسلوب الحكم مع التراث:
1- التناص مع التراث الشعري:.....ص:155
2- التناص مع التراث النثري:.....ص:156
المبحث الثالث:جماليات التناص: ..
1-في مفهوم الجماليات:.....ص:158
2- جماليات الإقتباس.....ص:158
3- جماليات التضمين.....ص:.160
4- الإحالة:.....ص:.160
5- الإيجاز:.....ص:.161
6- إشعاعية المرجع::.....ص:.162
7-إحياء الذكرى:.....ص:.163
8- إثارة الذاكرة الشعرية:.....ص:163
الخاتمة:
أ/المستوى النظري.....ص:166
ب/المستوى التطبيقي: ص:167
المصادر و المراجع:.....ص:170
ملخص المذكرة:.....ص:180
الفهرس:.....ص:184